

نفس الحامد السعدي

المستقى لبشار العقل السليم إلى مراتب الفناء إن الحكيم

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثاني

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٤١ — سورة فصلت
(مكية وآياتها أربع وخمسون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ فصلت

حم

٤١ فصلت

تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ فصلت

كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

٤١ فصلت

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا

٤١ فصلت

عَمِلُونَ

(سورة فصلت مكية وآياتها أربع وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) إن جعل اسماً للسورة فهو إما خبر لمبتدأ محذوف وهو الأظهر
- ٢ لما مر سره مراراً أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف إن
- ٣ جعل مسروداً على نمط التعديد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكداً لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصيصه بالصفة خبره (كتاب) وهو على الوجوه الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدار للصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبانيه عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (فصلت آياته) ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرىء فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا
- ٤ (قرآنًا عريباً) نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصيصه بالصفة أو من آياته (لقوم يعلمون) أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآننا أى كأننا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بفصلت (بشيراً ونذيراً) صفتان أخريان لقرآننا أى بشيراً لأهل الطاعة ونذيراً لأهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئنا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره مع كونه على لغتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به (وقالوا)

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُنْمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَاٰسْتَقِيْمُوْا اِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوْهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِيْنَ ﴿٦﴾

٤١ فصلت

٤١ فصلت

الَّذِيْنَ لَا يُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ ﴿٧﴾

٤١ فصلت

إِنِ الَّذِينَ ءٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرٌ مَّمْنُوْنَ ﴿٨﴾

أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما فى القرآن (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية متكاثفة (بما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر) أى صمم وأصله الثقل وقرىء بالكسر وقرىء بفتح القاف (ومن بيننا وبينك حجاب) غليظ بمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلاً وهذه تمهيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق وقوله ووج أسماعهم له كأن بهاصمها وامتناع مواسلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) أى على دينك وقيل فى إبطال أمرنا (إننا عاملون) أى على ديننا وقيل فى إبطال أمرك والأول هو الأظهر فإن قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبىء عنه قولكم فاعمل إننا عاملون بل إنما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فإن الخطاب فى إلهكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكاً ولا جنياً لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم إلى ما تنبؤ عنه العقول والأسماع وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر نبوتى وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فاستقيموا إليه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إيماء الوحدةانية فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص فى الأعمال (واستغفروه) مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وويل للمشركين) تهيب وتنفير لهم عن الشرك لإثرا ترغيهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤتون الزكاة) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى ٨

قُلْ أَيْنَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾

٤١ فصلت

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿٤٢﴾

٤١ فصلت

لا يمين به عليهم من المن وأصله الثقل أولا يقطع من مننت الجبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملونه (قل أنتم لتكفرون) إنكار وتشنيع لكفرهم وإن واللام إما لتأكيد الإنكار وتقديم الهمة لاقتضاها الصدارة لا الإنكار التأكيد وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد وإنما علق كفرهم بالموصول حيث قيل (بالذي خلق الأرض في يومين) لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين أو في نوبتين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون وإلا فالיום الحقيقي إنما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون داخل في حكم الإنكار والتوبيخ وجمع الأنداد باعتبار ما هو الواقع لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدد أى وتجعلون له أندادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد (ذلك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه الإيذان ببعد منزلته في العظمة وإفراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ما ذكر (رب العالمين) أى خالق جميع الموجودات ومربها دون الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أحسن مخلوقاته ندأ له وقوله تعالى (وجعل فيها رواسي) عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل إبداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الإعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف إذا انضم إليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأيا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمهر هو صفة لرواسي أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعا معرضة لأهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الأفكار (وبارك فيها) أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الإنسان وأصناف النبات التى منها معاشهم (وقدر فيها أقواتها) أى حكم بالفعل بأن يوجد فيها سياتى لأهلها من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها

ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
هَلَا يَعْنِي ﴿١١﴾

٤١ فصلت

فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ
وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

٤١ فصلت

- (في أربعة أيام) متعلق بحصول الأمور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها في يومين وإنما قيل في أربعة أيام أى تنمة أربعة تصريحاً بالذلك (سواء) مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت « أى هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لأجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وقوله تعالى (ثم استوى ١١ إلى السماء) شروع في بيان كيفية التكوين لأثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادئ معاشهم قبل خلقهم عما يحملهم على الإيمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصداً سوياً لا يلوى على غيره (وهى دخان) أى أمر ظلماني عبر به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء كما سيأتى وإما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه إليهما معاً حسبما ينطق به قوله تعالى (فقال لها وللأرض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللأرض التى قدر وجودها ووجود ما فيها (اتينا) أى كونا واحداً على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منهما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعاً أو كرهاً) تمثيل لتحتّم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكراهة لهما وهما مصدران وقعاً موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى (قالتا أتينا طائعتين) أى منقادين تمثيل لكمال تأثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة فإن الطوع منبىء عن ذلك والكراهة موهم لخلافه وإنما قيل طائعتين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) ١٢ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجرى المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقاً إبداعياً وأنقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثانى (في يومين) في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل (وأوحى في كل سماء أمرها) عطف على قضاهن أى خلق في كل منها ما فيها من الملائكة

والنيرات وغير ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحي عبارة عن التكوين كالآمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أو امره وكلفهم ما يليق بهم من التكليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياً ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كاتنا رتقاً ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الأمر بالإتيان لإنشاءها وإحداثها بل لإنشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه اتى يا أرض مدحوة قراراً ومهاداً لأهلك واتى يا سماء مقبية سقفاً لهم ومعنى الإتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وأنت خير بأن المذكور قبل الأمر بالإتيان ليس مجرد خلق جرم الأرض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضاً من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعاً فلا ظهر أن يسلك مسلك الأولين ويحمل الأمر بالإتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتباً على ذلك التكوين وإنما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوباً بمضمر قد حذف على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وتحمل البعدية إما على أنه قاصر عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل وإما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روى عن الحسن

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾

٤١ فصلت

إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ
مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾

٤١ فصلت

رضى الله عنه نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد
الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعاً وقد نقل الإمام الواحدى عن
مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلاً عن دحوها فلا بد من حمل الأمر بإتيانها
حينئذ أيضاً على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض
كما لم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني
وأما على تقدير كونها للتراخي الربوبي كما جنح إليه الأكثرون فلا دلالة في الآية السكرية على الترتيب
كما في الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً
الآية وإنما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه (وزينا
السماء الدنيا بمصاييح) من الكواكب فإنها كلها ترى متألثة عليها كأنها فيها والالتفات إلى نون العظمة
لإبراز مزيد العناية بالأمر وقوله تعالى (وحفظاً) مصدر مؤكد لفعل معطوف على زيننا أى
وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظاً وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصاييح
زينة وحفظاً (ذلك) الذى ذكر بتفاصيله (تقدير العزيز العليم) المبالغ في القدرة والعلم (فإن أعرضوا) ١٣
متصل بقوله تعالى قل أنتم الخ أى فإن أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظام الأمور الداعية إلى
الإيمان أو عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل) لهم (أنذرتكم) أى أنذركم وصيغة الماضى للدلالة على
تحقق الإنذار النبوي عن تحقق المنذر به (صاعقة) أى عذاباً هائلاً شديداً يقع كأنه صاعقة (مثل
صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقه
الصاعقة صعقاً فصعق صعقاً وهو من باب فعلته ففعل (إذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا ١٤
سداد لجعله ظرفاً لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أى الكائنة إذ
جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلتته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أى من
جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضى بالإنذار عما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم
الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم فإن
هوداً وصالحاً كانا داعيين لهم إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم
ومن مجيء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لا تعبدوا إلا
الله) أى بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة (قالوا لو شاء ربنا) أى

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

١٥ فصلت

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾

١٦ فصلت

إرسال الرسل لا إزال الملائكة كما قيل فإنه عار عن إفادة ما أرادوه من نفي رسالة البشر وقد مر
فيما سلف (لأنزل ملائكة) أى لأرسلهم لكن لما كان إرسالهم بطريق الإنزال قيل لأنزل (فإنما بما
أرسلتم به) أى على زعمكم وفيه ضرب تمكيم بهم (كافرون) لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا
روى أن أبا جهل قال فى مأى من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التستم لنا رجلا عالما بالشعر
والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب
أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا
وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أى بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك
ما تستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن
الرحيم حم إلى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم
ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبا فأنطلقوا إليه
وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو
بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت به فيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد
علم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بهم العذاب (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض)
١٥ شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب إثر حكاية ما يعم الكل من
الكفر المطلق أى فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها (بغير الحق) أى بغير
استحقاق للتعظيم والولاية (وقالوا) مدلين بشدتهم وقوتهم (من أشد منا قوة) حيث كانوا ذوى
أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من جبل فيقتلعها بيده
(أو لم يروا) أى أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان (أن الله الذى
خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة فإنه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر
عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وإنما أورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق
السموات والأرض لدعاتهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهمك بهم (وكانوا بآياتنا) المنزلة على الرسل
(يجحدون) أى ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما
بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى باردة تهلك وتحرق بشدة

١٦

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾

٤١ فصلت

وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

٤١ فصلت

وَيَوْمَ يُنْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾

٤١ فصلت

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ٤١ فصلت

- بردها من الصر وهو البرد الذي يصر أى يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير (في أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعاداً وقرىء بالسكون على التخفيف أو على أنه نبت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) وقرىء لنذيقهم على إسناد الإذاقة إلى الريح أو إلى الأيام وأضيف العذاب إلى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو في الحقيقة وصف للعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب ١٧ الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات التشريعية وأزحنا عنهم بالسكينة وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للبتقين وقرىء ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم التاء (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة ١٨ (ويوم يحشر أعداء الله) شروع في بيان عقوباتهم الآجلة إثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لنهمم والإيذان بعلّة ما يحقّق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ماسياً في قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقرىء يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسر ها (إلى النار) أى إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقّق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها وإلا لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف إيهاماً لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) أى يحبس ٢٠ أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون إلى النار وقوله تعالى (حتى)
- ٢٠ - أبى السعود ج ٨ ،

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَالْبَيْتِ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

٤١ فصلت

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا
يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

٤١ فصلت

إذا ما جاءوها (أى جميعاً غاية ليحشر أو لينزعون أى حتى إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد
اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من
فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس
رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله
٢١ تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فإن ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحاً وأجلب للخزى
والعقوبة بما يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود
الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فضنكن كنا نناضل وفي رواية بعداً لكن
وسحقاً عنكن كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى (قالوا أنطقنا الله
الذى أنطق كل شيء) لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى
أنطق وأقدرنا على بيان الواقع فنهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل
مانطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من إيهام الاضطراب فى
الأخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حيثئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل
* حتى (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فإن من قدر على خلقكم وإنشاءكم أولاً وعلى إعادةكم
ورجعكم إلى جزائه ثانياً لا يتعجب من انطاقة لجوارحك ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة
بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب
عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة
٢٢ الفواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) حكاية
لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريراً لجواب الجلود أى ما كنتم
تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحك بذلك كما كنتم تستترون
* من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً (ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيراً مما تعملون) من القبائح الخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه
إيذان بأن شهادة الجوارح بأعلامه تعالى حيثئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم .
عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترأ بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقيان وقرشى أو
قرشيان وثقى فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ٤١ فصلت

فَإِنْ يَصْبرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ٤١ فصلت
وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ٤١ فصلت

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ ٤١ فصلت

أخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصاً بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعبر عنه الحقيقة وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخذه لا يعبر ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر (وذلكم) إشارة إلى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيذان بـ ٢٣
بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) خبر أن له ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً وأرداكم خبراً (فأصبحتم) بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم (من الخاسرين) إذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سبباً لشقاء النشأتين (فإن يصبروا فالنار مَثْوًى لهم) ٢٤
أي محل ثواب وإقامة أبدية لهم بحيث لا يبرح لهم منها والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للإشعار بإبعادهم عن حيز الخطاب وإلقائهم في غاية دركات النار (وإن يستعتبوا) أي يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبونه جزاء عما هم فيه (فأهم من المعتبين) المجابين إليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فأهم من المعتبين أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فأهم فاعلون لفوات المسكنة (وقبضنا لهم) أي قدرنا ٢٥
وقرنا للكفرة في الدنيا (قرناء) جمع قرين أي ألدنا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القبض على البيض وهو القشر وقيل أصل القبض البدل ومنه المفاضلة للمعاوضة (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمور الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط (وحق عليهم القول) أي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصدقها وهو قوله تعالى لإبليس فالحق والحق أقول لأملا أن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن اتبعك منهم لأملا أن جهنم منكم أجمعين كما مر مراراً (في أمم) حال من الضمير المجرور أي كائنين في جملة أمم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في أن المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل (قد خلت) صفة لأمم أي مضت (من) قبلهم من الجن والإنس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء (لأنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأوليين والآخرين (وقال الذين كفروا) من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال ٢٦

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ٤١ فصلت

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ٤١ فصلت

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُم تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا

مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ الْأَوَّلُ وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ

الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ٤١ فصلت

- بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) أى لا تنصوا له (والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو أرفعوا أصواتكم بالتشوشوه على القارىء وقرىء بضم الغين والمعنى واحد
- ٢٧ يقال لغى يلقى كلقى يلقى ولغا يلغوا إذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا) أى فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاعين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (عذاباً شديداً) لا يقادر قدره (ولنجزيهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسهم أسوأ وقيل إنه لا يمازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرىء الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذاباً شديداً يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة (ذلك) مبتدأ وقوله تعالى (جزاء أعداء الله) خبره أى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى (النار) عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لاعتناء الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبنية لما قبلها وقوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار إقامتهم على أن فى التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكأله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدرجات داراً مخصوصة هم فيها خالدون (جزاء بما كانوا بآياتنا يحدون) منصوب بفعل مقدر أى يجوزون جزاء أو بالمصدر السابق فإن المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً والباء الأولى متعلقة بجزاء والثانية ييجحدون قدمت عليه لمرعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يحدون بآياتنا الحققة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سبباً للغو (وقال الذين كفروا) وهم متقبلون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرننا الذين أضلانا من الجن والإنس) يعنون فريق شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرىء أرننا تخفيفاً كفخذ فى نخذ وقيل معناه أعطيناهما وقرىء باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندمهما انتقاماً منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) أى ذلاً ومهانة أو مكاناً (إن
- ٢٨
- ٢٩
- ٣٠

نَحْنُ أَوْلَىٰ بِذِكْرِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾

٤١ فصلت

نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

٤١ فصلت

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

٤١ فصلت

- الذين قالوا ربنا الله) شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أى قالوا دعترافا بربوبيته تعالى وإقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الإقرار ومقتضياته * على أن ثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة فإن الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها (تنزل عليهم الملائكة) من جهته تعالى يمدونهم فيما يعين لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ما يقيض لهم من قرناء السوء بترزين القبائح وقيل تنزل عند الموت بالبشرى وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والأظهر هو العموم والإطلاق كما ستعرفه (أن لا تخافوا) ما تقدمون عليه فإن الخوف غم يلحق لتوقع المكروه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فإنه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار * وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الإطلاق والمعنى أن الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن تدوقوه أبداً وأن إما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والأصل بأنه لا تخافوا وإلهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أو استئناف (وأبشروا) أى سروا (بالجنة التى كنتم توعدون) في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم في الدنيا أى أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق ونزهدكم ٣١ إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفي الآخرة) نمدكم بالشفاعة * وتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والحصام (ولكم فيها) أى في الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أى تدعون لأنفسكم وهو أعم من الأول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للإشباع في البشارة والإيذان باستقلال كل منهما (نزلا من غفور رحيم) حال ما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ٣٢ ما يعطون من عظام الأجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) أى إلى توحيده ٣٣ تعالى وطاعته . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

٤١ فصلت

وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

٤١ فصلت

وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

٤١ فصلت

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ

الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

٤١ فصلت

- وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وإن نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال إني من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخذاً للإسلام ديناً ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه ٣٤ لا أنه تكلم بذلك وقرئ إني بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سبقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقابلة إساءتهم بالإحسان أى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والأحكام ولا التافئة مزيدة لتأكيد النفي وقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء فإنه أحسن من العفو وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق (وما يلقاها) أى ما يلقي هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان (إلا الذين صبروا) أى شأنهم الصبر (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب وقيل نزلت في ٣٥ أبي سفيان بن حرب وكان مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مضافاً (ولما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لأنها بعث على الشر وجعل نازغاً على طريقة جد جده أو أريد ولما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا قطعه (إنه هو السميع) باستعاذتك (العليم) ببيتك أو بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار

فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾ ٤١ فصلت
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي
أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ٤١ فصلت

- والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنها
من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) الضمير للأربعة لأن حكم جماعة
مالا يعقل حكم الآتي أو الإناث أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان
خلقية الشمس والقمر للإيدان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك
الأعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في سلك آياته تعالى (إن كنتم إياه تعبدون)
فإن السجود أقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع للسجود عند الشافعي
رحمه الله وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى (فإن استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند
٣٨ ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أي دائماً (وهم لا يسأمون) لا يفترون ولا يملون
وقرى لا يسأمون بكسر الياء (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من
٣٩ الخشوع بمعنى التذلل (فإذا أنزلنا عليها الماء) أي المطر (اهتزت وربت) أي تحركت بالنبات
وانتفخت لأن التبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل
تزخرفت بالنبات وقرى ربأت أي ارتفعت (إن الذي أحياها) بما ذكر بعد موتها (لمحي الموتى)
بالبعث (إنه على كل شيء) من الأشياء التي من جملتها الإحياء (قدير) مبالغ في القدرة (إن الذين
٤٠ يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرى يلحدون (في آياتنا) بالظن فيها وتحريفها بحملها على المحامل
الباطلة (لا يخفون علينا) فنجازيهم بالحادم وقوله تعالى (أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم
القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعملوا ما شئتم) من الأعمال المؤدية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار
والإتيان آمناً وفيه تهديد شديد (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى (إن
٤١ الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) بدل من قوله تعالى إن الذين يلحدون الخ وخبر إن هو الخبر السابق
وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى
(وإنه لكتاب عزيز) أي كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية *

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ٤١ فصلت

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ٤١ فصلت
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ
بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ٤١ فصلت

٤٢ شناعة الكفر به وقوله تعالى (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد) خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الإضافة كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتية الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى (ما يقال لك) الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفار قومك (إلا ما قد قيل للرسول من قبلك) أى إلا مثل ما قد قيل فى حقهم بما لا خير فيه (إن ربك لذو مغفرة) لأنبيائه (وذو عقاب أليم) لأعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً (ولو جعلناه قرآناً أَعْجَمِيًّا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان نطقه وقوله تعالى (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) إنكار مقرر للتحضيض والأعجمى يقال للكلام لا يفهم وللتكلم به والياء للبالغة فى الوصف كآخرى والمعنى أكلام أَعْجَمِيٍّ ورسول أو مرسل إليه عربى على أن الأفراد مع كون المرسل إليهم أمة حجة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحداً أو جمعاً وقرىء أَعْجَمِيٌّ أى أكلام منسوب إلى أمة العجم وقرىء أَعْجَمِيٌّ على الإخبار بأن القرآن أَعْجَمِيٌّ والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أَعْجَمِيًّا لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب وأياً ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً يتعللون به (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم إلى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (فى آذانهم وقر) على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عمى) وقبل خبر الموصول فى آذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (أولئك) إشارة إلى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

٤١ فصلت

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

٤١ فصلت

إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنْكَ مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾

٤١ فصلت

- الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلاته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعد منزلته في الشرمع ما فيهم من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعاضى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها (ينادون من مكان بعيد) تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة ثانية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أى وباتة لقد آتينا التوراة فاختلف فيها فنصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) في حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخروهم إلى أجل مسمى (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة (وإنهم) أى كفار قومك (لنى شك منه مريب) أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثاني للتوراة كما لا وجه له (من عمل صالحاً) بأن آمن بالكتب ٤٦ وعمل بموجبها (فلنفسه) أى فلنفسه يهمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره (ومن أساء فعليها) ضرره لا على غيره (وما ربك بظلام للعبيد) اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك لإثابة المحسن بعمله أو لإثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأفعال (إليه يرد علم الساعة) أى إذا سئل عنها يقال الله يعلم أولاً يعلمها إلا الله تعالى (وما تخرج من ثمرات ٤٧ من أكمامها) أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثرة كجف الطلعة توقرىء من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرىء بجمع الضمير أيضاً وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد (وما تحمّل من أنثى ولا تضع) أى حملها وقوله تعالى (إلا بعلمه) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يحدث شيء
- ٣ - أبى السعود ج ٨

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٤٨﴾

لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾

وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ

غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

٤٨ فصلت

من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابساً بشيء من الأشياء إلا ملابساً بعله المحيط
 * (ويوم يناديهم أين شركائي) أي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى نادوا شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم
 بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظارف لمضمر مؤخر قد ترك إيذاناً بقصور البيان عنه كما مر
 * في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل (قالوا أذنك) أي أخبرناك (مامنا من شهيد) من أحد يشهد لهم
 بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال ومامنا أحد إلا وهو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهدهم لأنهم
 ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أي مامنا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم أذنك
 إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر محاب هذا الجواب أولان معناه أنك غلبت من قلوبنا وعقائدنا
 الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلنوه أو لأن معناه الإنشاء لا

الإخبار بإيدان قد كان قبل ذلك (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) أي يعبدون (من قبل) أي غابوا عنهم

أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم (وَضَلُّوا) أي أيقنوا (ما لهم من مغيص) مهرب والظن

٤٩ معلق عنه بحرف النفي (لا يسأم الإنسان) أي لا يمل ولا يفتر (من دعاء الخير) من طلب السعة في النعمة

وأسباب المعيشة وقرىء من دعاء بالخير (وإن مسه الشر) أي العسر والضيق (فيؤوس قنوط) فيه

مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في

الشخص فيتضاءل وينكسر أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس

٥٠ بوصف غالب أفراد لما أن اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى إلا من الكافروسيصرح به (وإئن أذقناه

رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لي) أي حق أستحقه لما لي من الفضل

والعمل أولى لا لغيري فلا يزول عني أبداً (وما أظن الساعة قائمة) أي تقوم فيما سيأتي (ولئن

رجعت إلى ربِّي) على تقدير قيامها (إن لي عنده للحسنى) أي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك

لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك (فلننبئن الذين كفروا

بما عملوا) أي لنعلمهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناهم بصورها الحقيقية وقدم تحقيقه في سورة الأعراف

عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى إنما نبيكم على أنفسكم من سورة يونس (ولنذيقنهم

من عذاب غليظ) لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه .

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ جَانِبِيهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ فصلت
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ فصلت
 سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ
 كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ فصلت

- ٥١ (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض) أى عن الشكر (ونجى جانبه) أى ذهب بنفسه وتباعد بقلبيته تكبراً وتعظماً والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ننى عطفه وتولى بركنه (وإذا مسه الشر فذودعاء عريض) أى كثير مستعار بما له عرض متسع للإشعار بكثرة واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطويل أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فاطنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات (قل أرايتم) أى أخبروني (إن كان) أى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) مع تعاضد موجبات الإيمان به (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا) الدالة على حقيقته وكونه من عند الله (في الآفاق) هو ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة (وفي أنفسهم) هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما في الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفي أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق أى في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي أنفسهم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن إرادة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلمهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً (حتى يتبين لهم) بذلك (أنه الحق) أى القرآن أو الإسلام والتوحيد (أولم يكف بربك) استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إرادة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف بربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزد إلا مع كفى وقوله تعالى (أنه على كل شيء شهيد) بدل منه أى ألم يغنهم عن إرادة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه إن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤١ فصلت

ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أى مطلع
يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما
قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أو لم يكفك أنه تعالى
على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع
٤٥ إشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يردده قوله تعالى
(ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح فى أن عدم
الكفاية معتبر بالنسبة إليهم وقرىء مرية بالضم وهو لغة فيها (ألا إنه بكل شيء محيط) عالم بجميع
الأشياء جلها وتفاصيلها وخواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم
ومريتهم لا محالة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف
عشر حسنات والله أعلم.

٤٢ - سورة الشورى
نزلت بمكة وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ الشورى

حم

٤٢ الشورى

عسق

٤٢ الشورى

كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل ٢٠١ اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرىء حم سق فعلى الأول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيجاءها مثل إيجائها بعد تنويعها بذكر اسمها والتنبيه على غفلة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الأول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الأول إشارة إلى ما فيها وعلى الثانى إلى إيجائها وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى إليك فى سائر السور وإلى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل إيجائها أوحى إليك عند إيجاء سائر السور وإلى سائر الرسل عند إيجاء كتبهم إليهم لا إيجاء مغايراً له كما فى قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيدان باستمرار الوحي وأن إيجاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو إيجائها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل مراعاة القواصل مع ما فيه من التشويق وقرىء يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له .

٤٢ الشورى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤٢﴾

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي

٤٢ الشورى

الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾

٤٢ الشورى

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤٤﴾

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ

٤٢ الشورى

لَأَرْبَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٤٥﴾

٤ وقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف

٥ مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرىء بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل

من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرىء ينفطرن والاول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع

فطر وقرىء تفطرن بالتاء لتأكيد التانيث وهو نادر (من فوقهن) أى يتسدا التفطر من جهتهن

الفوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدناها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى

الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاول لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض

حيث أثرت في جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت أولى وقيل الضمير للأرض فإنها في معنى الأرضين

* (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) يزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده (ويستغفرون لمن في

الأرض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة

واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر

الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله

* تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) إذا ما من مخلوق

إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال

تقدسه عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة

وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة

٦ رحمة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأنداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم

وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكل إليه أمرهم وإنما وظيفتك

٧ الإنذار (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً) ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا وعمل الكاف النصب

على المصدرية وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك

قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو

الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب قال كاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

٤٢ الشورى

به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين (لتتذرع أم القرى) أى أهلها وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتتذرع يوم الجمع) أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلاق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتحويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالباء على أن فاعله ضمير القرآن (لاريب فيه) اعتراض مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف فإنهم يجمعون فيه أولاً ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئنا منصوبين على الحالية منهم أى وتتذرع يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) أى فى الدنيا (أمة واحدة) قبل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فعنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وإنما قيل (والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) للإيذان بأن الإدخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما فى الإدخال فى الرحمة لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الإسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقصرهم على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلهم وبني أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وأنت خير بأن فرض جعل الكل مؤمنين ياباه تصدير الاستدراك بإدخال بعضهم فى رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره بإخراج بعضهم من بينهم وإدخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم فى فترة لإدريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوقفهم الله للإيمان والطاعة ويدخلهم فى رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ الشورى
وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٤٣﴾ الشورى
فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٤﴾ الشورى

على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة إلى السعير من غير ولى يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم
٩ من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين
ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للاتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها والهمزة لأنكار
الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لأنكار الواقع واستقبحه كما قيل إذا المراد بيان أن ما فعلوا ليس
من اتخاذ الأولياء في شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل اتخذوا
متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيئات وقوله تعالى (فالله هو الولي) جواب شرط محذوف
* كأنه قيل بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا ولياً في الحقيقة فالله هو الولي لا ولى سواه (وهو
يحيي الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً فليخصوه
١٠ بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم للذين آمنوا وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أتم وهم (لحكمه) راجع
(إلى الله) وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين (ذلكم) الحاكم العظيم الشأن (الله ربى) مالكي (عليه
توكلت) في مجامع أمورى خاصة لأعلى غيره (وإليه أُنِيب) أرجع في كل ما يعنى لى من معضلات
* الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمراً واحداً مستمراً والإنيابة متعددة متجددة حسب
تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي وفي الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم
في شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من
كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى عليه فقولوا الله أعلم كعرفة الروح ولا مساعى لحل
١١ هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات والأرض)
خبر آخر لذالكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرئ بالجر على أنه بدل من
الضمير أو وصف للاسم الجليل في قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف
(من أنفسكم) من جنسكم (أزواجاً) نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره
غيره مرة (ومن الأنعام) أى وجعل للأنعام من جنسها (أزواجاً) أو خلق لكم من الأنعام
أصنافاً أو ذكوراً وإناثاً (يذركم) يكثركم من النذر وهو البث وفي معناه الذر والنذر (فيه) أى

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ٤٢ الشورى
 شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
 أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَسِبَ إِلَيْهِ مَن
 يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ٤٢ الشورى

فما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثل شيء) أى ليس مثله شيء فى شأن من الشئون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فإنه إذا نفى عن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويصير (له مقاليد السموات والأرض) أى خزانتهما ١٢ (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة (لأنه بكل شيء عليم) مبالغ فى الإحاطة به فيفعل كل ما يفعله على ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وإيدان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه ديناً قديماً أجمع عليه الرسل والخطاب لأئمة عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمراً مؤكداً على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام وإلا فامن نبى إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف باختلاف الأئمة وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبىء عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيجائه إليه عليه الصلاة والسلام إما ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الخيثة وإثبات الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع فى الآيات المذكورة ولما فى الإيحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيجائه وهو السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً وتقديم

٤ - أبى السعود ج ٨ ،

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغَيِّ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ٤٢ الشورى

توصية نوح عليه السلام للسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبية على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (أن أقيموا الدين) أى دين الإسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسوله ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له وعمل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إلهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى (ولا تتفرقوا فيه) للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى إلى أنهم تحمل ظاهر مع أن الأظهر أنه متوجه إلى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبراً أى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع فى بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم (ما تدعوم إليه) من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعده حيث قالوا أجعل الآلهة لها واحداً إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة أى الله يجتلب إلى ما تدعوم إليه من يشاء أن يجتبيه إليه وهو من صرف اختياره إلى مادعى إليه كما ينبغي عنه قوله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) أى يقبل إليه حيث يمه بالتوفيق والالطاف ١٤ وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع فى بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم اليقنة أى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا إليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقيقة حسبا وجدوه فى كتابهم أو العلم بمبعثه صلى الله عليه وسلم وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو من أعم الأوقات أى وما تفرقوا فى حال من الأحوال أو فى وقت من الأوقات لإحاطة مجيء العلم أو الوقت مجيء العلم (بدياً بينهم) وحمية وطلباً للرياسة لأنهم فى ذلك شبهة (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير العقوبة (إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لقضى بينهم) لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناباتهم لذلك قطعاً وقوله تعالى (وإن الذين

فَإِذْ لَكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَّاهُ مِنْ كِتَابٍ
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ
اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٢ الشورى

أورثوا الكتاب من بعدهم) الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن لإثبات بيان كيفية كفر أهل الكتاب
وقرىء ورثوا وورثوا أى وإن المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم
(لنى شك منه) من القرآن (مريب) موقع فى القلق أو فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى *
والمكابرة بعد ما علموا بحقيقته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع عليهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد
عليه على السنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى
لقضى بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى أهل الأرض
بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين
وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغى بينهم فإن مشاهير الأمم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من
غير إنظار وإمهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وإنما ذكر من ذكر من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الأعلام
عليهم الصلاة والسلام تأكيداً لوجوب إقامته وتشديداً للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض
ليبيان تفرق أممهم عنه ربما يوم الإخلال بذلك المرام (فلذلك) أى فلأجل ما ذكر من التفرق ١٥
والشك المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون
(فادع) أى الناس كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلا من تفرقهم وكونهم فى شك *
مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة إليه والأمر
بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار
وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى إلى كما فى قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أى فإلى
ذلك الدين فادع (واستقم) عليه وعلى الدعوة إليه (كما أمرت) وأوحى إليك (ولا تتبع أهواءهم) *
الباطلة (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا
ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الأصول وتأليف لقلوب
أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الإيمان بها فى خاتمة سورة البقرة (وأمرت لأعدل *
بينكم) فى تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكاة والخصام وقيل معناه لاسوى بيني
وبينكم ولا آمركم بما لا عمله ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام
إما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء
محذوفة (الله ربنا وربكم) أى عالقنا جميعاً ومتولى أمورنا (لنا أعمالنا) لا يتخطانا جزاؤها لو أيا كان

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَجَحَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

٤٢ الشورى

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾

٤٢ الشورى

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ

٤٢ الشورى

الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

- أو عقاباً (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم وتضرر بسيئاتكم (لا حجة بيننا وبينكم) لا حاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (ولإليه المصير) فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى
- ١٦ محاجة في مواقف المجاورة لامتاركة في مواطن المحاربة حتى يصار إلى النسخ بآية القتال (والذين يحاجون في الله) أى في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعدما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته صلى الله عليه وسلم واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق (حجتهم داحضة عند ربهم) زالة زائلة باطلة * بل لا حجة لهم أصلاً وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجازاة معهم على زعمهم الباطل (وعليهم غضب)
- ١٧ عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) لا يقادر قدره (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) ملتبساً به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق إزاله من العقائد والأحكام (والميزان) والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن (وما يدريك) أى أى شئ يجعلك عالماً (لعل الساعة) التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أى شئ قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن
- ١٨ يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال إنكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لا محالة (ألا إن الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لنى ضلال بعيد) عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات بالخصوصات فمن لم يهتد إلى تجويزه فهو عن

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ

فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ٤٢ الشورى

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ٤٢ الشورى

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ
الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ٤٢ الشورى

- ١٩ الاهداء إلى ماوراءه أبعد وأبعد (الله لطيف بعباده) أى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون
الطافه مالا يكاد يناله أيدى الأفكار والظنون (يرزق من يشاء) أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من
عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنيه على الحكم البالغة (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب
على كل شيء (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرت الآخرة) الحرت فى الأصل لإلقاء
البذر فى الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة
المبنيه على تشبيهها بالغلال الحاصله من البذور المتضمن لتشييه الأعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله
ثواب الآخرة (نذ له فى حرتة) نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد)
بأعماله (حرت الدنيا) وهو متاعها وطيباتها (نؤته منها) أى شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما يريده
ويبتغيه (وما له فى الآخرة من نصيب) إذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة
الإسراء (أم لهم شركاء) أى بل لهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقرير (شرعوا لهم)
بالتسويل (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أو ثائهم
وإضافتها إليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم واقتنائهم
كقوله تعالى لمن أضلن كثيراً أو تماثيل من سن الضلالة لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق
بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو
بين المشركين وشركائهم (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) وقرىء بالفتح عطفاً على كلمة الفصل أى ولولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فإن العذاب الأليم غالب فى عذاب
الآخرة (ترى الظالمين) يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له القصد إلى أن سوء حالهم غير مختص
برؤية راء دون راء (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) أى وباله لاحق
بهم لاحالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من صيغ مشفقين أو اعتراض (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
 الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ٤٢ الشورى
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّ
 الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ٤٢ الشورى

• الصالحات في روضات الجنات) مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها (لهم ما يشاءون عند ربهم) أي
 ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف
 ليشاءون (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلة المشار
 ٢٣ إليه (هو الفضل الكبير) الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته (ذلك) الفضل الكبير هو (الذي
 يبشر الله عباده) أي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد إلى الموصول كما في قوله تعالى هذا الذي بعث
 • الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله تعالى عباده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقرئ
 يبشر من أبشر (قل لا أسألكم عليه) روى أنه اجتمع المشركون في جمع لهم فقال بعضهم لبعض
 أترون أن محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً فنزلت أي لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ
 • والبشارة (أجراً) فعلاً (إلا المودة في القربى) أي إلا أن تودوني لقرايتي منكم أو تودوا أهل
 قرايتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة وفي القربى حال
 منها أي إلا المودة ثابتة في القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى
 القرابة روى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرايتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على
 وفاطمة وبناتها وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي
 ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازه عليها غداً إذا لقيني يوم
 القيامة وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تودوا الله ورسوله في تقرّبكم إليه بالطاعة والعمل
 • الصالح وقرئ إلا مودة في القربى (ومن يقترب حسنة) أي يكتسب أي حسنة كانت فتتناول
 مودة ذي القربى تناولاً أولاً وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت في الصديق رضى الله عنه ومودته
 فيهم (نزد له فيها) أي في الحسنة (حسناً) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أي يزد الله وقرئ حسنى
 ٢٤ • (إن الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم
 يقولون) بل يقولون (افتري) محمد (على الله كذباً) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهزمة للإنكار
 التوبيخ كما أنه قيل أيتا السكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو إلى الافتراء لاسيما الافتراء على الله
 • الذي هو أعظم القرى وأخشها وقوله تعالى (فإن يشأ الله يختم على قلبك) استشهاد على بطلان ما قالوا
 ببيان أنه عليه السلام لو افتري على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعاً وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء
 عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ الشورى ٤٢
وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

الشورى ٤٢

عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعاً فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وإن يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحي حيناً فحيناً تبين أنه من عند الله تعالى وقيل المعنى إن يشأ يمحلك من المختوم على قلوبهم فإنه لا يجترىء على الافتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر لنق الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبى عنه إظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لا اتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر أى ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم (لأنه عليم بذات الصدور)

فيجرب عليها أحكامها اللاتقة بها من المحو والإثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة هى ٢٥ الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبداً وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني استغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الدائمة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) كائناتاً ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه

مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرىء ما تفعلون بالثناء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ٢٦ أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد إجابة دعوتهم والإثابة على طاعتهم فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة إذا دعاهم إليها وعن إبراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالناس ندموا فلا

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ

٤٢ الشورى

خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ٤٢ الشورى
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِنَّ مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

٤٢ الشورى

قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٧ نجات قال لأنه دعاكم ولم يجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام (ويزيدهم من فضله) على ما سألوها واستحقوا بموجب الوعد (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلية البشرية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية أو الكيفية (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (إنه بعباده خير بصير) يحيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويسبط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجذبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرىء ينزل من الإنزال (من بعد ما قنطوا) ينسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضاً لتذكر كمال النعمة وقرىء بكسر النون (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شىء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاماً أولاً (وهو الولي) الذى يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة (الحمد) المستحق للحمد على ذلك لا غيره (ومن آياته خلق السموات والأرض) على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فإنها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حى على إطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الأرض فإن ما يختص بأحد الشئيين المتجاوزين يصح نسبه إليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون اللؤلؤة عليهم السلام مشى مع الطير أن فيوصفوا بالديب وأن يخلق الله فى السماء حيواناً يمشون فيها مشى الإنسانى على الأرض كما ينبت عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين ركنين وأطرافين كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جمعهم) أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى (إذا يشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٠
 وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣١
 وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝٣٢
 إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣
 أَوْ يُوبِقْهُمْ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٤
 وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝٣٥

(قدير) فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته وإذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع (وما أصابكم من مصيبة) أى مصيبة كانت (فما كسبت أيديكم) أى فبى معاصيكم التى اكتسبتموها ٣٠ والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرىء بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفوا عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم لأسباب أخرى منها تعريضه للثواب بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الأرض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب - إن ٣١ هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولي) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر) وقرىء الجوارى (كالأعلام) أى كالجبال على ٣٢ الإطلاق لا التى عليها النار للاهتمام خاصة (إن يشأ يسكن الريح) التى تجريها وقرىء الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيقفن ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لا غير متحركات أصلاً (إن فى ذلك) الذى ذكر من السفن اللاتى يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى (آيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما لا ينبغي وוכל همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوبقهم بما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى ٣٤ إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعضها وإيقاع الإيقاق عليهن مع أنه حال أهلن للبالغة والتهويل وإجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناساً وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرىء ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون ٣٥ فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل ليتنقم منهم وليعلم الخ كما فى قوله تعالى ولنجعل آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الأحاديث ونظائرهما وقرىء بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفاً على يعف فيكون المعنى وإن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم (ما لهم من محيص) أى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل .

فَأُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

٤٢ الشورى

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٤٢ الشورى

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ٤٢ الشورى

٤٢ الشورى

وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ٤٢ الشورى

- ٣٦ (فَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ) مما ترغبون وتتنافسون فيه (فتاح الحياة الدنيا) أى فهو متاعها تتمتعون به
 * مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتاً للحرص نفعه (وأبقى) زماناً حيث
 * لا يزول ولا يفنى (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره أصلاً والموصول الأول لما كان
 متضمناً لمعنى الشرط من حيث أن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء
 بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله فلأمله جمع من المسلمين
 ٣٧ فنزلت وقوله تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم) أى الكبائر من هذا الجنس (والفواحش) وإذا
 ما غضبوا هم يغفرون) مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون
 على الضمير خبراً له للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الإثم
 ٣٨ وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الإثم الشرك (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) نزل فى
 * الانتصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فاستجابوا له (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو
 شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها إذا حزبه
 * أمر اجتمعوا وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر
 ٣٩ المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلاة (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أى ينتقمون من
 بغي عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر
 مهمات الفضائل وهذا لا ينافى وصفهم بالغفران فإن كلا منهما فضيلة محمودة فى موقع نفسه ورذيلة
 مذمومة فى موقع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام
 مذموم فإنه لإغراء على البغي وعليه قول من قال [إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت
 أكرمت اللئيم تمرداً] [فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع
 ٤٠ الندى] وقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع
 كونه فى نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادى هو الذى فعله لنفسه فإن الأفعال مستتبعة
 لأجزئتها حتماً إن خيراً فغيراً وإن شراً فشر وفيه تنبيه على حرمة التحدى وإطلاق السيئة على الثانية

وَلَمَن أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
 إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

٤٢ الشورى

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
 وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ
 إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٤٢ الشورى

وَتَرَىٰ لَهُمْ يَعرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذِّلِّ يَنظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ
 الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
 مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾

٤٢ الشورى

- * لأنها تسوء من زلت به (فن عفا) عن السيئ إليه (وأصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والإخضاء
- * كما في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره على الله) عدة مهمة منبئة عن
- * عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعبود (لأنه لا يجب الظالمين) البادئين بالسيئة والمعتدين في
- * الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار المعنى ٤١
- * كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ (ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة أو المعاقبة (إنما السبيل على الذين ٤٢
- * يظلمون الناس) يبتدونهم بالإضرار أو يعتدون في الانتقام (ويبغون في الأرض بغير الحق) أى
- * يتكبرون فيها تجبراً وفساداً (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق (لهم عذاب
- * أليم) بسبب ظلمهم وبغيتهم (وان صبر) على الأذى (وغفر) لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره إلى ٤٣
- * الله تعالى (إن في ذلك) الذى ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الأمور) أى إن ذلك منه مخفف
- * ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التى لا يؤدى العفو إلى الشر كما أشير إليه
- * (ومن يضل الله فما له من ولي من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه (وترى الظالمين ٤٤
- * لما رأوا العذاب) أى حين يرويه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (يقولون هل إلى مرد) أى
- * إلى رجعة إلى الدنيا (من سبيل) حتى تروى ونعمل صالحاً (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار ٤٥
- * المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضوعين لكل من يتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين
- * متضائلين بما دهاهم (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدىء نظرم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف
- * كالمصبور ينظر إلى السيف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين) أى المتصفين بحقيقة الخسران (الذين
- * خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعرض للعذاب الخالد (يوم القيامة) أما ظرف لخسروا فالقول فى

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ الشورى ٤٢
 أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ الشورى ٤٢

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ الشورى ٤٢
 لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
 الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ الشورى ٤٢

الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) رفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا (ومن يضل الله فما له من سبيل) يؤدى سلوكه إلى النجاة (استجيبوا لربكم) إذا دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ يومئذ) أى مفر تلتجئون إليه (وما لكم من نكير) أى إنكاره لما اقترتموه لأنه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً) تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوم إليه فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم (إن عليك إلا البلاغ) وقد فعلت (ولما إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) أى نعمة من الصحة والغنى والأمن (فرح بها) أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى (وإن تصبهم سيئة) أى بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) بليغ الكفر ينسى النعمة رأساً ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاعة إلى نون العظمة للتنبية على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بأن وإسناد الإصابتة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (لله ملك السموات والأرض) فن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملة أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريد (يخلق ما يشاء) مما تعلمه وما لا تعلمه (يهب لمن يشاء إناثاً) من الأولاد (ويهب لمن يشاء الذكور)

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ
مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾
٤٢ الشورى

- ٥٠ منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد (أو يزوجهم) أى يقرن بين الصنفين فيهما جميعاً (ذكراناً وإناثاً) قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاماً ثم جارية أو جارية ثم غلاماً أو تلد ذكراً وأنثى توأمين (ويجعل من يشاء عقيماً) والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهم فيب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى وإما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن أعظم اليلايا أو لطيب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه في الرابع لإفصاحه بأنه قسم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً ولإبراهيم ذكوراً وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً وجعل يحيى وعيسى عقيمين (إنه عليم قدير) مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة (وما كان لبشر) أى وما صح لفرد من أفراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (إلا وحياً) أى إلا بأن يوحى إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) فإنه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولاً) أى ملسكاً (فيوحى) ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذى هو الرسول البشرى (بإذنه) أى بأمره تعالى وتيسيره (ما يشاء) أن يوحى إليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الأوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحياً وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلًا وقرئ أو يرسل بالرفع على ضمير مبتدأ وروى أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنه لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام إلى أنه تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضي الله عنها

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ الشورى
صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ الشورى

- * أولم تسمعوا ربكم يقول قتل هذه الآية (إنه على) متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان
- * المفاوضة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة (حكيم) يجرى أفعاله على سنن الحكمة
- ٥٢ * فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما الهاماً وإما خطاباً (وكذلك) أى ومثل ذلك الإيحاء البديع
- * (أوحينا إليك روحاً من أمرنا) هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة
- * أبدية وقيل جبريل عليه السلام ومعنى إيحاؤه إليه عليهما السلام لإرساله إليه بالوحي (ما كنت تدري)
- * قبل الوحي (ما الكتاب) أى أى شيء هو (ولا الإيمان) أى الإيمان بتفاصيل ما فى تضاعيف
- * الكتاب من الأمور التى لا تهتدى إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درايته عليه
- * الصلاة والسلام له بما لا ريب فيه قطعاً (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه إليك (نوراً
- * نهدي به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى
- * (وإنك لتهدى) تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى
- * وإنك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته (إلى صراط مستقيم) هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام
- ٥٣ * وقرئ لتهدى أى ليهديك الله وقرئ لتدعو (صراط الله) بدل من الأول وإضافته إلى الاسم الجليل
- * ثم وصفه بقوله تعالى (الذى له ما فى السموات والأرض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد
- * وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً ومملكاً وتصرفاً بما يوجب ذلك
- * أتمم لإيجاب (ألا إلى الله تصير الأمور) أى أمور ما فيهما قاطبة لا إلى غيره ففيه من الوعد للمهتدين
- * إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
- سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له .

٤٣ - سورة الزخرف

(مكية وآياتها تسع وثمانون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ الزخرف

حَدَّثَ

٤٣ الزخرف

وَأَلِكْتَبِ الْمُبِينِ

٤٣ الزخرف

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

٤٣ الزخرف

وَأَنذَرْنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ

(سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآياتها تسع وثمانون)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الكلام فيه كالذى مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير ١
 إسميته كونه اسماً للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك محل بجزالة النظم الكريم (والكتاب) بالجر على ٢
 أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم على أن مدار العطف
 المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أى البين *
 لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل
 ما يحتاج إليه في أبواب الديانة (إنا جعلناه قرآناً عربياً) جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد ٣
 جملة كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فإنها المحتاجة إلى التحقيق *
 والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعارهم أى جعلنا ذلك
 الكتاب قرآناً عربياً لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه
 من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعاركم بالكلية
 (ولأنه في أم الكتاب) أى في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرىء إم الكتاب بالسكسر ٤
 (لدينا) أى عندنا (لعل) رفيع القدر بين الكتب شريف (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم وهما *
 خبران لأن وما بينهما بيان محل الحكم كأنه قيل بعد بيان أضافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم
 الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها في الإقسام بالقرآن على علو
 قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيدان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيان إلى الاستشهاد عليه
 بالإقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الإقسام به كما أنه كاف فيها من حيث
 الإعجاز ورمز إلى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر أولى منه بالإقسام به وأما مستأنفة مقرر
 لعل شأنه الذى أنبأ عنه الإقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى ولأنه لقسم لو تعلمون عظيم

٤٣ الزنرف

أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٦﴾

٤٣ الزنرف

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾

٤٣ الزنرف

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾

٤٣ الزنرف

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

٤٣ الزنرف

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾

٤٣ الزنرف

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك يانكار أن يكون الأمر بخلافه ف قيل (أفنضرب عنكم الذكر) أى ننحيه ونبعده عنكم بجاز من قولهم ضرب الغراب عن الحوض وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم وملازمته لهم كأنه يهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهم لم يفتحوا الذكر عنكم (صفحا) أى إعراضاً عنكم على أنه مفعول له للذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فإن التنحية منبهة عن الصفح والإعراض قطعاً كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحاً أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفنتحيه عنكم جانباً (أن كنتم قوماً مسرفين) أى لأن كنتم منهمكين فى الإسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وإن اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهدىكم إلى الحق بإرسال الرسول الأمين وإزالة الكتاب المبين وقرء إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهاطهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى (وكم أرسلنا من نبي فى الأولين) (وما يأتىهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) تقرير لما قبله ببيان أن إسراف الأمم السالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبياء إليهم وتسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشاً) أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعد لهم بمثل ما جرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لإثبات حكمهم هؤلاء بطريق الأولوية (ومضى مثل الأولين) أى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليسندن خلقها إلى من هذا شأنه فى الحقيقة وفى نفس الأمر لأنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للإشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والأفعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لا ريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاقوا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى (الذى جعل لكم الأرض مهدياً) استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها (وجعل لكم فيها سبلاً) تسلكونها فى أسفاركم (لعلمكم

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ الزخرف

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ الزخرف

لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا

هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ الزخرف

وَلِنَا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ الزخرف

- تَهْتَدُونَ) أى لكى تهتدوا بسلوكم إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكيم والمصالح (فأنشرناه) أى أحيينا بذلك الماء (بلدة ميتة) خالياً عن النماء والنبات بالكلية وقرى ميتة بالتشديد وتذكيره لأن البلدة فى معنى البلد والمكان والاتلفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره (كذلك) أى مثل ذلك الإحياء الذى هو فى الحقيقة لإخراج النبات من الأرض (تخرجون) * أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن إخراج النبات بالإشعار الذى هو إحياء الموقى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس (والذى خلق الأزواج كلها) أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأزواج ١٢ الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالغوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) أى ما تركبونه تغليبا للأنعام على الفلك فإن الركوب متعدد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى الرمز إلى مكانيتها وكون حركتها غير إرادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها (لتستروا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والأنعام والجمع ١٣ باعتبار المعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) أى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم (ونقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) متعجبين من ذلك كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا إلى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين من أقرن الشيء إذا أطاقه وأصله وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها (ولما إلى ربنا لمنقلبون) أى ١٤ راجعون وفيه إيذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلبسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب إلى الله تعالى فينبى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شيء

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ٤٣ الزخرف

أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَبِيرٍ ﴿١٧﴾ ٤٣ الزخرف

أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ٤٣ الزخرف

- ١٥ بما يأتي ويذر أمراً ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع (وجعلوا له من عبادته جزءاً) متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بالستهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عبادته ولد أو إنما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالاته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزواً بضمين (إن الإنسان لكفور مبين) ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحانه الله
- ١٦ عما يصفون (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم منقطعة وما فيها من معنى بل للإنتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولداً على الإطلاق إلى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أحسن صنفه والهمزة للإنكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تعالى (وأصفاكم بالبنيين) إما عطف على اتخذ داخل في حكم الإنكار والتعجب
- الخلاف المشهور والالتفات إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ أي بل اتخذ من خلقه أحسن أو حال من فاعله يا ضمير قد أو بدونه على الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على إضافة اتخاذ جنس الولد إليه سبحانه مع ظهور استحالاته وامتناؤه أما كان لكم شيء من العقل ونبت من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الحارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلامها وترك له شهما وأدناماً وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحفارة والفخامة (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا إليه ما ذكروا من حالهم أن أحدهم إذا بشر به اغمم والالتفات للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكي لغيرهم تعجيباً منها أي إذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلاً له سبحانه إذ الولد لا بد أن يجانس الوالد ويمثله (ظل وجهه مسوداً) أي صار أسود في الغاية من سوء ما بشر به (وهو ككبير) مملوء من الكرب والكتابة والجملة حال وقرىء مسود ومسود على أن في ظل ضمير المبشر
- ١٨ ووجهه مسود جملة وقعت خبراً له (أو من ينشأ في الحلية) تكرير للإنكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربي في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه فالهمزة لإنكار الواقع واستقبحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لإنكار الوقوع واستبعاد واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في أم منقطعة من الإنكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوان أي أو اتخذ من هذه الصفة النسيمة صفته (وهو) مع ما ذكر من القصور (في الخصام) أي الجدال الذي لا يكاد يتجلى عنه الإنسان في العادة (غير مبين) غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه وإضافة غير لامتنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لأنه بمعنى التني وقرىء

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

٤٣ الزخرف

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

٤٣ الزخرف

٤٣ الزخرف

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

٤٣ الزخرف

- ينشأ وينشأ من الأفعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد وفظيره غلاه وأغلاه وغلاه (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنا) بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتوزيع لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً وقرىء عبيد الرحمن وقرىء عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرىء أثناً وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله تعالى لإياعم فشاهدوهم إنا حتى يحكموا بأنوثتهم فإن ذلك بما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهم بهم وقرىء أشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالفاء بينهما (ستكتب شهادتهم) هذه فى ديوان أعمالهم (ويسألون) عنها يوم القيامة وقرىء سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرىء شهاداتهم وهى قولهم إن لله جزءاً وإن له بنات وإنها الملائكة وقرىء يسألون من المسألة للبالغ (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) بيان لفض آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم إنما يفعلونه بمشيئته تعالى إياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهز ذمهم به دليلاً للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين إحداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنات ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى (مالهم بذلك) أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فإن ذلك محقق ينطق به مالا يحصى من الآيات الكريمة (من علم) يستند إلى سند ما (إن هم إلا يخرون) يتمحلون تمحلاً باطلاً وقد جوز أن يشار بذلك إلى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل (أم آتيناهم كتاباً من قبله) من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستمسكون) وعليه معولون * (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أثرهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو عقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آباءهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تأم أى تقصد كالرحلة لما يرحل إليه وقرىء إمة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الأم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون .

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا

عَلَيْنَا أَنُحَرِّمَهُمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ٤٣ الزخرف

قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِإِهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ ٤٣ الزخرف

فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ٤٣ الزخرف

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ ٤٣ الزخرف

- ٢٣ (وكذلك) أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبههم بذيل التقليد وقوله تعالى (ما أرسَلْنَا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضاً سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المغالة للإيدان بأن النعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر إلى التقليد (قال) حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أمهم عند تعلّمهم بتقليد آبائهم أي قال كل نذير من أولئك المنذرين لأهمهم (أولو جئتكم) أي أنفتدون بآباءكم ولو جئتكم (بأهدى) بدين أهدى (بما وجدتم عليه آباءكم) من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وإنما عبر عنها بذلك مجازاة معهم على مسلك الإنصاف وقرئ قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ إلى كل نذير لاعلى أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى (قالوا إنا بما أرسَلْتُمْ به كافرون) فإنه حكاية عن الأمم قطعاً أي قال كل أمة لنذيرها إنا بما أرسَلْت به الخ وقد أجل عند الحكاية للإيجاز كما مر في قوله تعالى يأيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليب على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسَل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد يردّه بالسكية قوله تعالى (فاتقمنا منهم) أي بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذِبِينَ) من الأمم المذكورين فلا تكثرت بتكذيب قومك (وإذ قال إبراهيم) أي واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لأبيه وقومه) المكشِبِينَ على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله (إنني براء مما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آباءهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ براء بضم الباء ككريم وكرام وما إمام مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي إنني براء من عبادةكم أو معبودكم (إلا الذي فطرني) استثناء منقطع أو متصل على أن مانع أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أي إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني (فإنه سيهدين) أي سيثبتني على الهداية أو سيهدين إلى ما وراء الذي

٤٣ الزخرف

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

٤٣ الزخرف

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾

٤٣ الزخرف

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾

٤٣ الزخرف

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

هدانى إليه إلى الآن والأوجه أن السنين للتأكيد دون التسوية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) أى جعل إبراهيم كلمة التوحيد التى ماتسكلم به عبارة عنها (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته ٢٨ حيث وصاهم بها كما فلق به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو إلى توحيده وقرىء كلمة وفى عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحّد (بل تمتع هؤلاء) لإضراب ٢٩ عن محذوف يلساق إليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحّد فلم يحصل ما رجاء بل تمتع منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآباءهم) بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالملء وانهمكوا فى الشهوات * وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أى هؤلاء (الحق) أى القرآن (ورسول) أى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحا بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات اليبينات والحجج وقرىء * متعنا وتمعن بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعبيرهم فإن التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجمعوا له سبباً لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان فجعله سبباً لزيادة الكفران أفصى مراتب الكفر والضلال (ولما جاءهم الحق) لينبههم عما ٣٠ هم فيه من الغفلة ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا كفراً وعتوا وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحققوا الرسول صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من إحدى ٣١ القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (عظيم) أى بالجماء والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسداً على نزوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالاً على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآناً لنزل إلى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى إليها إلا أهم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الإنسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل .

أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِنَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ٤٣ الزخرف
وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلِيًّا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ٤٣ الزخرف

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرَرٌ عَلَيْهَا يَتَكِفُونَ ﴿٣٤﴾ ٤٣ الزخرف
وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ٤٣ الزخرف

٣٢ وقوله تعالى (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) إنكار فيه تجميل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة
النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أى أسباب معيشتهم (في الحياة الدنيا) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية
على الحكم والمصالح ولم نقوض أمرها إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية (ورفعنا بعضهم فوق
بعض) في الرزق وسائر مبادئ المعاش (درجات) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة
فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم (لننخذ بعضهم بعضاً سخرياً) ليصرف
بعضهم بعضاً في مصالحهم ويستخدموهم في مهتهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويتراقدوا
ويصلوا إلى مرافقهم لا لكمال في الموضع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا
وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو في طرف الثمام
على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث
عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها (ورحمت ربك) أى النبوة وما يتبعها من سعادة
الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة)
استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا
أن لا يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره
من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة)
أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتغال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن أفراد المستكن في
يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينه
وقرىء سقفاً يسكون القاف تخفيفاً وسقفاً اكتفاء بجمع البيوت وسقفاً كأنه لغة في سقف وسقفاً
(ومعارج) أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصادد جمع معرج وقرىء معارج جمع معراج (عليها
٣٤ يظهرون) أى يعلون السطوح والعلالي (ولبيوتهم) أى وجعلنا لبيوتهم (أبواباً وسرراً) من فضة
٣٥ (عليها) أى على السرر (يتسكنون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير (وزخرفاً) أى زينة
عطف على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أى وما

- وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ٤٣ الزخرف
- وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ٤٣ الزخرف
- حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْبَسُ الْقَرْيُنُ ﴿٣٨﴾ ٤٣ الزخرف
- وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ٤٣ الزخرف

كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة لإشياء يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرىء وما كل ذلك لإمتاع الحياة الدنيا وقرىء بتخفيف ما على أن أن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرىء بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما في قوله تعالى تماماً على الذى أحسن (والآخرة) بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان (عند ربك للمتقين) * أى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش) أى ٣٦ يتعام (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن وإضافته إلى اسم الرحمن للإيدان بنزوله رحمة للعالمين وقرىء * يعش بالفتح أى يعم يقال عشي يعشى إذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو إذا تعشى بلا آفة كخرج وعرج وقرىء يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهما كذا فى حظوظها الفانية والشهوات (نقيض له شيطاناً فهو له قرين) * لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرىء يقيض بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع بقيض (وإنهم) أى الشياطين الذين قبض كل واحد منهم لكل واحد من يعشو (ليصدونهم) ٣٧ أى قرناءهم فدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار إفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها (عن السبيل) المستبين الذى يدعو إليه القرآن (ويحسبون) أى العاشون (أنهم) أى الشياطين (مهتدون) * أى إلى السبيل المستقيم وإلا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتغالها على ضميريهما أى وإنهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون إليه وصيغة المضارع فى الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى (حتى ٣٨ إذا جاءنا) فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتماً أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مراراً وإفراد الضمير فى جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقربنه لتحويل الأمر وتفضيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصدور والحسابان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) غطاطاً له (يأليت ٣٩ بينى وبينك) فى الدنيا (بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فقلب المشرق وثنى وأضيف البعد إليهما (فنبس القرين) أى أنت وقوله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية ٣٩ لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخاً وتقريراً أى لن ينفعكم (اليوم) أى يوم القيامة

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٣﴾ الزخرف

فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٤﴾ الزخرف

أَوْ نُزِيلُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٥﴾ الزخرف

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ الزخرف

وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٧﴾ الزخرف

وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٨﴾ الزخرف

- تمنيكم لمباعدتهم (إذ ظلمتم) أى لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم لإمام فى الكفر والمعاصى وقيل إذ ظلمتم بدل من اليوم أى إذ تبين عندكم وعند الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال [إذا ما انتسبنا لم تلذنى لثيمة] أى تبين أنى لم تلذنى لثيمة بل كريمة وقوله تعالى (أنكم فى العذاب مشتركون) تعليل لنفى النفع أى لأن حكمكم أن تشركوا أتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز أن يسند الفعل إليه لكن لا بمعنى أن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدة الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسيم لعنائها لأن لكل منهم ما لا تبلغه طاقتة كما قيل لأن الارتفاع بذلك الوجه ليس بما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى أن يحصل لكم التشنى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آثم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً وقولكم فاتهم عذاباً ضعفاً من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك .
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غياً وتعامياً عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاماً عما يسمعون من بينات القرآن فزل (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى) وهو إنكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمروا فى الكفر واستغفروا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقروناً بالصمم (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توم القصور من قبل الهادى ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وحده بالقسر والإلجاء
- ﴿٤٩﴾ (فإنما نذير بك) أى فإن قبضناك قبل أن نصبرك عذابهم ونشنى بذلك صدرك وصدور المؤمنين (فإنما منتقمون) للاحالة فى الدنيا والآخرة فأمزجة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة
- ﴿٥٠﴾ (أو نريك الذى وعدناهم) أى أو أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم (فإنما عليهم مقتدون) بحيث لا مناصر لهم من تحت ملكتنا وقبرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع سواء مجئنا لك الموعود أو أخرناه إلى يوم الآخرة وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (إنك على صراط مستقيم) تعليل للاستمسك أو للأمر به (وإنه لذكر) لذكر (لك ولقومك وسوف تسألون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه (وأسأل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ ٤٣ الزخرف

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ٤٣ الزخرف

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ٤٣ الزخرف

وَقَالُوا يَنْتَهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِهْدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ٤٣ الزخرف

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ٤٣ الزخرف

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ الْيَسَّ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾

٤٣ الزخرف

من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أهمهم وعلما دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما انطلقت به السنة الرسل لا ما يقوله أهمهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم إنما يخبرونه عن كتاب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى هل حكمتنا بعبادة الأوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس يبدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) ملتبساً بها (إلى فرعون وملايه فقال لى رسول رب العالمين) أريد باقتصاصه تسلياً رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إثر ما أشير إلى إجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون) ٤٧ أى فاجزأ وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية) من ٤٨ الآيات (إلا هى أكبر من أختها) إلا وهى بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من ينظر إليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شيء منها أو إلا وهى مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لى يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وقالوا ٤٩ يا أيها الساحر) نادوه بذلك فى مثل تلك الحال لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرىء أياه الساحر بضم الهاء (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهدك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عن اهتدى * أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة (إننا لمهتدون) أى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب * عنا بدعوتك كقولهم إن كشف عنا الرجز لنؤمن لك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوتهم (إذا هم ٥٠ ينكثون) فاجزأ وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله فى الأعراف (ونادى فرعون) بنفسه ٥١

- ٤٣ الزخرف أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴿٥٢﴾
 ٤٣ الزخرف فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴿٥٣﴾
 ٤٣ الزخرف فاستخف قومه فطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿٥٤﴾
 ٤٣ الزخرف قلباً أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴿٥٥﴾
 ٤٣ الزخرف فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴿٥٦﴾

• أو يناديه (في قومه) في جمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال يا قوم
 أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهار الملك ونهر طولون ونهر دمياط
 • ونهر تيس (تجري من تحتي) أي من تحت قصرى أو أمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل
 بين يدى فى جنائى وبساتينى والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجرى حال منها أو للحال
 ٥٢ فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجرى خبر للبستأ (أفلا تبصرون) ذلك يريد به استعظام ملكه (أم أنا
 • خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير من المهابة وهى القلة (ولا
 يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وثمة يصاله عليه السلام فى أعين الناس باعتبار
 ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رتبة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤالك وأم إما
 منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال لئن ماعدت أسباب فضله ومبادئ خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم
 أنى أنا خير وهذه حالى من هذا الخ وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله
 أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب
 منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فإن أبصارهم لما ذكر من أسباب فضله
 ٥٣ سبب على زعمه لحكمهم بخيرته (فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلاً ألقى إليه مقاليد الملك
 إن كان صادقالما أنهم كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار
 وقرئ أساور جمع أسورة وقرئ أساور جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساور
 • وقد قرئ كذلك وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه
 الملائكة مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
 ٥٤ (فاستخف قومه) فاستغفروهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فطاعوه) فيما
 ٥٥ أمرهم به (إنهم كانوا قوماً فاسقين) فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوى (قلباً أسفونا) أى
 • أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) فى اليم
 ٥٦ (فجعلناهم سلفاً) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ما حل بهم من
 العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع
 سليف أى فريق قد سلف كزغف أو سالف كصبر أو سالف كأسد وقرئ سلفاً بإبدال ضمة اللام

٤٣ الزخرف

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾

٤٣ الزخرف

وَقَالُوا ءَأَلْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

- فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت (ومثلاً للآخرين) أى عظة لهم أو قصة عجيبية تسير مسير الأمثال *
- لم يبق لمثلهم قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهدأنا ولاهتأنا أو جميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هولكم ولاهتكم وجميع الأمم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة ليس النصرارى يعبدون المسيح واليهود عزيراً وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى (إذا قومك منه) *
- أى من ذلك المثل (يصدون) أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجزلاً وقرىء يصدون أى من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الإعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضاً من الصيد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة (وقالوا آلهتنا خير
- ٥٨ أم هو) حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيداً لما بناو عليه من الباطل الموهوم بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو فى النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكنت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقتم منا الحسنى الآية فإن ذلك مع إيهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الإلحاح من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهالك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وإنما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن المخصوص والعموم عملاً بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهوم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمنزل من أن يكونوا معبودهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى إن الذين سبقتم منا الحسنى الآية بل وإنما كان ما أظهره من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلاً) أى ما ضربوا لك وذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يدعوا له عند ظهوره ببيانك (بل هم قوم خصمون) أى لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصرارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير أم هو حيثئذ

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ٤٣ الزخرف

- تفضيل لأهلهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول إلا للجدل وقيل لما نزلت إن مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشراً كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين أهلهم الاستهزاء به وقد جاز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعاً من القول ولا فعلنا منكراً من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ٥٩ فنحن أشف منهم قولاً وفعلًا حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسى فقوله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل) أي أمراً عجيباً حقيقة بأن يمسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتزجيده عليه السلام عن أن ينسب إليه ما نسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحاً قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثانى والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فإن هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبديته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدي منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردم وتكذيبهم في افتراءهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى في الحقيقة وفيما أوحى إلى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى (ولو نشاء) الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس بيدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضاً من درجة المعبودية أى قدرتنا بحيث لو نشاء (لجعلنا) أى لخلقنا بطريق التوالد (منكم) وأتم رجال ليس من شأنكم الولادة (ملائكة) كما خلقناهم بطريق الإبداع (في الأرض) مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء (يخلقون) أى يخلقونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسييح والتقدیس في السماء فن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للعبودية أو اتسائهم إليه تعالى عن ذلك علواً (وإنه) وإن عيسى (لعلم للساعة) أى لأنه بزوله شرط من أشراطها وتسميته علماً لحصوله به ٦١

وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا

اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٤٣ الزخرف

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ ٤٣ الزخرف

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٦٤﴾ ٤٣ الزخرف

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ ٤٣ الزخرف

أوبعدوته بغير أب أو إحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما يذكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة وقرىء لهم أي علامة وقرىء للعالم وقرىء لذكر على تسمية ما يذكر به ذكر آكتسمية ما يعلم به علماً وفي الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفين وعليه صرتان وبه حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويحرب البيع والكنائس ويقتل النصاري، إلا من آمن به وقبل الضمير للقرآن لما أن فيه الإعلام بالساعة (فلا تترن بها) فلا تشكن في وقوعها (واتبعون) أي واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول مأموراً من جهته تعالى (هذا) أي الذي أَدْعُوكُمْ إليه أو القرآن على أن الضمير في أنه له (صراط مستقيم) موصل إلى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعي (لأنه لكم عدو مبين) بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبليّة (ولما جاء عيسى بالبينات) أي بالمعجزات أو بآيات الإنجيل أو بالشرائع الواضحات (قال) لبني إسرائيل (قد جئتكم بالحكمة) أي الإنجيل أو الشريعة (ولأبين لكم) عطف على مقدر ينبي عنه المحيى بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم إياها ولأبين لكم (بعض الذي تختلفون فيه) وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الأنبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام أتم أعلم بأمر دنياكم (فاتقوا الله) في مخالفتي (وأطيعون) فيما أبلغه عنه تعالى (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا) أي التوحيد والتعبد بالشرائع (صراط مستقيم) لا يضل سالكه وهو إما من تنمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام (فاختلف الأحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) أي من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) من المختلفين (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون) أي ما ينتظر الناس (إلا الساعة أن تأتيهم) أي إلا إتيان الساعة (بغتة) أي فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشغولين بأمور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى (وهم لا يشعرون) *

٤٣ الزخرف

الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾

٤٣ الزخرف

يَعْبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾

٤٣ الزخرف

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾

٤٣ الزخرف

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَائِشَتُهُمُ الْآنَفُسُ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا

٤٣ الزخرف

خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

٤٣ الزخرف

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾

٤٣ الزخرف

لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٣﴾

- ٦٧ (الأخلاء) المتحابون في الدنيا على الإطلاق أو في الأمور الدنيوية (يومئذ) يوم إذ تأتيهم الساعة * (بعضهم لبعض عدو) لا تقطع ما بينهم من علائق الحلة والتحاب لظهور كونها أسباباً للعذاب (إلا المتقين) فإن خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خطتهم
- ٦٨ من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الأول متصل وعلى الثاني منقطع (يعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفاً لهم وتطيباً لقلوبهم
- ٦٩ (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للنادى أو نصب على المدح (وكانوا مسلمين) أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد يعبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الأديان
- ٧٠ الباطلة رؤسهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سروراً يظهر حجاره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الخبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون إكراماً بليغاً والخبرة
- ٧١ المبالغة فيها وصف بحمى (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة حسبما أمروا به (بصفاة من ذهب وأكواب) كذلك والصحاف جمع صحيفة قيل هى كالقصة وقيل أعظم القصص الجفنة ثم القصعة ثم المسكيلة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) أى في الجنة (مائشيتهم الأنفس) من فنون الملاذ وقرىء مائشيتى (وتلذ الأعين) أى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرىء وتلذه (وأنتم فيها خالدون) لإتمام النعمة وإكمال السرور فإن كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لحوفه لا محالة والالتفات
- ٧٢ للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التي أورثتموها) وقرىء ورثتموها (بما كنتم تعملون) في الدنيا من الأعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق
- ٧٣ الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما في الأولين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأصناف

٤٣ الزخرف	إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾
٤٣ الزخرف	لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾
٤٣ الزخرف	وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
٤٣ الزخرف	وَنَادَوْا بِمَمْلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٧﴾
٤٣ الزخرف	لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَاذِبُونَ ﴿٧٨﴾
٤٣ الزخرف	أَمْ أَمْرًا مِّمَّا فُتِنُوا بِهِ مُبَرِّمُونَ ﴿٧٩﴾

- لا يحسب الأفراد فقط (منها تآكون) أى بعضها تآكون فى كل نوبة وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فى مزينة بالثمار أبداً موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مثلاًها مكانها (إن المجرمين) أى الراسخين فى ٧٤ الإجماع وهم الكفار حسبما ينبىء عنه إيرادهم فى مقابلة المزمنين بالآيات (فى عذاب جهنم خالدون) * خبر إن أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به (لا يفترون عنهم) أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم قرت عنه الحمى إذا سكنت قليلاً والتركيب للضعف (وهم فيه) أى فى العذاب وقرىء فيها أى فى النار (مبلسون) * آيسون من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) لتمريرهم أنفسهم للعذاب الخالد ٧٦ (ونادوا) خازن النار (يامالك) وقرىء يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز إلى ضعفهم ٧٧ وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لا ينافى ما ذكر من إبلاهم لأنه جزاء وتمن للموت لفرط الشدة (قال) * إنكم ماكثون) أى فى العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يجيهم إلا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة (لقد جئناكم بالحق) فى الدنيا ٧٨ بإرسال الرسل وإزالة الكتب وهو خطاب توبيخ وتقرير من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضميراً لله تعالى (ولكن أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لا يقبلونه وينفرون عنه أما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشتمزون منه (أم) ٧٩ أبرموا أمراً) كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للاتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للإنكار فإن أريد بالإبرام الأحكام حقيقة فهى لإنكار الوقوع واستبعاده وإن أريد الأحكام صورة فهى لإنكار الواقع واستقباحه أى أبرم مشركو مكة أمراً من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه (فإننا مبرمون) كيدنا حقيقة لا هم أو فإننا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى أنديةهم ويتشاورون فى أموره

- ٤٣ الزخرف أمَّ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ مِرَّهْمَ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾
- ٤٣ الزخرف قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾
- ٤٣ الزخرف سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
- ٤٣ الزخرف فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾
- ٤٣ الزخرف وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

- ٨٠ عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أي بل يحسبون (أنا لا نسمع سرهم) وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال (ونجواهم) أي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي (بلى) نحن نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلزمونهم أينما كانوا (لديهم) عندهم (يكتبون) أي يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة إما عطف على ما ترجم عنه بلى أو حال أي نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون (قل) أي للكفرة تحقيراً للحق وتنبهاً لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبوديتهم بل إنما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أي له وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد أن مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآنفين أي المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه وقيل إن نافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرئ ولد (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أي يصفونه به من أن يكون له ولد وفي إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شيء منها جزءاً منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش (فذرهم) حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي (يخوضوا) في أباطيلهم (ويلعبوا) في دنياهم فإن ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست إلا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الأمر (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) من يوم القيامة فإنهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبي عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ الزخرف ٤٣
وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ الزخرف ٤٣
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ الزخرف ٤٣
وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ الزخرف ٤٣
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ الزخرف ٤٣

بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذي مستحق لأن يعبد فيه ما وقد مر تحقيقه في سورة الأنعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله والراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبراً مقدماً وإله مبتدأ مؤخر للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول وإله خبراً لمبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية لأعلى سبيل الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الإلهية به تعالى وقوله تعالى (وهو الحكيم العليم) كالدليل على ما قبله *
(وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) إما على الدوام كالهواء أو في بعض الأوقات ٨٥ كالطير (وعنده علم الساعة) أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة (وإليه ترجعون) للجزاء والالتفات *
للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون) أي يدعونهم وقرئ بالتاء ٨٦ مخففاً ومشدداً (من دونه الشفاعة) كما يزعمون (إلا من شهد بالحق) الذي هو التوحيد (وهم يعلمون) *
بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كأن الأفراد أولاً باعتبار لفظها والاستثناء إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام
(ولئن سألتهم من خلقهم) أي سألت العابدين والمعبودين (ليقولن الله) لتعذر الإنكار لغاية بطلانه ٨٧ (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقاً له تعالى *
(وقيله) بالجر إما على أنه عطف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام (يارب) ٨٨ الخ فإن القول والقليل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسمة وقوله تعالى (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفي الإقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتقدير دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو بإضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم ٨٩ واقطع عن إيمانهم (وقل سلام) أي أمرى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل

٤٤ — سورة الدخان

نزلت بمكة وآياتها تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ الدخان

حـ ①

٤٤ الدخان

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ②

٤٤ الدخان

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ③

٤٤ الدخان

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④

في حيز قل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب .

(سورة الدخان مكية لإلا قوله إنا كاشفوا العذاب وآياتها تسع وخمسون آية)

٢٠١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) (والكتاب المبين) الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة

٣ (إنا أنزلناه) أي الكتاب المبين الذي هو القرآن (في ليلة مباركة) هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة

ابتدى فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من الروح وأملأه جبريل عليه السلام على السفرة

ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها

بالبركة لما أن نزل القرآن مستتبعا للنافع الدينية والديوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة

والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأفضية وفضيلة العبادة وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهره (إنا كنا منذرين) استئناف مبين

لما يقضى الإنزال كأنه قيل إنا أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وقيل جواب

٤ للقسم وقوله تعالى إنا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف (فيها يفرق كل أمر حكيم)

استئناف كما قبله فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي أن ينزل

فيها القرآن الذي هو من عظامها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة

القدر ومعنى يفرق أنه يكتب وينفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه

الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ

في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكايل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذا الزلازل والخسوف

والصواعق ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى

ملك الموت عليهم السلام وقرىء يفرق بالتشديد وقرىء يفرق على البناء للفاعل أي يفرق الله تعالى

- ٤٤ الدخان أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾
- ٤٤ الدخان رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾
- ٤٤ الدخان رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾
- ٤٤ الدخان لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
- ٤٤ الدخان بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

- ٥ كل أمر حكيم وقرى. ففرق بنون العظمة (أمر من عندنا) نصب على الاختصاص أى أعنى هذا الأمر أمر حاصل من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالاً من كل أمر لتخصسه بالوصف أو من ضميره فى حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى ويجعل مصدراً مؤكداً ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالاً من أحد ضميرى أنزلناه أى أمرين أو مأموراً به (إنا كنا منذرين) بدل من إنا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى (رحمة من ربك) غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا لإرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة لإرسالهم ووضع الرزق موضع الضمير الإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو لتلليل ليفرق أو لقوله تعالى أمر على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كما فى قوله تعالى وما يسلك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا لإرسال رحمتنا ولا ريب فى أن كلاماً من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فإن الغاية لتكليف العباد تعريضهم للنافع وقرى. رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى (إنه هو السميع العليم) تحضيق لربوبيته تعالى وأنها لا تحق إلا لمن هذه نعمته (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من أو بيان أو نعمت وقرى. بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على إضمار مبتدأ (إن كنتم موقنين) أى إن كنتم من أهل الإيقان فى العلوم أو إن كنتم موقنين فى إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما إذا سلمتم من خلقها فقلتم الله علم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا إله إلا هو) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض ٨ (يحي ويميت) مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى (ربكم ورب آبائكم الأولين) بإضمار مبتدأ أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعمت له وقيل فاعل يميمت وفى يحيى ضمير راجع إلى رب السموات وقرى. بالجر بدلاً من رب السموات على قراءة الجر (بل هم فى شك) مما ذكر من شئونه ٩ تعالى غير موقنين فى إقرارهم (يلعبون) لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان بل مخلوطاً بهز ولعب *

٤٤ الدخان

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ⑩

٤٤ الدخان

يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑪

٤٤ الدخان

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑫

٤٤ الدخان

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑬

٤٤ الدخان

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑭

١٠. والفاء في قوله تعالى (فارتقب) لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ما قبلها فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حتماً أي فانتظر لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضغف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخاناً وذلك أن قريشاً لما استعصت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعليز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل يسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يغشى الناس) أي يحيط بهم (هذا عذاب أليم) أي تألمين ذلك فشى إليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان وقرمه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه
١٢. إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب بمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكاة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخوبه وأذنيه ودهره والأول هو الذي استدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فإن قوله تعالى
١٣. (أنى لهم الذكرى) الخ رد لكلامهم واستدعائهم للكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أي كف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم (وقد جاءهم رسول مبين) أي والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه في إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين
١٤. لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال (ثم تولوا عنه) عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظام الموجبة للإقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولي

٤٤ الدخان

إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾

٤٤ الدخان

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

٤٤ الدخان

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾

٤٤ الدخان

أَن أَدُّوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

٤٤ الدخان

وَأَن لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾

- (وقالوا) في حقه (معلم مجنون) أى قالوا نارة يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو * يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طغى وقوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى إنا نكشف العذاب الموعود عنكم كشفاً قليلا أوزماناً قليلا إنكم تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والإصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لاحالة ولقد وقع كلامهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا أن عادوا إلى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الأشرار قال إذا جاء الدخان تضور المذبذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوماً ورثنا يكشفه عنهم يرتدون ولا يسمهون (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى (إنا منتقمون) لا لمنتقمون لأن إن مألعة من ذلك أى يومئذ ننتقم إنا منتقمون وقيل * هو بدل من يوم تأتي الخ وقرئ نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصوله أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهى لغة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أى امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام أو أوقناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للبالغة أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على المؤمنين أو في نفسه لأن الله تعالى لم يعث نبياً إلا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا إلى عباد الله) ١٨ أى بأن أدوا إلى بنى إسرائيل وأرسلهم معى أو بأن أدوا إلى عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجيء الرسول لا يكون إلا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا إلى الخ وقوله تعالى (إني لكم رسول أمين) تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد اتسمنى الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة (وأن لاتعلوا على الله) أى لاتتكبروا ١٩ عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى (إني آتيتكم) أى من جهته تعالى *

٤٤ الدخان

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ٢٠

٤٤ الدخان

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ ٢١

٤٤ الدخان

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ٢٢

٤٤ الدخان

فَأَسْرَعَ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ٢٣

٤٤ الدخان

وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ ٢٤

٤٤ الدخان

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٥

٤٤ الدخان

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٢٦

٤٤ الدخان

وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ٢٧

٤٤ الدخان

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٢٨

- * (بسلطان مبین) تعلیل للنهی ای آتیہکم بحجة واضحة لا سبیل إلى إنكارها وآتیہکم علی صیغة الفاعل ٢٠ أو المضارع وفي إيراد الأداء مع الأمين والسلطان مع العلام من الجزالة مالا يخفى (وإني عذت بربي وربكم) أي التجات إليه وتوكلت عليه (أن ترجون) من أن ترجوني أي تؤذوني ضرباً أو شتياً أو أن تقتلوني قيل لما قال وأن لا تعملوا على الله توعده بالقتل وقرىء بإدغام الذال في التاء (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافاً لا على ولا لي ولا تعرضوا لبشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة ٢١
- ٢٢ عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن بإباه المقام (فدعاه) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام (إن هؤلاء) أي بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك سمى دعاء وقرىء بالكسر على إضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل ٢٣ هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (فأسر بعبادي ليلاً) بإضمار القول إما بعد الفاء أي فقال ربه أسر بعبادي وإما قبلها كأنه قيل إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي أي ببني إسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرىء بوصل الهمزة من سري (إنكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وجنوده ٢٤ بعد ما علموا بخروجكم (واترك البحر رهواً) مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط (إنهم جند مفروقون) وقرىء أنهم ٢٥ بالفتح أي لأنهم (كم تركوا) أي كثيراً تركوا بمصر (من جنات وعيون) (وزروع ومقام كريم) محافل مزيّنة ومنازل محسنة (ونعمة) أي تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرىء فاكهين ٢٧ (كذلك) الكاف في حيز النصب وذلك إشارة إلى مصدر يدل عليه تركوا أي مثل ذلك السلب سلبناهم ٢٨

٤٤ الدخان	فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾
٤٤ الدخان	وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾
٤٤ الدخان	مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
٤٤ الدخان	وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾
٤٤ الدخان	وَمَا أَتَيْنَاهُمُ مِنَ الْآيَاتِ مَافِيهِ بَلْتَوْا مَبِينٌ ﴿٣٣﴾
٤٤ الدخان	إِنِّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾
٤٤ الدخان	إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾

- إياها (وأورثناها قوماً آخرين) وقيل مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على
الخبرية أى الأمر كذلك فينشذ يكون أورثناها معطوفاً على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدّر
(فما بكت عليهم السماء والأرض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجدهم فيه تهكم
٢٩ بهم وبجأهم المنافية لحال من يعظم فقداه فيقال له بكت السماء والأرض ومنه ما روى أن المؤمن ليبكى
عليه مصلاه ومحل عبادته ومساعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الأرض وقيل تقديره أهل السماء
والأرض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) مهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل
* عجل لهم في الدنيا (ولقد نجينا بني إسرائيل) بأن فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) ٣٠
من استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستحياء نساءهم على الخسف والضم (من فرعون) يدل من ٣١
العذاب إما على جعله نفس العذاب لإفراجه فيه وإما على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال
من المهين أى كأننا من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعته
وفى إبهام أمره أولاً وتبينته بقوله تعالى (إنه كان جليلاً من المسرفين) نائياً من الإفصاح عن كنه أمره
* فى الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين إما خبر ثان لكان أى كان متكبراً مسرفاً
أو حال من الضمير فى عالياً أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فانقأ لهم بليغاً فى الإسراف (ولقد ٣٢
اخترناهم) أى بنى إسرائيل (على علم) أى عالين بأنهم أحقاء بالاختيار أو عالين بأنهم يزيغون فى
الأوقات ويكثر منهم الفرجات (على العالمين) جميعاً لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم (وآتيناهم ٣٣
من الآيات) كغلق البحر وتظليل النعام وإزالة المن والسلوى وغيرها من عظام الآيات التى لم يعد
مثلاً فى غيرهم (ما فيه بلاه مبین) نعمة جليلة أو اختبار ظاهر للنظر كيف يعملون (إن هؤلاء) يعنى ٣٤
كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الإصرار على الضلالة
والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم (ليقولون) (إن هى إلا موتتنا الأولى) أى ما العاقبة ونهاية ٣٥
الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد إلى إثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد

٤٤ الدخان

فَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾

٤٤ الدخان

أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

٤٤ الدخان

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿٣٨﴾

٤٤ الدخان

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

٤٤ الدخان

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون مودة تعقبها حياة كما تقدمتم مودة كذلك قالوا ما هي إلا موتتنا الأولى أي ما المودة التي تعقبها حياة إلا المودة الأولى وقيل المعنى ليست المودة إلا هذه المودة دون المودة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فاتوا بآبائنا) خطاب إن وعدم بالشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (إن كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله تعالى فيلشروهم قصي ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفرغهم في المهمات والمهمات (أهم خير) رد لقولهم وتهديد لهم أي أهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفعهما أسباب الهلاك (أم قوم تبع) هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك بحراً وبحراً أي بحاراً كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا نسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع ندياً أو غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان نبياً وقيل للملك العيين التابعة لأنهم يتبعون كما يقال لهم الأقبال لأنهم يتقبلون (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى (أهلكناهم) استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى (إنهم كانوا مجرمين) تعليل لإهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلأنهم هلكوا وهم شركاء لهم في الإجرام أضعف منهم في الشدة والقوة أولى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) أي ما بين الجنسين ٣٨ وقرئ وما بينهما (للعين) لاهين من غير أن يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة (ما خلقناهما) وما بينهما (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أي ما خلقناهما ملتبساً بشيء من الأشياء إلا ملتبساً بالحق أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذي هو الإيمان والطاعة ٣٩ والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك فيشكرون البعث والجزاء (إن يوم الفصل) أي فصل الحق عن الباطل وتمييز الحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبابه (مقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرئ مقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل.

٤٤ الدخان

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

٤٤ الدخان

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

٤٤ الدخان

إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾

٤٤ الدخان

طَعَامُ الْأُنِيمِ ﴿٤٤﴾

٤٤ الدخان

كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾

٤٤ الدخان

كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾

٤٤ الدخان

خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِنَّ سَوَاءَ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾

٤٤ الدخان

ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾

٤٤ الدخان

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

٤٤ الدخان

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

- (يوم لا يغني) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لانفسه (مولى) ٤١
 من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيئاً) أى شيئاً من الإغناء (ولا هم ينصرون) الضمير
 لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام (إلا من رحم الله) بالعمو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحل الرفع ٤٢
 على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (إنه هو العزيز) الذى لا ينصر من أراد تعذيبه (الرحيم) *
 لمن أراد أن يرحمه (إن شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات ٤٣
 (طعام أئيم) أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالهمل) وهو ٥٠٤٤
 ما يهمل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت (يغلى فى البطون) وقرئ بالتاء على إسناد الفعل *
 إلى الشجرة (كغلى الحميم) غلياً ناعظ عليه (خذه) على إرادة القول والخطاب للزبانية (فاعتلوه) ٧٠٤٦
 أى جروه والعتل الأخذ بمجامع الشئ وجره بقر وعنف وقرئ بضم التاء وهى لغة فيه (إلى سواء) *
 (الحميم) أى وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان الأصل يصب من فوق رؤسهم الحميم ٤٨
 فقليل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من
 للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق إنك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء ٤٩
 به وتقريباً له على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أعز
 ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل لى شيئاً وقرئ بالفتح أى لأنك أو عذاب
 أنك (إن هذا) أى العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن ٥٠
 ٩ - أبى السعود ج ٨

٤٤ الدخان	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾
٤٤ الدخان	فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
٤٤ الدخان	يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
٤٤ الدخان	كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾
٤٤ الدخان	يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾
٤٤ الدخان	لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْهُم بِحُجْرٍ أَرْضَ النَّارِ ﴿٥٦﴾
٤٤ الدخان	فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾
٤٤ الدخان	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
٤٤ الدخان	فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

- ٥١ المراد جنس الأنيم (إن المتقين) أى عن الكفر والمعاصي (في مقام) في موضع قيام والمراد المكان على الإطلاق فإنه من الخاص الذى شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع إقامة (أمين) يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الأمن الذى هو ضد الحياة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان الخفيف يخون صاحبه لما يلقي فيه من المسكاره (في جنات وعيون) بدل من مقام جاء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات الماء كل والمشارب (يلبسون من سندس وإستبرق) إما خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب (متقابلين) في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الأمر كذلك أو كذلك أثبتناهم (وزوجناهم بحور عين) على الوصف وقرئ بالإضافة أى قرناهم بهن والهور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان (آمنين) من كل ما يسوؤهم (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) بل يستمرون على الحياة أبداً والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى حينئذ (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ مشدداً للبالغة في الوقاية (فضلاً من ربك) أى أعطوا ذلك كله عطاءً وتفضلاً منه تعالى وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه إذ هو خلاص عن جميع المسكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) فذلك للسورة الكريمة أى إنما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه وإذالم يفهموا ذلك (فارتقب)

٤٥ - سورة الجاثية

(مكية وهي سبع وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ الجاثية

حَمْدٌ

٤٥ الجاثية

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

٤٥ الجاثية

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

٤٥ الجاثية

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

فانتظر مايجل بهم (لأنهم مرتقبون) مايجل بك . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان * ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له .

(سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فإن جمل اسماً للصورة فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا مسمى بحم والإشارة إلى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مراراً وإن جعل مسروداً على نمط التعديد فلا حظ له من الإعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمرة يروح به ما قبله أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مراراً أن الذى يجعل عنواناً للوضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه وإذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الإخبار بها وأما جعله خبراً له بتقدير المضاف والمبنياء التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فعمرائه عن إفادة فائدة يعتد بها تحمل وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب * صفته وجواب القسم قوله تعالى (إن في السموات والأرض آيات للمؤمنين) وهو على الوجوه المتقدمة ٣ كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية ومحل الآيات إما نفس السموات والأرض فإنهما منظومتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان وإما خلقهما كما في قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض وهو الأفق بقوله تعالى (وفي خلقكم) أى من نقطة ثم من علقه متقابلة ٤ في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق (وما يبعث من دابة) عطف على المضاف دون المضاف إليه أى وفيما نشره وبفرقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجمل معطوفة على ما قبلها * من الجملة المصدرة بأن وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يحوزه وقرئ

وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ؕ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾

وَيَلَّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٥٧﴾

يَسْمَعُ ؕ آيَاتِ اللَّهِ تُنْثَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥٨﴾

- آية بالتوحيد وقرىء آيات بالنصب عطفاً على ما قبلها من اسم إن والخبر كأنه قيل وإن في خلقكم وما يبت من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالآشياء على ما هي عليه (واختلاف الليل والنهار) بالجر على إضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرىء بذكره والمراد باختلافهما إما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصراً (وما أنزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق) أى من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيهاً على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة (فأحيا به الأرض) بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمار والنبات (بعد موتها) وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار (وتصريف الرياح) من جهة إلى أخرى ومن حال إلى حال وقرىء بتوحيد الريح وتأخيرها عن إزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود إما للإيدان بأنه آية مستقلة حيث لوروى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وإزال المطر آية واحدة وإما لأن كون التصريف آية ليس مجرد كونه مبدأ لإنشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرىء بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم إن والجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما إن وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجبر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفاً واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلال (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (تتلوها عليك) حال عاملها معنى الإشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان (بالحق) حال من فاعل تتلو ومن مفعوله أى تتلوها محققين أو ملتبسة بالحق (فبأى حديث) من الأحاديث (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضاً ومناطق العطف التغاير العنوانى (يؤمنون) بصيغة الغيبة وقرىء بالتاء (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لأفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى أثيم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا مصاغ لجملة مفعولا ثانياً ليسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده بما لا يسمع

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٠﴾
 مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

٤٥ الجاثية

٤٥ الجاثية

هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾

- * كقولك سمعت زيداً يقرأ (ثم يصر) أى يقيم على كفره وأمله من إصرار الحمار على العانة (مستكبراً)
- * عن الإيمان بما سمعه من آيات الله تعالى والإذعان لما تنطق مزدرياً لها معجباً بما عنده من الأباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تدع لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال [يرى غمرات الموت ثم يزورها] (كان لم يسمعها) أى كائن لم يسمعها تخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أى يصر شيئاً بغير السامع (فبشره بعذاب أليم) على إصراره واستكباره
- * (وإذا علم من آياتنا شيئاً) أى إذا بلغه من آياتنا شيء وعلم أنه من آياتنا لا أنه عليه كما هو عليه فإنه بمزول من ذلك العلم وقيل إذا علم منها شيئاً يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملاً فاسداً يتوصل به إلى الطعن والغمزة (اتخذها) أى الآيات كلها (هزواً) أى مهزواً بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتأنيث لأنه في معنى الآيات (أولئك) إشارة إلى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبانج والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الأفراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جنائياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب بالإهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أى من قدامهم لأنهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فإن الراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف وقدام (ولا يغني عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الأموال والأولاد (شيئاً) من عذاب الله تعالى أو شيئاً من الإغناء (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى الأصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع أن عدم إغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد قطعاً مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هذا) أى القرآن (هدى) في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أى بالقرآن وإنما وضع موضع ضميره قوله تعالى (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتقطيع حالهم (لهم عذاب من رجز) أى من أشد العذاب (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرى بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعها إما على الابتداء وإما على الفاعلية .

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

٤٥ الجاثية

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ٤٥ الجاثية
قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ٤٥ الجاثية

- ١٢ (الله الذي سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما ينخلل كالأخشاب ولا يمنع الغوص
* والخرق لميعانه (لتجري الفلك فيه بأمره) وأتم وأكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص
١٣ والصيد وغيرها (ولعلمكم تشكرون) ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم ما في السموات
* وما في الأرض) من الموجودات بأن جعلها مدار المنافعكم (جميعاً) إما حال من ما في السموات والأرض
* أو توكيد له (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لـجميعاً أو حال من ما أي جميعاً كائناً منه تعالى أو سخر
* لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أي هي جميعاً منه تعالى وقرئ منه على
* المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو خبر مبتدأ محذوف أي ذلك منه (إن
* في ذلك) أي فيما ذكر من الأمور العظام (آيات) عظيمة الشأن كثيرة العدد (لقوم يتفكرون)
١٤ في بدائع صنع الله تعالى فإنهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوقفون لشكرها (قل
* للذين آمنوا) حذف المقول لدلالة (يغفروا) عليه فإنه جواب للأمر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه
* فقط أي قل لهم اغفروا يغفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أي يغفروا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون
* وقائه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا ياملون الأوقات التي وقها الله تعالى لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل زلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه
حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبي ماقال وذلك أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق
على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبي غلامه يستقي فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام
عمر قد على طرف البئر فترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر
فقال ابن أبي ماملنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتعل
* سيقه يريد التوجه إليه فأنزلها الله تعالى (ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون) تعليل للأمر بالمغفرة والمراد
بالقوم المؤمنون والتشكير مدحهم والثناء عليهم أي أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوماً أيما قوم
قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار والإغضاء
عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم
الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتشكير للتحقير وفيه
أنه مطلق الجزاء لا يصلح تعليلاً للأمر بالمغفرة لتحققه على تقدير المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه
بالكل بأن لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ٤٥ الجاثية

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ٤٥ الجاثية

وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبِيتُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ

يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ٤٥ الجاثية

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ٤٥ الجاثية

إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ٤٥ الجاثية

هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٥ الجاثية

- يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفاً وأشد تمحلاً وقرىء ليجزى قوم وليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً وقرىء لنجزى بنون العظمة (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) لا يكاد يسرى عمل إلى غير عامله (ثم إلى ربكم) مالك أموركم (ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيراً كان أو شراً (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم (والنبوّة) حيث كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثّر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) بما أحل الله تعالى من اللذائذ كاللبن والسلوى (وفضّلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم يثّر من عدايم من فلق البحر وإظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (فما اختلفوا) فى ذلك الأمر (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقيقته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لرسوخه (بغياً بينهم) أى عداوة وحسداً لاشكا فيه (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة) بالمواخذه والجزاء (فما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشأن (من الأمر) أى أمر الدين (فاتبعها) بإجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير إخلال بشيء منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك (لأنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) بما أراد بك إن اتبعتهم (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) لا يوالىهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم (والله ولى المتقين) الذين أنت قدوتهم قدم على ما أنت عليه من تولى به خاصة والإعراض عما سواه بالكلية (هذا) أى القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) ٢٠

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً
نَجْيَتُهُمْ وَمَنَآتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

٤٥ الجاثية

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ٤٥ الجاثية

- * فإن ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب (وهدي) من ورطة الضلالة (ورحة)
٢١ عظيمة (لقوم يوقنون) من شأنهم الإيقان بالأمور (أم حسب الذين اجتروا السيئات) استئناف
مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين لإثريان تباين حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها
من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثانى والهمزة لإنكار الحسبان لكن لا بطريق إنكار
الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل
المتقين كالفسجار بل بـ ريق إنكار الواقع واستباحه والتوبيخ عليه والاجترأح الاكتساب (أن
نجعلهم) أى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وم على ما هم عليه من مساوى الأحوال (كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعامهم معاملتهم فى الكرامة ورفع الدرجة (سواء
حياتهم ومماتهم) أى يحيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معاً لاشتراكه على
ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى وحياتهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن
نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً وحياتهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شىء منهما فإن هؤلاء فى
عز الإيمان والطاعة وشرفهما فى الحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى المات وأولئك فى ذل الكفر
والمعاصى وهوانهما فى الحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى المات شتان بينهما وقد قيل المراد لإنكار
أن يستووا فى المات كما استووا فى الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو وحياتهم فى الرزق والصحة وإنما
يفترقون فى المات وقرىء وحياتهم ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله
أى حال كونهم مستوين فى وحياتهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية الكريمة وجوه أخر من الإغراب والذى
يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر وحياتهم مبتدأ فـ قيل الجملة بدل
من الكاف وقيل حال وأياً ما كان فنسبة حسان التساوى إليهم فى ضمن الإنكار التوبيخى مع أنهم
بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للبالغة فى الإنكار والتشديد فى التوبيخ فإن لإنكار حسان
التساوى والتوبيخ عليه لإنكار الحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده (سواء
ما يحكمون) أى سواء حكمهم هذا أو بشىء شيئاً حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والأرض بالحق)
٢٢ استئناف مقرر لما سبق من الحكم فإن خلق الله تعالى لها ولما فيها بالحق المقتضى للعدل يستدعى لاحتالة
تفضيل المحسن على المسيء فى الحيا والمات واتصار المظلوم من الظالم وإذا لم يطرد ذلك فى الحيا فهو
بعد المات حتماً (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل لاذ معناه خلقها
مقرونة بالحكمة والصواب دون البعث والباطل لخاصه خلقها لأجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ

٤٥ الجاثية

غِشْوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِّنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ

٤٥ الجاثية

إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

وَإِذَا تَلَّيْنَاهُمْ أَئِنَّا لَمَبِينَةٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَٰئِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٥ الجاثية

- * محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف قاعدة أهل السنة لبيان غاية تزهة ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكانه عبده أى أنظرت فرأيت فإذ ذلك مما يقضى منه العجب وقرىء آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه فكانه اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أى عالماً بضلاله
- * وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لا يتأثر بالمواظ ولا يتفكر فى الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرىء بفتح الغين وضما وقرىء غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد إضلاله تعالى لإياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى النى (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرىء تذكرون على الأصل
- ٢٤ (وقالوا) بيان لأحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ماهى) أى ما الحياة (إلا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفاً وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وقرىء نحيا (وما يهلكنا إلا الدهر) إلا مرور الزمان وهو فى الأصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرىء إلا دهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك النفس هو مرور الأيام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك) أى بما ذكر من اقتصار الحياة على ما فى الدنيا واستناد الحياة والموت إلى الدهر (من علم) ما مستند إلى عقل أو نقل (إن هم إلا يظنون) مأمم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شيء يصح أن يتمسك به فى الجملة هذا مع تقدم الفاسد فى أنفسهم (وإذا تلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذى ٢٥ من جملته البعث (بينات) واضحات الدلالة على ما نطقت به أو مينات له (ما كان حجتهم) بالنصب

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

٤٥ الجاثية

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

٤٥ الجاثية

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

٤٥ الجاثية

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

٤٥ الجاثية

- * على أنه خبر كان أى ما كان متمسكا لهم شيء من الأشياء (إلا أن قالوا انتوا بأبائنا إن كنتم صادقين) في أنا نبعت بعد الموت أى هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسمية حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهم بهم أولآنه من قبيل [تحية بينهم ضرب وجيع] وقرىء برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الأشياء إلا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) بعد الموت (إلى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والإتيان بأبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
- * استدراك من قوله تعالى لاريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتياهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكير لا لأن فيه شائبة ريب ما
- ٢٧ (ولله ملك السموات والأرض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف السكى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل إثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالإحياء والإماتة والبعث والجمع للمجازاة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يحشر المبطلون) العامل فى يوم يحشرو ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الأمم المجموعة (جاثية) باركة على الركب مستوفزة وقرىء جاذية أى جالسة على أطراف الأصابع والجدو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثو وهى الجماعة
- * (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحيفة أعمالها وقرىء كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أضيف إلى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لآمره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم) أى يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (إننا كنا نستنسخ) الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشيء منها أى إننا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ٤٥ الجاثية
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ ٤٥ الجاثية
وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُتَّبِعِينَ ﴿٣٢﴾ ٤٥ الجاثية
وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ٤٥ الجاثية
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنَسِكُ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ٤٥ الجاثية
ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ٤٥ الجاثية

- وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أى في جنته تفصيل لما
يفعل بالآدم بعد بيان ماخطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد (ذلك) أى الذى ذكر من
الإدخال في رحمته تعالى (هو الفوز المبين) الظاهر كونه فوزاً لا فوز وراه (وأما الذين كفروا أفلم
تكن آياتى تتلى عليكم) أى يقال لهم بطريق التوبيخ والتفريع ألم يكن تأيتكم رسلى فلم تكن آياتى
تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه (فاستكبرتم) عن الإيمان بها (وكنتم قوماً
مجرمين) أى قوماً عادتهم الإجرام (وإذا قيل إن وعد الله) أى ماوعده من الأمور الآتية أو وعده
بذلك (حق) أى واقع لا محالة أو مطابق للواقع (والساعة) التى هى أشهر ما وعده (لا ريب فيها)
أى في وقوعها وقرىء والساعة بالنصب عطفاً على اسم إن وقراءة الرفع للعطف على محل إن واسمها
(قلتم) لغاية عتوكم (ما ندرى ما الساعة) أى شئء هى استغراباً لها (إن نظن إلا ظناً) أى ما نفعل
إلا ظناً وقدر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى وقيل ما نعتقد إلا ظناً أى لا علماً وقيل ما نحن
إلا نظن ظناً وقيل ما نظن إلا ظناً ضعيفاً ويرده قوله تعالى (وما نحن بمستيقنين) أى لا مكانه فإن مقابل
الإستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ماهى إلا حياتنا الدنيا (وبدا لهم) أى ظهر
لهم حينئذ (سيئات ما عملوا) على ماهى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعانوا وخامه عاقبتها أو جزاءها
فإن جزاء السيئة سيئة (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) من الجزاء والعقاب (وقيل اليوم ننساكم) ترككم
في العذاب ترك المنسى (كما نسيت) في الدنيا (لقاء يومكم هذا) أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة
اللقاء إلى اليوم لإضافة المصدر إلى ظرفه (وماوأكم النار وما لكم من ناصرين) أى ما لأحد منكم
ناصر واحد يخلصكم منها (ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزواً) مهزواً ٣٥

٤٥ الجاثية

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾

٤٥ الجاثية

وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

- * بها ولم ترفعوا لها رأساً (وغرتكم الحياة الدنيا) خستتم أن لاهية سواها (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار وقرىء يخرجون من الخروج والالتفات إلى الغيبة للإيدان ياسقاطهم عن رتبة الخطاب
- * استهانة بهم أو بقلمهم من مقام الخطاب إلى غيبة النار (ولا هم يستعقبون) أى يطلب منهم أن يعتبوا
- ٣٦ ربهم أى يرضوه لفوات أوانه (فله الحمد) خاصة (رب السموات ورب الأرض رب العالمين) فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيدان بأن ربوبية تعالى لكل منها بطريق الأصالة وقرىء
- ٣٧ برفع الثلاثة على المدح يا ضمار هو (وله الكبرياء فى السموات والأرض) لظهور آثارها وأحكامها
- * فيهما وإظهارهما فى موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز) الذى لا يغلب (الحكيم) فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب .

٤٦ - سورة الأحقاف

(مكة وهي خمس وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم

٤٦ الأحقاف

٤٦ الأحقاف

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا

مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾

٤٦ الأحقاف

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتَوِي

٤٦ الأحقاف

بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾

(سورة الأحقاف مكة وآياتها خمس وثلاثون)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذي ٢٠، ١
 مر في مطلع السورة السابقة (ما خلقنا السموات والأرض) بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث ٣
 الاستقرار فيهما (وما بينهما) من المخلوقات (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى إلا خلقاً *
 ملتبساً بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الأحوال من فاعل خلقنا أو
 مفعوله أى ما خلقناها فى حال من الأحوال لإحالة ما لا يستقنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من
 الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتداء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها إلى غايات جليلة
 ما لا يخفى (وأجل مسمى) عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى إليه أمر
 الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو
 آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى (والذين كفروا عما أُنذروا معرضون) فإن *
 ما أُنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والأحوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية
 والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق إلا بالحق وتقدير الأجل الذى يجاوزون عنده والحال أنهم غير مؤمنين
 به معرضون عنه وعن الاستعداد له (قل) توبيخاً لهم وتبكيماً (أرأيتم) أخبروني وقرئ (أرأيتمكم
 ٤ (ماتدعون) ماتعبدون (من دون الله) من الأصنام (أروني) تأكيد لأرأيتم (ماذا خلقوا من
 الأرض) بيان للإيهام فى ماذا (أم لهم شرك) أى شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها *
 أو ملكها وتديرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمبودية فإن ما لا مدخل له فى وجود

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

٤٦ الأخاف

٤٦ الأخاف

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ٤٦ الأخاف

شئ من الأشياء بوجه من الوجوه فهو بمنزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وإن كان من الأحياء العقلاء
 * فما ظنكم بالجناد وقوله تعالى (انتوني بكتاب) الخ تكيت لهم بتمجيزهم عن الإتيان بسند نقل بعد
 * تكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي أي انتوني بكتاب إلهي كائن (من قبل هذا) الكتاب أي
 * القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم (أو إثارة من علم) أو بقية من علم ببيت
 * عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة (إن كنتم صادقين) في دعواكم فإنها لا تكاد
 * تصح ما لم يقيم عليها برهان عقلي أو سلطان نقل وحيث لم يقيم عليها شئ منها وقد قامت على خلافها
 * أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرىء إثارة بكسر الهمزة أي مناظرة فإنها تثير المعاني وأثرة أي
 * شئ أو أثرتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون التاء أما المكسورة
 * فبمعنى الأثرة وأما المفتوحة فهي المرة من أثر الحديث أي رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة
 * التي هي اسم ما يخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) إنكار ونفي لأن
 * يكون أحد يساوي المشركين في الضلال وإن كان سبك التركيب لنفي الأضل منهم من غير تعرض
 * لنفي المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب
 * * الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة (إلى يوم القيامة) غاية لنفي الاستجابة
 * (وهم عن دعائهم) الضمير الأول للمفعول يدعوا الثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كأن الأفراد
 * * فيما سبق باعتبار لفظها (غافلون) لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لإجرائهم إياها مجرى العقلاء
 * ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للترك بها وبعدها كقوله تعالى إن تدعوه
 * ٦ لا يسمعون دعاءكم الآية (وإذا حشر الناس) عند قيام القيامة (كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)
 * أي مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحكي الأصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز
 * أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والإنس وغيرهم وبني إرجاع الضمائر وإسناد
 * العداوة والكفر إليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة
 * ٧ وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبینات (قال
 * الذين كفروا للحق) أي لأجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضمير هاتنصيصاً
 * على حقيقتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلاً عليهم بكال الكفر
 * * والضلالة (لما جاءهم) أي في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا سحر مبين) أي ظاهر كونه

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

٤٦ الأحقاف

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

٤٦ الأحقاف

- ٨ (أم يقولون افتراه) لإضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية ماهو أشنع منها وما في أم من الهمزة للإنكار التويخي المتضمن للتعجب أى بل يقولون افترى القرآن (قل إن افتريته) * على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيئاً) إذ لارب فى أنه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف أجتريه * على أن افترى عليه تعالى كذباً فأعرض نفسى للعقوبة التى لامناص عنها (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى * تندفعون فبه من القرح فى وحي الله والظعن فى آياته وتسميته سحر آتارة وفرية أخرى (كنى به شهيداً بينى وبينكم) حيث يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله تعالى عنهم * مع عظم جرائمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع بمعنى البديع كالخلل بمعنى الخليل وهو مالا ٩ مثل له وقرىء بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الأولى أيضاً على أنه مصدر كانوا يفترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجبية ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعاً من الرسل قادراً على مالم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تنقروونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فإن من قبل من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم إلا بما أوحى إليهم (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أى أى شىء يصيبنى فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا * يقدر لنا من القضايا وعن الحسن رضى الله عنه ما أدرى ما يصير إليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز أن يكون المنفى هى الدراية المفصلة والأظهر الأوفق لما ذكر من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما يقع فى الآخرة فإن العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجائنين هذا وقد روى عن الكلبي أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أترك بكم أم أومر بالخروج إلى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه وجوز أن تكون ماموصولة والاستفهامية أفضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفى المنسحب إليه وتأكيده

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَعَامَنَ
وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾

٤٦ الأحقاف

* وقرئ ما يفعل على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) أى ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع إلى الأفهام وقد مر تحقيقه في سورة الأنعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعمال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والأول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أنا إلا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبا يوحى إلى (مبين) بين الإنذار بالمعجزات الباهرة (قل أرايتم إن كان) أى ما يوحى إلى من القرآن (من عند الله) لا سحراً ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى (وكفرتهم به) حال يا ضمير قد من الضمير في الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما في قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتهم به لكن لا على أن نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندم فإن كفرهم به أمر محقق عندم أيضاً وإنما ترددهم في أن ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال في قوله تعالى (وشهد شاهد من بني إسرائيل) وما بعده من الفعلين فإن الكل أمور محققة عندم وإنما ترددهم في أنها شهادة وإيمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولاً والمعنى أخبروني إن كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتهم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني إسرائيل الواقفين على شئون الله تعالى وأسرار الوحي بما أوتوا من التوراة (على مثله) أى مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فإنها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وإنه لفي ذر الأولين وقوله تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات آخر أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى (فأمن) الدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له إنى سأنالك عن ثلاث لا يعلمن إلا نبي ما أول أشرط الساعة وما أول طعام أكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشرط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزع وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً فقام ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا ياسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾

٤٦ الأحقاف

وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرِيبٍ لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

٤٦ الأحقاف

وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلننا وابن أعلننا قال رأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانت قصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله ابن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فإن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية وإن كانت السورة مكية (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني إن كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فأمن به من غير تلثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل رأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) فإن عدم الهداية بما ينبي عن الضلال قطعاً ووصفهم بالظلم للإشعار بعلّة الحكم فإن تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر ١١ من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أي قال كفار مكة (الذين آمنوا) أي لأجلهم (لو كان) أي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين (خيراً ما سبقونا إليه) فإن معالي الأمور لا ينالها أيدي الأراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعماً منهم أن الرياسة الدينية بما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا ولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنهم منوطه بكالات نفسانية قوم ملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدينية والإقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بجزايرها ومن حرّمها فآله منها من خلاق وقيل قاله بنوعامر وخطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء إلى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (وإذا لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أي وإذا لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكتفين بنبي خيريته (هذا إفك قديم) كما قالوا أساطير الأولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذلك (ومن) ١٢ قبله (أي من قل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب موسى) قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياً *

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ٤٦ الأحقاف

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ٤٦ الأحقاف

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْتَ أَعْمَلُ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

٤٦ الأحقاف

المسلمين ﴿١٥﴾

- ما كان فهو لرد قولهم هذا إلفك قديم وإبطاله فإن كونه مصدقاً لكتاب موسى مقرر لحقيقته قطعاً
- (إماماً ورحمة) حالان من كتاب موسى أى إماماً يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى
- بالإمام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه (وهذا) الذى يقولون في حقه ما يقولون (كتاب)
- عظيم الشأن (مصدق) أى لكتاب موسى الذى هو إمام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب
- الإلهية وقد قرئ كذلك (لساناً عربياً) حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه لتخصصه
- بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى (لينذر
- الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير
- القراءة ببناء الخطاب (وبشرى للحسنين) في حيز النصب عطفاً على محل لينذر وقيل في محل الرفع
- على أنه خبر مبتدأ مضمرة أى وبشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (إن الذين قالوا ربنا الله ثم
- استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التى هى منتهى
- العمل وشم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد (فلا خوف عليهم) من
- لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان
- دوام نفي الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعاً وقد مر بيانه مراراً (أولئك)
- الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المستكن في أصحاب
- وقوله تعالى (جزاء) منصوب إما بعامل مقدر أى يحزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فإن قوله تعالى أولئك
- أصحاب الجنة في معنى جازيناهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصينا الإنسان)
- بأن يحسن (بوالديه إحساناً) وقرئ حسناً أى بأن يفعل بهما حسناً أى فعلاً ذا حسن أو كأنه
- في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين أيضاً وبفتحهما أى بأن يفعل بهما فعلاً حسناً
- أو وصيناه إيضاً حسناً (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) أى ذات كره أو حملاً ذا كره وهو المشقة
- وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) أى
- مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ
الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

٤٦ الأحقاف

وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَنَفَعْتَنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْفِثَانِ
اللَّهَ وَيُنَافِئَانِ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾

٤٦ الأحقاف

- به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالآمد المدة من قال [كل حتى مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى
أمده] (ثلاثون شهراً) تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة
الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب
والرضاع بهما (حتى إذا بلغ أشده) أي اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث
نبي قبل أربعين وقرىء حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعني) أي ألهمني وأصله أولعني
من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها
(وأن أعمل صالحاً ترضاه) التذكير للتفخيم والتكثير (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح
سارياً في ذريتي راسخاً فيهم كما في قوله [يرحم في عراقيها نصلي] قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء
أبي بكر رضي الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئاً من الخير إلا
أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضاً فقال وأصلح لي في ذريتي فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد إلا آمنوا
جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه
عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك
لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (إني تبت إليك) عما لا ترضاه أو عما يشغلني عن
ذكرك (وإني من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) إشارة إلى الإنسان والجمع لأن
المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلور تبتة وبعد منزلته
أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات
فإن المباح حسن ولا يثاب عليه (وتجاوز عن سيئاتهم) وقرىء الفعلان بالياء على إسنادهما إلى
الله تعالى وعلى بنائهما للفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور (في أصحاب
الجنة) أي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى
نتقبل وتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذي كانوا يوعدون) على السنة الرسل
(والذي قال لو ألدنيه) عند دعوتها له إلى الإيمان (أف لكما) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره
واللام لبيان المؤقف له كما في هيت لك وقرىء أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحرركات الثلاث
مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالجمع كسابق قيل هو

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾

٤٦ الأحقاف

وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٩﴾

٤٦ الأحقاف

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْعَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٦ الأحقاف

- في الكافر العاق لو الديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لو الديه فاجر لربه وماروى
من أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه ما قبل إسلامه يردده ماسياتي من قوله تعالى أولئك
الذين حق عليهم القول الآية فإنه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله
• عنها من قال ذلك (أتعداني أن أخرج) أبعث من القبر بعد الموت وقرىء أخرج من الخروج (وقد
• خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يسألانه أن يغفله ويوفقه للإيمان
• (وبالك) أي قائلين له وبالك وهو في الأصل دعاء عليه بالثبوت أريد به الحث والتحريض على الإيمان
• لاحقيقة الهلاك (آمن إن وعد الله حق) أي البعث أضافا إليه تعالى تحقيقاً للحق وتنبهاً على خطئه
• في إسناد الوعد إليهما وقرىء أن وعد الله أي آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذباً لهما (ما هذا)
• الذي تسميانه وعد الله (إلا أساطير الأولين) أباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير أن يكون
• لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لا إبليس لأملأن
• جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين كما ينبغي عنه قوله تعالى (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس)
• وقد مر تفسيره في سورة ألم السجدة (لأنهم) جميعاً (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية
• ١٩ مجرى رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيق (ولكل) من
• الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبية
• في مراتب المثوبة وإيرادها بطريق التغليب (وليوفيهم أعمالهم) أي أجزية أعمالهم وقرىء بنون العظمة
• (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة إما حال مؤكدة للتوفية أو
• استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم
• ٢٠ فعل مافعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين
• كفروا على النار) أي يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أي قتلوا وقيل يعرض النار
• عليهم بطريق القلب مبالغة (أذهبتم طبعاتكم) أي يقال لهم ذلك وهو الناصب للطرف وقرىء أذهبتم
• بهمزين وبالف بينهما على الاستفهام التويخي أي أصبتم أو أخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا
• ولذا أذهبها (في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها (فاليوم تجزون عذاب

وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾

٤٦ الأحقاف

قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ إِلَهِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾

قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾

٤٦ الأحقاف

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

٤٦ الأحقاف

- (الهون) أى الهوان وقد قرئ كذلك (بما كنتم) فى الدنيا (تستكبرون فى الأرض بغير الحق)
- بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم
- وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين (واذكر) أى لكتنار مكة (أخاء عاد) أى هوداً عليه
- السلام (إذ أنذر قومه) بدل اشتغال منه أى وقت إنذاره لإيائهم (بالأحقاف) جمع حقف وهو رمل
- مستطيل مرتفع فيه إنحناء من احقوق الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال
- مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أى
- الرسل جمع نذير بمعنى المنذر (من بين يديه) أى من قبله (ومن خلفه) أى من بعده والجملة اعتراض
- مقرر لما قبله مؤكداً لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله (أن لا تعبدوا
- إلا الله) مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وإيداناً باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى واذكر
- لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه
- قومه مثل ذلك فاذا كرم وأما جعلها حالاً من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال
- لهم لا تعبدوا إلا الله (إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين
- سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره فع ما فيه من تكلف تقدير الأعلام لا بدنى نسبة الخلو إلى من
- بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الحال (قالوا أجئنا لتأفكنا) أى تصرفنا (عن آلهتنا) عن
- عبادتها (فأتقنا بما تعدنا) من العذاب العظيم (إن كنت من الصادقين) فى وعدك بنزوله بنا (قال إنما
- العلم) أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التى من جملتها ذلك (عند الله) وحده لا علم لى بوقت
- نزوله ولا مدخل لى فى إتيانه وحلوله وإنما عليه عند الله تعالى فيأتىكم به فى وقته المقدر له (وأبلغكم
- ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير
- وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الإبلاغ (ولكننى أراكم قوماً تجهلون) حيث تقترحون
- على ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى (فلما رآوه) فصيحة

تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٦ الأحقاف
 وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِي مَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ
 سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ٤٦ الأحقاف

والضمير إما مبهم يوضحه قوله تعالى (عارضاً) إما تمييزاً أو حالاً أو راجع إلى ما استعجلوه بقولهم فأتتنا
 بما تعدنا أي فأتاهم فلما رأوه سبحانه يعرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم) أي متوجه أوديتهم والإضافة
 فيه لفظية كما في قوله تعالى (قالوا هذا عارض ممطرنا) ولذلك وقعا وصفين للنكرة (بل هو) أي قال
 هود وقد قرىء كذلك وقرىء قل وهو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل هو (ما استعجلتم به) من
 ٢٥ العذاب (ريح) بدل من ما أو خبر لمبتدأ محذوف (فيها عذاب أليم) صفة لريح وكذا قوله تعالى (تدمر)
 أي تهلك (كل شيء) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) وقرىء يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا
 هلك فالعائد إلى الموصوف محذوف أو هو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استثناءً وارداً لبيان أن
 لكل ممكن فناء مقضياً منوطاً بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر
 الأمر والرب والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى
 (فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فصيحة أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم
 وقرىء ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطاباً لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أن حالهم بحيث
 لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء القطيع (نجزي القوم
 المجرمين) وقد مر تفصيل القصة في سورة الأعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والفاهينة
 فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها
 كسهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب ما رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم
 تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم
 فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم
 فطرحتهم في البحر وروى أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطأ
 إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح
 إلا ما يلين على الجلود وتلذذ الأنفس وإنما تمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة
 ٢٦ (ولقد مكناهم) أي قررنا عاداً أو أقدرناهم وما في قوله تعالى (فيما إن مكناكم فيه) موصولة أو موصوفة
 ولما نافية أي في الذي أو في شيء مامكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادئ التصرفات
 كما في قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وبما يحسن

وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ٤٦ الأحقاف
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلَّ ضُلُوعُهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ٤٦ الأحقاف

موقع إن ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي إلى قلب ألفها هاء في مهما وجعلها شرطية أو زائدة بما لا يليق بالمقام (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما ينطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤن منعها عز وجل ويداووا على شكره (فما أغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل (ولا أبصارهم) حيث لم يحتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العلم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى (من شيء) أي شيئاً من الإغناء ومن مزينة للتأكيد وقوله تعالى (إذ كانوا يمحذون بآيات الله) متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمه إذ أكرمني في قوة قولك أكرمه لإكرامه إذا أكرمه وقت إكرامه فإنما أكرمه فيه لوجود إكرامه فيه كذا الحال في حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (ولقد أهلكنا ما حولكم) ٢٧ يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) كررناها لهم (لعلهم يرجعون) ٢٨ لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلِهَةً) ٢٨ القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلِهَةً وقرباناً حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلِهَةً حال كونها متقرباً بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعائنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قرباناً مفعولاً ثانياً آلِهَةً بدلاً منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قرباناً أي متقرباً به مالا صحة له قطعاً لأنه تعالى متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قرباناً متجاوزين الله في ذلك وقرى قرباناً بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالسكينة وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور (وذلك) أي ضياع آلِهتهم عنهم وامتناع نصرهم (إفكهم) أي إثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلِهَةً نتيجة شركهم وقرى إفكهم وكلاهما مصدر كالخذر والحذر وقرى إفكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حيثئذ إلى الاتحاد أي وذلك الاتحاد الذي هو ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرى إفكهم بالتشديد للبالغة وآفكهم من الأفعال أي جعلهم آفكين وقرى آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافاً إلى ضميرهم أي قولهم الإفك كما يقال قول كاذب (وما كانوا يفترون) عطف على

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾

٢٩ الأحقاف

قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ

٢٩ الأحقاف

طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

إفكهم أى وأثر اقترانهم على الله أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرىء وذلك إفك كما كانوا
 ٢٩ يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الإفك (وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن) أملناهم إليك وأقبلنا
 * بهم نحوك وقرىء صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السرف في جمع الضمير في قوله تعالى (يستمعون
 القرآن) وما بعده وهو حال مقدرة من قرأ لتخصسه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك
 * وقت صرفنا إليك نفرًا كائنًا من الجن مقدراً استماعهم القرآن (فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته
 * أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الأظهر (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا)
 * أى استكنوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ عن تلاوته وقرىء على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول
 * عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد ضمير حضروه إليه عليه الصلاة والسلام (ولوا إلى قومهم منذرين)
 * مقدرين إنذارهم عند رجوعهم إليهم - روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجوا
 بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبا حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشرف جن نصيدين أو ينوى
 منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا اتهامه ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو قائم في جوف الليل يصلى أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف
 وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته
 فروابه فوقوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنباه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر
 الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم جميعهم له فقال عليه الصلاة والسلام إني أمرت أن أقرأ على
 الجن الليلة فن يتبعني قالها ثلاثاً فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى إذا
 كنا بأعلى مكة في شعب الجحون خط لي خطأ فقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت
 لفظاً شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه
 حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالا سوداً مستشعري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيدين وكانوا
 ٣٠ إثنى عشر ألفاً والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم إلى قومهم (يا قومنا
 إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما
 * أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقاً لما بين يديه) أرادوا به التوراة (يهدي إلى
 * الحق) من العقائد الصحيحة (وإلى طريق مستقيم) موصل إليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة

يَقُومَنَا أَجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ. يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ٤٦ الأحقاف
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ ٤٦ الأحقاف

أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ٤٦ الأحقاف

- (يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله تعالى ٣١ بعدما وصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازم مادعوم إلى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيباً لهم في الإجابة ثم أكدوه بقولهم (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى * خالص حق الله تعالى فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان (ويجركم من عذاب أليم) معدل للكفرة واختلف * فى أن لهم أجراً غير هذا أولاً والأظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثواباً وعقاباً وقوله تعالى (ومن لا يجيب ٣٢ داعي الله فليس بمعجز فى الأرض) إيجاب للإجابة بطريق الترهيب لئلا يجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وإظهار داعي الله من غير اكتماء بأحد الضميرين للبالغة فى الإيجاب بزيادة التقرير وترتية المهابة وإدخال الروعة وتقييد الإعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وإن هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها وقوله تعالى (وليس له من دونه أولياء) بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير لئلا يبين استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى * من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى (أولئك) * بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم إجابة داعي الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر كونه ضلالاً بحيث لا يخفى على أحد أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه (أولم يروا) الهمزة للإنكار والواو للعطف ٣٣ على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علماً جازماً متاخماً للمشاهدة والعيان (أن الله الذى خلق السموات والأرض) ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه (ولم يبعث * بخلقهن) أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه * وقوله تعالى (بقادر) فى حيز الرفع لأنه خبر إن كما ينبىء عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الأولى اشتغال النى الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أو ليس الله بقادر (على أن * يحيى الموتى) ولذلك أوجب عنه بقوله تعالى (بلى إنه على كل شىء قدير) تقريراً للقدر على وجه عام * يكون كالبرهان على المقصود.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

٤٦ الأحقاف

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمَّا يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغْ فَمَلَّ بِهَٰلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٤٦ الأحقاف

٣٤ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) ظرف عامله قول مضمع مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حيث من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيته إذ هو اللائق بهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الأحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) أكد جوابهم بالقسم كأنهم يطعمون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا وأنى لهم ذلك (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها في الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أى إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهنم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فإنك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاذاة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لم ندر كون قال كلا إن معى ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لينة على لينة صلوات الله تعالى عليهم أجمعين (ولا تستعجل لهم) أى لكفار مكة بالعذاب فإنه على شرف النزول بهم (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة) يسيرة (من نهار) لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف أى هذا الذى وعظمت به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرىء ببلغ وقرىء بلاغا أى بلغوا بلاغا (فمل بهلك إلا القوم الفاسقون) أى الخارجون عن الاعتنا به أو عن الطاعة وقرىء بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الإهلاك ونصب القوم ووصفه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمة في الدنيا .

٤٧ - سورة محمد صلى الله عليه وسلم
(مكية وآياتها ثمان وثلاثون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآياتها ثمان وثلاثون)
(بسم الله الرحمن الرحيم) (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الإسلام ١
وسلوك طريقه من صد صدوداً أو منعوا الناس عن ذلك من صده صدأ كالمطعمين يوم بدر وقيل هم
إثنا عشر رجلاً من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل
الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل
من كفر وصد (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلاً لكن لا بمعنى أنه
أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فإن ما كانوا يعملون من
أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الأضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها
لعدم مقارنتها للإيمان أو أبطل ما عملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر
رسوله وإظهار دينه على الدين كله وهو الأوفق لما سياتى قوله تعالى فتعساً لهم وأضل أعمالهم وقوله
فإذا لقيتم الخ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل هم ناس من قريش وقبل من الأنصار وقيل هم ٢
مؤمنوا أهل الكتاب وقيل عام للكل (وآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) خص بالذكر الإيمان بذلك مع
اندراجها فيما قبله تنوياً بشأنه وتنبهاً على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الإيمان به وأنه الأصل في
الكل ولذلك أكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقيقة فيه وقيل حقيقته بكونه
ناسخاً غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأياً ما كان فقوله تعالى
من ربهم حال من ضمير الحق وقرىء نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف (كفر
عنهم سيئاتهم) أى سترها بالإيمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حال في الدين والدنيا بالتأييد
والتوفيق (ذلك) إشارة إلى ما مر من إضلال الأعمال وتكفير السيئات وإصلاح البال وهو مبتدأ ٣

فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا
فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ

بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤٧﴾

٤٧

- خبره قوله تعالى (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا مافعلوا من الكفر والصدفیان سببية اتباعه للإضلال المذكور متضمن لبيان سببهما له لكونه أصلاً مستتباً لهما قطعاً وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا يحيد عنه كائناتاً من ربهم ففعلوا مافعلوا من الإيمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فيبان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والإصلاح بعد الإشعار بسببية الإيمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببهما له لكونه مبدأً أو منشأً لهما احتمالاً فلا تدافع بين الإشعار والتصريح فى شيء من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل ما يتأهل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلاً فالتصريح بسببية اتباعه لإضلال أعمالهم وإبطالها لبيان أن إبطالها لبطلان مبناها وزواله وأما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أغش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من إضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الإشعار بسببتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الإيمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببتهما لما ذكر من الإضلال ومن التكفير والإصلاح
- تصريحاً بالسببية المشعر بها فى الموقعين (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أى يبين (للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى العرابة مجرى الأمثال وهى اتباع الأولين
- الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا) لترتيب ما فى حيزها من الأمر على ما قبلها فإن ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق من الأحكام أى فإذا كان الأمر كما ذكر فإذا لقيتموهم فى المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً تخفف الفعل وقدم المصدر وأتىب منابه مضافاً إلى المفعول وفيه اختصار وتأکید بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لأمره وإرشاد للفرقة إلى أيسر ما يكون منه (حتى إذا أتختموهم) أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أقفلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض
- (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فإما مناً بعد وإما فداء) أى فإما تمنون مناً بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم إما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق وقرئ فداكمصا (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالتها التى

- سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ٤٧ هـ
- وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ ٤٧ هـ
- يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ٤٧ هـ
- وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ٤٧ هـ
- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ٤٧ هـ

لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع وأسند وضعها إليها وهو لأهلها إسناداً مجازياً وحتى غاية عند الشافعي لأحد الأمور الأربعة أو للجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فإن حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للن والعداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وإن حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشدة والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثارها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلوا (ذلك) أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لا تهسر منهم) لا تتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليبلو بعضهم ببعض) فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجيوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا في سبيل الله) أى استشهدوا وقرىء قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا وقتلوا (فلن يضل أعمالهم) أى فلن يضيعها وقرىء يضل أعمالهم على البناء للفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها زلت في يوم أحد (سيهديهم) فى الدنيا إلى أرشد الأمور وفى الآخرة إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم) (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها أو ينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزلته ويهتدى إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حدها لهم وأفرزها من عرف الدار الجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة إما مستأنفة أو حال يا ضمار قد أو بدونه (يا أيها الذين آمنوا ٧ إن تَنْصُرُوا اللَّهَ) أى دينه ورسوله (ينصركم) على أعدائكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب ومواقفها أو على حجة الإسلام (والذين كفروا فتعسوا لهم) التعس الهلاك والعار والسقوط ٨ والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعاً أى فقال تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للوصول (ذلك) أى ما ذكر من التعس وإضلال الأعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) من القرآن ٩

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ
أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾

٤٧ هـ

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَسْتَمْتِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾

٤٧ هـ

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُم فَلَا نَصِيرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ٤٧ هـ

- * لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهه أنفسهم الأماره بالسوء (فاحيط)
- ١٠ لأجل ذلك (أعمالهم) التي لو كانوا عملوها مع الإيمان لاثبتوا عليها (أفلم يسيروا في الأرض) أي أقعدوا
- * في أماكهم فلم يسيروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المكذبة فإن آثار ديارهم
- * تنبئ عن أخبارهم وقوله تعالى (دمر الله عليهم) استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل
- * كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال
- * دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به (وللكافرين) أي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم
- * (أمثالها) أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال مألوثك وأضعافه بل مثله وإنما
- جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من
- عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد
- ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه
- ١١ قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها (ذلك) إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم
- * السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا) أي ناصرهم على أعدائهم وقرىء ولى الذين (وأن الكافرين
- لا مولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا إلى الله
- ١٢ مولاهم الحق فإن المولى هناك بمعنى المالك (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
- * من تحتها الأنهار) بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية (والذين كفروا يمتنعون) أي ينتفعون
- * في الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الأنعام) غافلين عن عواقبهم (والنار مثوى لهم) أي منزل ثواء
- ١٣ وإقامة والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف (وكأين) كلمة مركبة من الكاف وأى
- * بمعنى كم الخبرية وعلمها الرفع بالابتداء وقوله تعالى (من قرية) تمييز لها وقوله تعالى (هي أشد قوة من
- * قريتك) صفة لقريه كما أن قوله تعالى (التي أخرجتك) صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى
- * أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى (أهلكناهم) أى وكم من أهل قرية هم أشد

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾

٤٧ هـ

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾

٤٧ هـ

قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبياً لخروجك من بينهم ووصف القرية الأولى بشدة القوة للإيدان بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية يأخر أجه عليه الصلاة والسلام للإيدان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة [كليب لعمري كان أكثر ناصراً * وأيسر جرماً منك ضرج بالدم] وقوله تعالى (فلا ناصر لهم) يبان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان * والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (أفمن كان على بينة من ربه) تقرير لتباين حالي فرقى المؤمنين والكافرين وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين وبيان لعله مالم يكل منهما من الحال والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها من عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم بما يباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فن كان مستقراً على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك أمره ومريه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية (كن زين له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح (واتبعوا) * بسبب ذلك التزيين (أهواءهم) الزائفة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة مآم عليه فضلاً عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الآخرين باعتبار معنى من كأن لإفراد الأولين باعتبار لفظها (مثل الجنة التي وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفاً للمؤمنين ١٥ وبيان كيفية أنهارها التي أشير إلى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين إيذاناً بأن الإيمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ماتسمعون وقوله تعالى (فيها أنهار) الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والأول هو الأنسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم في قول من قال [إلى الحول ثم اسم السلام عليهما] والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ماء غير آسن) غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير آسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصاً ولا خازراً كالألبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذينة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا اخمار وإنما هي تلذذ محض ولذة إما تأنيث لذ بمعنى لذيد أو مصدر نعت

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾

٤٧ جـ

وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾

٤٧ جـ

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ
ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾

٤٧ جـ

- * به مبالغة وقرىء لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أى لأجل لذة للشاربين (وأنهار من عسل مصنئ) لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجرى مجرى الأشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها (ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الأنهار (من كل الثمرات) أى صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنه من ربهم وقوله تعالى (كن هو خالد في النار) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذف تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعربى عن حرف الإنكار وحذف ما حذف تصويراً لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبيننة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار (وسقوا ماء حميماً) مكان تلك الأشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل لإذادنا منهم شوى وجوهم وانمارت فروة رؤسهم
- ١٦ فإذا شربوه قطع أمعاءهم (وممنهم من يستمع إليك) هم المنافقون وإفراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سبأى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال آنفاً) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وإن كان بصورة الاستعلام وآنفاً من قولهم آنف النىء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ
- * وآتدنف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتلفاً أو حال من الضمير فى قال وقرىء آنفاً (أولئك) الأوصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير أصلاً (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فذلك
- ١٧ فعادوا مافعلوا بما لاخير فيه (والذين اهتموا) إلى طريق الحق (زادهم) أى الله تعالى (هدى) بالتوفيق والإلهام (وآتاهم تقوأم) أعانهم على تقوأم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون إلا الساعة) أى القيامة وقوله تعالى (أن تأتيهم بغتة) أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتغال من

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ

- الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال الأمم الخالية ولا بالإخبار بإتيان الساعة وما فيها من عظام الأهوال وما ينتظرون للتذكر إلا إتيان نفس الساعة بغتة وقرىء بغتة بفتح الغين وقوله تعالى (فقد جاء أشرافها) تعليل لمفاجأتها لا لإتيانها مطلقاً على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشرافها فلم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من مبادئ إتيانها فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والأشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حيثئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم ذكرهم إذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكرهم مبتدأ وإذا جاءتهم اعتراض وسطي بينهما مراً إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقاً لا مقيداً بقيد البغتة وقرىء إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأتى لهم الخ والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتهاطهم إذا جاءتهم (فاعلم ١٩ أنه لا إله إلا الله) أى إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظراً إلى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقرين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل (وللؤمنين والؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى إعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقه جنساً وفى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها لا محالة (ومثواكم) فى العقبى فإنها مواطن إقامتكم فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم فيها فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به فإنه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (ويقول الذين آمنوا) حرصاً منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الأمر به أى سورة مينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال. عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرىء فإذا نزلت

٤٧

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾

٤٧

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾

- سورة وقرىء و ذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض)
- أى ضعف في الدين وقيل ففاق وهو الأظهر الأوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جنناً وعلماً كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين إلى ما بعد اللام فوزنه أفعل (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك (فإذا عزم الأمر) أسند العزم وهو الجهد إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً كما في قوله تعالى إن ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف
- أى خالفوا وتحلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة قولك إذا حضرني طعام فلو جئتني لأطعمتك أى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجه (لكان) أى الصدق (خيراً لهم) وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الإيمان وواطات قلوبهم في ذلك ألسنتهم وأياً ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسيتم) الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقرير أى هل يتوقع منكم (إن توليتم) أمور الناس وتأمروهم عليهم
- (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على المالك وتهالكا على الدنيا فإن من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن إحراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت أعتنكم وصرتم أمرين ماذكر من الإفساد وقطع الأرحام وقيل إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتفاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضاً وواد البنات وفيه أن الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد أن تكون محنوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في أن الإعراض عن الإسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرىء وليتم على البناء للمفعول أى جعلتم ولاية وقرىء توليتم أى تولاكم ولاية جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد وقطعة الرحم وقرىء وتقطعوا من التقطع بحذف إحدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى في أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع وإلحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْقُلُوبُ أَفْعَالًا ﴿٢٤﴾

إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾

- تيمم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا (أولئك) إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات ليداناً بأن ذكر هتاتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (فأصمهم) عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم * (وأعمى أبصارهم) لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأقدس والآفاق (أفلا يتذكرون القرآن) أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات (أم على قلوب أفعالها) فلا يكاد يصل إليها ذكر أصلاً وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكير والهمزة للتقرير وتنكير القلوب إما لتحويل حالها وتقطيع شأنها بإيهام أمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة ولما لأن المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وإضافة الأفعال إليها للدلالة على أنها أفعال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأفعال المعهودة وقرئ أفعالها وأفعالها على المصدر (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال فإنهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعاً كفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لأن أى سهل لهم ركوب العقائهم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المنخفض من السؤل لاستمرار القلب فعنى سول له أمراً حينئذ أوقعه في أمنيته فإن السؤل الأمنية وقرئ سول مبنياً للفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان (وأملى لهم) ومد لهم في الأمان والآمال وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو للحال أو للاستئناف وقرئ أملى لهم على البناء للفعول أى أمهلوا ومد في عمرهم (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم لا إلى الإملاء كما نقل عن الواحدى ولا إلى التسويل كما قيل لأن شيئاً منهما ليس مسبباً عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا) يعنى المنافقين المذكورين لا لليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في التوراة كما قيل

٤٧

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٢٧﴾

٤٧

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾

٤٧

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾

فإن كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين أو المشركين
 * على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (للذين كرهوا ما نزل الله) أى لليهود الكارهين
 لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنهم عند الله تعالى حسداً وطمعاً في نزوله
 * عليهم لا للمشركين كما قيل فإن قوله تعالى (سنطيعكم في بعض الأمر) عبارة قطعاً عما حكى عنهم بقوله
 تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن
 معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم
 ويؤادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه إظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل
 قبل قتالهم وإخراجهم من ديارهم فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية إليه
 لما كان لهم في إظهار الإيمان من المنافع الدنيوية وإنما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرّاً كما يعرب عنه
 * قوله تعالى (والله يعلم أسرارهم) أى إخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرىء أسرارهم أى جميع أسرارهم التى
 من بجلتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للإقشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة
 ٢٧ والفاء في قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة) لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل
 محذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون إذا توفتهم
 الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم إذا توفتهم الخ وقرىء
 * توفاهم على أنه إما ماض أو مضارع قد حذف إحدى تأنيده (يضربون وجوههم وأذبارهم) حال من
 فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيتهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى
 ٢٨ الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية إلا يضرب الملائكة وجهه ودبره (ذلك) التوفى الهائل (بأنهم)
 * أى بسبب أنهم (اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) أى ما يرضاه من
 * الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط)
 * لأجل ذلك (أعمالهم) التى عملوها حال إيمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها
 ٢٩ حال الإيمان لاتنفعوا بها (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم
 * الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار لما نعى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم)
 فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والأضغان
 جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين في قلوبهم حقداً وعداوة للذين آمنوا أنه لن يخرج الله أحقادهم

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾

٤٧

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

٤٧

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾

٤٧

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾

٤٧

- ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (ولو نشاء) إرادتهم (لأريناكم) لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة ٣٠ متاخمة للرؤية والاتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية بالإرادة (فلعرقتهم بسيماهم) بعلامتهم التي نفسهم بها وعن أنس رضى الله عنه ماخى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوكهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا على كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة وأما ما في قوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للخطيء لحن لعدله بالكلام عن سميت الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وإيدان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم) بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة (حتى نعلم ٣١ المجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علماً فعلياً يتعلق به الجزاء (ونبلوا أخباركم) ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسناتها وقيحها وقرى ويلو بالياء وقرى يلبسكون الواو على ونحن نبلا (إن الذين ٣٢ كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما شاهدوا نعتة عليه الصلاة والسلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) بكفرهم وصددهم (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئاً وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفضيحه مشاقته (وسيحبط أعمالهم) أى مكايدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقته رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها إلى ما كانوا ييغون من الغوائل ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم (يأيها ٣٣ الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والتفان والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ٤٧

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ ٤٧

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ ٤٧

إِنْ يَسْأَلْكُمْوَمَا فِيْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ ﴿٣٧﴾ ٤٧

هَئَانَتْكُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ يَبْخُلْ مِنْ يَبْخُلْ فَلِمَ يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ ٤٧

- ٣٤ (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكم يعم كل من مات على الكفر وإن صح نزوله في أصحاب القلب (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أى ولا تدعوا الكفار إلى الصلح خوفاً فإن ذلك إعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أن على جواب النهى وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراموا الهلال فإن صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى (وأنتم الأعلى) جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى (والله معكم) فإن كونهم الأعلى وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوم الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولن يضيعها) من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم فأفردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر عن ترك الإثابة فى مقابلة الأعمال بالوتر الذى هو إضاعة شئ معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إيراداً لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها وقدم فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) لإثبات لها ولا اعتداد بها (وإن تومنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أى ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون (ولا يسألكم أموالكم) بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وإنما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها إلى فقرائكم (إن يسألكمها) أى أموالكم (فيحفظكم) أى يحمدكم بطلب الكل فإن الإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحنى شاربها إذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج أضغانكم) أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أول البخل لأنه سبب الأضغان ٣٨ وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسنداً إلى الأضغان (ها أتم هؤلاء) أى أتم أيها المخاطبون

٤٨ - سورة الفتح

نزلت في الحديبية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾

٤٨ الفتح

- هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء
- على أنه بمعنى الذين أي هاتم الذين تدعون فقيه توييح عظيم وتحقير من شأنهم والإففاق في سبيل الله
- يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرعية
- السابقة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) فإن كلا من نفع الإففاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي (والله الغني) دون من عداه (وأتم الفقراء) فإ
- يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى مافيه من المنافع فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وقوله تعالى (وإن تتولوا) عطف على إن تؤمنوا أي وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى (يستبدل قوماً غيركم) يخلف
- مكانكم قوماً آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الإيمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما
- قبل هم الأنصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم
- وكان سليمان إلى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسى بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا
- لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم . عن رسول الله صلى الله عليه
- وسلم من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة .

(سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآياتها تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحاً بحراب
- أو بدونه فإنه ما لم يظفر به منغلقة مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال
- العباد إليه تعالى خلقاً وإيجاداً والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضي الله عنه بشر
- به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر
- الأخبار الرابطة للإيذان بتحقيقه لا محالة تأكيداً للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه
- من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه مالا يخفى وقيل هو ما أتيح له عليه
- الصلاة والسلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فإنه وإن
- لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث
- سألهم المشركون الصلح كان فتحاً بلاريب وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى
- أدخلوهم ديارهم وعن السكبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٤٨﴾ الفتح

٤٨ الفتح

وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ

٤٨ الفتح

وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٠﴾

بلغه أن رجلاً قال ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى
المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما يكرهون
وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة
حيث أصاب أن بويح بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطمعوا
نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزح
ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى
شرب جميع من كان معه وشبع وقيل لجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح
له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الإسلام والنبوة
والدعوة بالحجة والسيوف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة إذ لا فتح من فتوح الإسلام
إلا وهو شعبة من شعبة وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا
لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياً ما كان فحذف المفعول
للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح
٢ (فتحاً مبيناً) بينا ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقاً بين الحق والباطل وقوله تعالى (ليغفر لك
الله) غاية للفتح من حيث أنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة
مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات إلى اسم الذات المستتب لجميع الصفات للإشعار
بأن كل واحد مما انتظم في سالك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر
* مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى جميع ما فرط منك من ترك الأولى
* وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل (ويتم نعمته عليك) بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما
* مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطاً مستقيماً) في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم
الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اقتضاح سبل الحق
٣ واستقامة مناهجه مالم يكن حاصل قبل (وينصرك الله) لإظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات
* وإظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيد بقوله تعالى (نصر أعزيراً) أى نصرراً فيه عزة ومنعة
٤ أو قوياً منيعاً على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازاً للبالغة أو عزيزاً صاحبه (هو الذى أنزل السكينة)

لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٠﴾

٤٨ الفتح

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦١﴾

٤٨ الفتح

- * بيان لما أفاض عليهم من مبادئ الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والأمن إظهاراً لفضله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)
- * أى يقيناً منضمّاً إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا إيماناً بها مقروناً مع إيمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أنام به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا إيماناً مع إيمانهم أو أنزل فيها الوفاق والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيماناً إلى إيمانهم (والله جنود السموات والأرض) يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وكان الله علماً) مبالغاً فى العلم بجميع الأمور (حكماً) فى تقديره وتديره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والأرض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيئاتهم)
- * أى يعطيها ولا يظهرها وتقديم الإدخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى (وكان ذلك) أى ما ذكر من الإدخال والتفكير (عند الله فوزاً عظيماً) لا يقادر قدره لأنه منتهى ما يمتد إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضرر وعند الله حال من فوزاً لأنه صفته فى الأصل فلما قدم عليه صار حالاً أى كأننا عند الله أى فى عباده تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل
- * وفى تقديم المنافقين على المشركين مالا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب (الظالمين بالله ظن السوء) أى ظن الأمر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرىء دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجاء مجرى الشر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف على ما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الأخيرين مع أن حقهما الفناء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيدان باستقلال كل منهما فى الوعيد وأصلته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض (وساءت مصيراً) أى جهنم .

٤٨ الفتح

وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

٤٨ الفتح

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾

٤٨ الفتح

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

٤٨ الفتح

وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ

مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ

٤٨ الفتح

اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾

- ٧ (والله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) إعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن الله تعالى جنود الرحمة و جنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبيء عنه التعرض لوصف العزة
- ٨ (إنا أرسلناك شاهداً) أى على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيداً (ومبشراً) على الطاعة
- ٩ (ونذيراً) على المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأئمة (وتعزروه) وتقوه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتزهوه أو تصلوا له من السبحة (بكرة وأصيل) غدوة وعشياً عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرىء الأفعال الأربعة بالياء التحتانية وقرىء وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاى المكسورة وقرىء بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعزروه بزاهين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (إن الذين يبايعونك) أى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (إنما يبايعون الله) خبران يعنى أن مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكداً على طريقة التخييل والمعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرىء إنما يبايعون الله أى لأجله ولوجه (فن نكثت فإنا نكث على نفسه) أى فن نقض عهده فإنا يعود صرر نكثه على نفسه وقرىء بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فإنه أبقي بعد حذف الواو توسلاً بذلك إلى تعظيم لام الجلالة وقرىء بكسرها أى ومن وفى بعهده (فميسوتيه أجراً عظيماً) هو الجنة وقرىء بما عهد وقرىء فميسوتيه بنون العظمة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والدليل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ
ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾

٤٨ الفتح

حول المدينة من الإعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند إرادته المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً
حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق
معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وثاقفوا عن الخروج وقالوا نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره
بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى إليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيقتلون ويقولون
(شغلنا أموالنا وأهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرىء *
شغلنا بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن
اضطرار (يقولون بالسنتهم مالميس في قلوبهم) بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار
والاستغفار (قل) ردأ لهم عند اعتذارهم إليك بأبائهم (فمن يملك لكم من الله شيئاً) أى فمن يقدر
لأجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع (إن أراد بكم ضرراً) أى ما يضركم من هلاك
الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرىء ضرأ
بالضم (أو أراد بكم نفعاً) أى ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ
أموالكم وأهلكم فأى حاجة إلى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب
ظاهر مقاتلهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر
والغنيمة يردء قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيراً) فإنه لإضراب عما قالوا ويان لكذبه بعد
بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الأعمال
التي من جملتها تخلفكم وما هو من مبادئه وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما ١٢
فيهم من الإيهام أى بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) بأن يستأصلهم المشركون
بالمرة فحشيتهم إن كنتم معهم أن يصيدكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لما ذكرتم من المعاذير الباطلة
والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الأهالي فاسم جمع
كالليالي وقرىء إلى أهليهم (وزين ذلك في قلوبكم) وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مباليين بهم وقرىء *
زين على البناء للفاعل بإسناده إلى الله سبحانه أو إلى الشيطان (وظننتم ظن السوء) المراد به إما الظن
الأول والتكرير لتثديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي
من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فإن الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر
من الاستئصال (وكنتم قوماً بوراً) أى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع
بائر كعائد وعوذ أو فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لاخير فيكم وقيل البور من بار كاهلك من
هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ٤٨ الفتح

وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ٤٨ الفتح

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَاخِذُوهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن نَتَّبِعُونَكَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ٤٨ الفتح

- ١٣ (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لـ بوارهم ومبين لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فإننا أعتدنا للكافرين سعيراً) أى لهم ولإنما وضع موضع الضمير الكافرون لإيداناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعير التهويل أو لأنها نار مخصوصة (والله ملك السموات والأرض) وما فيها يتصرف في الكل كيف يشاء (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من غير دخل لأحد في شيء منهما وجوداً وعدماً وفيه حسم لأطاعهم الفارغة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم (وكان الله غفوراً رحيماً) مبالغة في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمزول من ذلك قطعاً (سيقول المخلفون) أى المذكورون وقوله تعالى (إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقتكم إلى مغانم خير لتجاوزها حسبها وعدم إيابها وخصم بها عوضاً عما فاتكم من غنائم مكة (ذرونا تتبعكم) إلى خير ونشهد معكم قتال أهلها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) بأن يشاركوا في الغنائم التي خصها بأهل الحديبية فإنه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسباً أمره الله عز وجل وقرىء كالم الله وهو جمع كلمة وأياً ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خير لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي أبداً فإن ذلك في غزوة تبوك (قل) إقناطاً لهم (لن تتبعونا) أى لا تتبعونا فإنه نبي في معنى النهي للبالغة (كذلك قال الله من قبل) أى عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) للذين آمنوا عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا) أى ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم وقرىء تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أى لا يفهمون (إلا قليلاً) إلا فيما قليلاً وهو فطنتهم لأمور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ٤٨ الفتح
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ٤٨ الفتح
لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْثَبَهُمُ فِتْنًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ٤٨ الفتح

- المفرط وسوء الفهم في أمور الدين (قل للمخلفين من الأعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ١٦
 ذمهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) هم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا *
 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد *
 الأمرين إما المقاتلة أبداً أو الإسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة أو يسلموا وأما من عداهم فينتهى قتالهم
 بالجزية كما ينتهى بالإسلام وفيه دليل على أمانة أبى بكر رضى الله عنه إذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره إلا
 إذا صح أنهم ثقيف وهوازن فإن ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نبي الاتباع بما في غزوة خيبر
 كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس
 يقبل منهم الجزية (فإن طيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وإن *
 تتولوا) عن الدعوة (كما توليتم من قبل) في الحديبية (يعذبكم عذاباً أليماً) لتضاعف جرمكم (ليس ١٧
 على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أى في التخلف عن الغزو لما
 بهم من العذر والعاهة فإن التكليف يدور على الاستطاعة وفى نبي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة
 مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن يطع الله ورسوله) فيما ذكر من الأوامر والنواهي *
 (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرىء يدخله بنون العظمة (ومن يتول) أى عن الطاعة *
 (يعذبه) وقرىء بالنون (عذاباً أليماً) لا يقدر قدره (لقد رضى الله عن المؤمنين) هم الذين ذكر شأن ١٨
 مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى (إذ يبايعونك تحت الشجرة) منصوب برضى *
 وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى
 أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا إلى أهل مكة فهموا
 به فتمعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت
 لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال
 ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتله
 فقال عليه الصلاة والسلام لا تبرح حتى تناجز القوم ودع الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ٤٨ الفتح

وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً

لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ٤٨ الفتح

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ٤٨ الفتح

- سيرة وقيل سيرة على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفرّوا وروى على الموت دونه وأن لا يفرّوا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين
- وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة وقوله تعالى (فعل ما في قلوبهم) عطف على يابعونك لما عرفت من أنه بمعنى يابعونك لا على رضى فإن رضاء تعالى عنهم مترتب على عليه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضى
 - أى فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأناهم فتحاً
 - ١٩ قرياً) هو فتح خير عقب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم (ومغانم كثيرة يأخذونها)
 - أى مغانم خير والالتفات إلى الخطاب على قراءة الأعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان
 - ٢٠ (وكان الله عزيزاً) غالباً (حكيماً) مراعياً لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضاياه (وعدكم الله مغانم كثيرة)
 - هى ما يفيوه على المؤمنين إلى يوم القيامة (تأخذونها) في أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فعجل لكم هذه) أى غنائم خير (وكف أيدى الناس عنكم) أى أيدى أهل خير وحلفائهم من بنى أسد
 - وغطفان حيث جاءوا لنصرتهم فغذف الله في قلوبهم الرعب فنكسوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح
 - (ولتكون آية للمؤمنين) أماره يعرفون بها صدق رسول صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة إما بمحذوف مؤخر
 - أى ولتكون آية لهم فعل مافعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أى فعجل لكم هذه أو كف أيدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الأول اعتراضية
 - وعلى الثانى عاطفة (ويهديكم) بتلك الآية (صراطاً مستقيماً) هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه
 - ٢١ فى كل ماتأتون وما تدرّون (وأخرى) عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى
 - (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة
 - تأنيها بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر إلى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل إن أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الإخبار بقضاء الله إياها بعد اندارجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وإنما الفائدة

وَلَوْ قَسَمْنَا لَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلُوا إِلَيْنَا أَلَّا يَكْفُرُوا وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا لَنُفَصِّلَنَّ ٢٢

٤٨ الفتح

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٢٣

٤٨ الفتح

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكَ وَأَيْدِيكَ عَنْهُمْ يَبْطِئُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ

٤٨ الفتح

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ

مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ

٤٨ الفتح

فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥

- في بيان تعجيلها (وكان الله على كل شيء قدير) لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء (ولو ٢٢ قاتلكم الذين كفروا) أي أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خبير (لولوا الأدبار) منهزمين (ثم * لا يجدون ولياً) يحرسهم (ولا نصيراً) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي سن الله غلبة ٢٣ أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) أي تغييراً (وهو الذي كف أيديهم) أي أيدي سفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم يبطئ مكة) أي في داخلها (من بعد أن أظفركم عليهم) وذلك * أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لاصلاً (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم وهزمهم أولاً والكف عنهم * ثانياً لتعظيم بيته الحرام وقرىء بالياء (بصيراً) فيجازيكم بذلك أو يجازيهم (هم الذين كفروا وصدوكم ٢٤ عن المسجد الحرام والهدى) بالنصب عطفاً على الضمير المنصوب في صدوكم وقرىء بالجر عطفاً على المسجد بحذف المضاف أي ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى (معكوفاً) حال * من الهدى أي محبوساً وقوله تعالى (أن يبلغ محله) بدل اشتغال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض * أي محبوساً من أن يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومضلاه في الحرم وهناك نحرته هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة * لرجال ونساء وقوله تعالى (أن تطوؤهم) أي توقفوا بهم وتهلكوكم بدل اشتغال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم (فتضيبكم منهم) أي من جهتهم (معرّة) أي مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتغيير الكفار وسوء قائلهم والإثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره إذا عراه ودهاه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بأن تطوؤهم أي غير عالين بهم وجواب لولا *

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٨﴾ الفتح

محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم
* فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى (ليدخل الله في رحمته) متعلق بما يدل عليه
الجواب المحذوف كأنه قيل عقبيه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى إلى الفتح بلا محذور
* في رحمته الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم المؤمنون فإنهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من
جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدي الكفرة وأما الرحمة الآخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها
بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في إقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لإقامتها على الوجه الاتم إدخال
لهم في الرحمة الآخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عن رغب في الإسلام من المشركين
* ويأباه قوله تعالى (لو تزيلوا) الخ فإن فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق البينة بين
الفرعيين بالإيمان والكفر قبل التزيل حتماً أي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزيلوا
* (لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها
٢٦ (إذ جعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن
الله إليكم وأياً ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لنهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجملة
* إما بمعنى الإلقاء فقوله تعالى (في قلوبهم الحمية) أى الأنفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق
* بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية أى حمية الملة
* الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأُنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) على
الأول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله
تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يزيلوا فلم نعذب
فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحديدية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويط بن عبد العزى ومكرز
ابن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على
أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه الصلاة والسلام
لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صاخ عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت
وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب
* ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبتشروا بهم فأُنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلوا (وألزمهم
كلمة التقوى) أى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى
* الوفاء بالعهد والثبات عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها (وكانوا

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا بِفَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ٤٨ الفتح
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ٤٨ الفتح

أحق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقاً وقيل أحق بها من الكفار (وأهلها) أى المستأهل لها (وكان الله بكل شيء علياً) فيعلم حق كل شيء فيسوقه إلى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلّقوا رؤوسهم وقصروا فقصر الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلّقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أى صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقتى سن بكرة وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (بالحق) إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أى صدقا * ملتبساً بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الإيمان والمزلزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسماً بالحق الذى هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه * وهو على الأولين جواب قسم محذوف أى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى (إن شاء الله) تعليق للعدة * بالمشيئة لتعليم العباد أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هى حكاية لما قاله مالك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمنين) * حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى (محلّقين رؤوسكم ومقصرين) أى محلّقاً * بعضهم ومقصرأ آخرون وقيل محلّقين حال من ضمير آمنين فتسكون متداخلة (لاتخافون) حال مؤكدة * من فاعل لتدخلن أو آمنين أو محلّقين أو مقصرين أو استئناف أى لاتخافون بعد ذلك (فعل ما لم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فعل عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديم ما يشهد بالصدق علماً فعلياً (فجعل) * لأجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الخ (فتحاً قريباً) * وهو فتح خير والمراد بجعله وعده وإنجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتسكون آية للؤمنين وأما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جنح إليه الجمهور فتأباه الفاء فإن علمه تعالى بذلك متقدم على إراءة الرؤيا قطعاً (هو الذى ٢٨ أرسل رسوله بالهدى) أى ملتبساً به أو بسببه ولأجله (ودين الحق) ودين الإسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين بجميع أفراداه التى هى الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقاً من بعض

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُبَيِّطَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ٤٨ الفتح

الأحكام المتبدلة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر
الاديان إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطئ
لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه
• فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام بإظهار
٢٩ المعجزات (محمد) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (رسول الله) بدل أو بيان أو نعت أى ذلك
الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبنية
• للشهود به وقوله تعالى (والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع
شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظفرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولأن واقعهم في الدين
الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرىء أشداء ورحماء بالنصب
• على المدح أو على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حيثنذ قوله تعالى (تراهم ركعاً سجداً)
أى تشاهدكم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو
• استئناف وقوله تعالى (يبتغون فضلا من الله ورضواناً) أى ثواباً ورضاً إما خبر آخر أو حال من
ضمير تراهم أو من المستتر فى ركعاً سجداً أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على
• الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ (سيماهم) أى سمتهم
وقرىء سيماءهم بالياء بعد الميم والمد ومما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره
• (فى وجوههم) أى فى جباههم وقوله تعالى (من أثر السجود) حال من المستكن فى الجار أى من
التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام
لا تلبوا صوركم أى لا تسموها إنما هو فيها إذا اعتمد بجهته على الأرض ليحدث فيها تلك السمعة وذلك
محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد إلا خالصا لوجه الله عز وجل
• مع كان الإمام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذوات الثغفات لما أحدثت
كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثغفات البعير قال قائلهم [ديار على والحسين وجعفر] وحمة
والسجاد ذى الثغفات [وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الأرض
وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل
• حسن وجهه بالنهار وقرىء من آثار السجود ومن إثر السجود بكسر الهمزة (ذلك) إشارة إلى ما ذكر

٤٩ - سورة الحجرات

(مدنية وهي ثمانى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ الحجرات

من نعمتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى القرابة مجرى الأمثال وقوله تعالى (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة وقوله تعالى (ومثلهم فى الإنجيل) عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والإنجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى (كزراع أخرج شطأه) الخ تمثيل مستأنف أى هم كزراع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبهمه وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الإنجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرىء شطأه بفتحات وقرىء شطأه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطأه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واو (فأزره) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزاروهى الإعانة وقرىء فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أى شد أزره وقوله تعالى (فاستنلظ) فصار غليظاً بعد ما كان دقيقاً (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرىء سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحابه عليه الصلاة والسلام فتوا فى بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم يذبون نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) علة لما يعرب عنه الكلام من تشديدهم بالزراع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين فى الآخرة مع ما لهم فى الدنيا من العزة غاظم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة .

(سورة الحجرات مدنية وآياتها ثمانى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتبنيه المخاطبين على أن ما فى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتقليه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به (لا تقدموا) أى لا تفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور على طريقة قولهم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٤٩﴾

٤٩ المجرات

فلان يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع أو لا تقدموا أمراً من الأمور على أن حذف المفعول
للقصد إلى تعميمه والأول أو فى بحق المقام لإفادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه
بالكلية المستلزم لانتفائه تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم
ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التاءين من تتقدموا
• وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدي الله ورسوله) مستعار عما بين الجهتين المسامتين
ليدى الإنسان تهجيناً لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول
الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والإيدان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبي بكر
وعمر رضى الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم فى تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد
• (واتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذكرون من الأقوال والأفعال التى من جملتها ما نحن فيه (إن الله
٢ سميع) لأقوالكم (عليم) بأفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبي عليه الصلاة والسلام بعد
النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل وإعادة النداء مع قرب العهد به للبالغة فى الإيقاظ والتنبيه
والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد
• يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرئ لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تجهروا له
• بالقول) إذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أى جهر أكثراً كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا
صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو
الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أهية النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله
عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلك إلا السرار أو أخاص السرار حتى ألقى
الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لا يسمعه حتى
يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم
من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
• (أن تحبط أعمالكم) إما علة للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى
يبين الله لكم أن تضلوا أو للنهى أى لا تجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان بهدد الأداء
إلى الحبوط فكانه فعل لأجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً وليس المراد
بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدى
إليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

٤٩ الحجرات

٤٩ الحجرات

إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

- لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكراً محضاً لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه قر وكان جمهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضي الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقدته عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن من أنها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأتم لاتشعرون) حال من فاعل تحبط أى والحال أنكم لاتشعرون * بجوهرها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ٣ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد التهيب عن الإخلال به أى يخفضونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهى (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد * مع قرب العهد بالشار إليه لما مر مراراً من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمخدوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لاتظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إريزه * من خبثه وعن عمر رضي الله عنه أذهب عنها الشهوات (لهم) في الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر عظيم) لا يقادر قدره والجملة إما خبر آخر لأن كالجمله المصدرية باسم الإشارة أو استئناف * لبيان جزائهم إحماداً لحالهم وتعريضاً بسوء حال من ليس مثلهم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) ٤ أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناذرة نشأت من جهة الورا. وأن المناذرة داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثها جمع حجرة وهى القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناذراتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطبلين له عليه الصلاة والسلام فنادوه..

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٩﴾
يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

٤٩ الحجرات

نَدِيمِينَ ﴿٥٠﴾

وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنُ
وَزِينَةٌ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٥١﴾ ٤٩ الحجرات

بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الأبعاد إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت لإجلاله عليه الصلاة والسلام وقيل إن الذي ناداه عينه بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج إلينا وإنما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم (أكثرهم لا يفتلون) إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وإن دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت الفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغنياً بخروجه عليه الصلاة والسلام فإنها مختصة بما هو غاية للشئ في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم (لكان) أي الصبر المذكور (خيراً لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والإسعاف بالمسؤول إذ روى أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسمها فلن يضيق ساحتها عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عتبة أخا عثمان رضى الله عنه لأمه مصداقاً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم أحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم فزلت وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متجهدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فثبتوا أي توقفوا إلى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) حذاراً أن تصيبوا (قوماً بجهالة) ملتبسين بجهالة حالهم (فتصحبوا) بعد ظهور براءتهم عما أسند إليهم (على ما فعلتم) في حقهم (نادمين) مختمين غملاً لازماً متمنين أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام (واعلموا

أن فيكم رسول الله) أن بما في حيزها ساد مسد مفعولى اعلوا باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لويطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) فإنه حال من أحد الضميرين في فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كأننا على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهي أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه إيدان بأن بعضهم زينوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع بنى المصطلق تصديقاً لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لا امتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لأن عنهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعين لهم من الأمور إذ فيه اختلال أمر الإبالقوا انقلاب الرئيس رؤساً لا من إطاعته في بعض ما يروونه نادراً بل فيها استمالتهم بلا معرفة وقيل إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لا استمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في ذلك فإن المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذى يفيد صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة إلى ما يتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الإبهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بياناً لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة إلى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك إذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولاً ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فإن أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجديد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلاً أو بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر في وقت من الأوقات وقع العنت قطعاً وإن أريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجديد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فإن مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة في وقت من الأوقات وقع العنت حتماً واعلم أن الآحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول لأنه أوفق بالقياس المقضى لاعتبار الامتناع وإرداً على الاستمرار حسب ورود كلة لو المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار إرداً على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام إنما يهصر إليه إذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حل على استمرار نفي الحزن عنهم إذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة وأما إذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى (ولكن الله حجب إليكم الإيمان) الخ تجريد الخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بطريق الاستدراك بياناً لبراءتهم عن أوصاف الأولين وإحداً لأفعالهم أى ولكنه تعالى جعل الإيمان

٤٩ المجزئات

فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ
فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

٤٩ المجزئات

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ٤٩ المجزئات

- * محبوباً لديكم (وزينه في قلوبكم) حتى رسخ جبه فيها ولذلك أنتم بما يليق به من الأقوال والأفعال
- * (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم عما يليق بهما لاخير فيه من آثارها وأحكامها
- * ولما كان في التحبيب والتكريم معنى لإنهاء المحبة والكرامة وإيصالها إليهم استعمالاً بكلمة إلى وقيل هو استدراك ببيان عذر الأولين كأنه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للإيمان وكرهاتكم للكفر والفسوق والعصيان والأول هو الأظهر لقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أي السالكون إلى الطريق السوي الموصول إلى الحق والاتفات إلى النية
- * كالذي في قوله تعالى وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (فضلاً من الله ونعمة)
- * ٨ أي وإنعاماً لتعليل لحب أو كره وما بينهما اعتراض وقيل نصهما بفعل مضمر أي جرى ذلك فضلاً وقيل يبتغون فضلاً (والله عليم) مبالغ في العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم)
- * ٩ يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى (فإن بغت) أي تعدت (إحداهما على الأخرى) ولم تتأثر بالنصيحة (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع (إلى أمر الله) إلى حكمه أو إلى ما أمر به (فإن فاءت) إليه وأقلعت عن القتال حذاراً من قتالكم (فأصلحوا بينهم بالعدل) بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقيد الإصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل (وأقسطوا)
- * أي وأعدلوا في كل ما تأتون وما تزدون (إن الله يحب المقسطين) فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالعسف والنعال وفيها دلالة على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الإيمان وأنه إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه في أمر الله تعالى وأنه يجب
- * ١٠ معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة (إنما المؤمنون إخوة) استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح أي أنهم منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية والفناء في قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) للإيذان بأن الآخرة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمحل مضافاً إلى المأمورين للبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ
عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْزَمُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

٤٩ الحجرات

- الإثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بالطريق الأولوية لتضايف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالآخوين الأوس والخزرج وقرى بين أخوتكم وإخوانكم (واتقوا الله) في كل ما تأتون وما تزدرون ومن الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح (لعلكم ترحمون) راجين أن ترحوا على تقواكم (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي منكم (من قوم) آخرين أيضاً منكم وقوله ١١ تعالى (عسى أن يكونوا خيراً منهم) تعليل للنهاي أو لموجه أي عسى أن يكون المسخور منهم خيراً * عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو في الأصل إما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاخ في الجمع وأما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فإما للتغليب أو لأنهم توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في الجمع والتسكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما أنها بما يجري بين بعض وبعض (ولا نساء) أي ولا تسخر نساء من المؤمنات (من نساء) منهن (عسى أن يكن) أي المسخور منهن (خيراً منهن) أي من الساخرات فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالباً بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترى أحد على استحقاق أحد فلهذا أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقيق من وقرء الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهي التي لا خبر لها (ولا تلزموا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلزمون به فإن من فعل ما يستحق به اللز فقد لزم نفسه واللمز الطعن باللسان وقرىء بضم الميم (ولا تنابزوا بالألقاب) أي ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء فإن النبز مختص به عرفاً (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان أو اشتغالهم به فإن الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روى أن الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يقرن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت إن أبي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنازع فسق والجمع بينه وبين الإيمان قبيح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

١٤٩ المجرات

١٢ النفس للعذاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) أى كونوا على جانب منه وإيهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية (إن بعض الظن إثم) تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجه بطريق الاستئناف التحقيق والإثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهو مزنة منقبة من الواو كأنه يتم الأعمال أى يكسرها (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلس بمعنى التطلب لما فى التلس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرأه بالحاء من الحس الذى هو إثرا الجس وغايته ولتقاربهما يقال للشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضاً) أى لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أخش وجهه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى وإسناد الفعل إلى أحد لإيداعاً بأن أحداً من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق الحجة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتيال بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أكل لا أكل وميتاً وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غنى عن الإخبار به وقرىء ميتاً بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والغاء فى قوله تعالى (فكرهتُمُوهُ) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتُمُوهُ وقرىء كرهتُمُوهُ أى جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل (إن الله تواب رحيم) مبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سليمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى لهما إداماً وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شيء فأخبرهما سليمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتنا ولنا لحم فقال عليه الصلاة والسلام إنكما قد اغتبتما

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

٤٩ الحجرات

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾

٤٩ الحجرات

- فنزلت (يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من ١٣ أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز أن يكون تأكيداً للنهي السابق بتقرير الأخوة المانعة من الاغتياب (وجعلناكم شعوباً وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع الهامز والهمزة تجمع البطون والبطن يجمع الأنفاذ والفخذ يجمع الفصائل فخرمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم نخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضاً بحسب الأنساب فلا يعزى أحد إلى غير آبائه لا لتفاخر وأبائهم والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب وقرئ لتعارفوا على الأصل ولتعارفوا بالإدغام ولتعارفوا (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيق كأنه قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا تتفاخروا بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاخر شقى هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (إن الله عليم) بكم وبأعمالكم (خير) يواطن أحوالكم (قالت الأعراب ١٤ آمنا) نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جرب فآظمروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأنفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام مافعولوا (قل) ردأ لهم (لم تؤمنوا) إذ الإيمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما منتم على ما ذكرتم كما ينبي عنه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أولم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالإيمان وللتفادى عن إخراج قولهم خرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولاً محضاً (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم موافاة قلوبكم لأستتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وإن تطيعوا الله ورسوله)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

٤٩ المجرات

قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

٤٩ المجرات

٤٩ المجرات

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

- ١٥ * بالإخلاص وترك النفاق (لا يلتزم من أعمالكم) لا ينقصكم (شيئاً) من أجورها من لا يلبس لبتاً
* إذا نقص وقرىء لا يلتزم من الآلة وهي لغة غطفان أو شيئاً من النقص (إن الله غفور) لما فرط
من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا
من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفى الإيمان
عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتباب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما
يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) في طاعته على
تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معاً كالجهاد (أولئك)
الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة (هم الصادقون) أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم
١٦ روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أتعلون
أنه بدينكم) أي أنخبرونه بذلك بقولكم آمناً والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم (والله يعلم ما في
السموات وما في الأرض) حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى (والله بكل شيء
عليم) تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند
١٧ إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم (يؤمنون عليك أن أسلوا) أي يعدون لإسلامهم منه
عليك وهي النعمة التي لا يطلب مولها ثواباً بمن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها
قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لا تمنوا على إسلامكم) أي لا تعدوا لإسلامكم منه على أو
لا تمنوا على إسلامكم فنصب بنزع الخافض (بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان) على ما زعمتم مع أن
الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرىء أن هذا لكم وإذ هذا لكم (إن كنتم صادقين) في ادعاء الإيمان وجوابه
خذوف يدل عليه ما قبله أي فله المنه عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سموا
ما صدر عنهم إيماناً ومنوابه فنفي كونه إيماناً وسمى إسلاماً قيل يمينون عليك بما هو في الحقيقة إسلام
١٨ وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعائهم للإيمان فله المنه عليهم بالهداية إليه لا لهم (إن الله يعلم غيب
السموات والأرض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سرهم وعلايتكم فكيف يخفى عليه

٥٠ - سورة ق
(مكية وهي خمس وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١
بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢
أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣

ما في ضمائرهم وقرىء بالياء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه .

(سورة ق مكية وأياتها خمس وأربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ق والقرآن المجيد) أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لأنهم ٢ جنس المالك أو من جلدتهم لإضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتندبر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلام المنذر والمنذر به عرضة للتكبر والتعجب مع كونهما أوفق شيء لقضية القول وأقربه إلى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه ثم أضراب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا يجد له ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً ٣ لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل محل التعجب وهذا الإشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام منذر بالقرآن وإضمارهم أولاً للإشعار بتعجبهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعثة على أن هذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمرة إما السابق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما اللاحق بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معانيتهم لقدرة تعالى على ما هو أشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق في كونه كفراً (أئذا متنا وكنا تراباً) تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار ٣

- ق ٥٠ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِظْتُ ①
- ق ٥٠ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ②
- ق ٥٠ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ③
- ق ٥٠ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ④
- ق ٥٠ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ⑤

والعامل في إذا مضر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أى حين نموت ونصير تراباً
 نرجع كما ينطق به التذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ إذا متنا على لفظ
 * الخبر أو على حذف أداة الإنكار (ذلك) إشارة إلى محل النزاع (رجع بعيد) أى عن الأوهام أو العادة
 أو الإمكان وقيل الرجوع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصر الطرف حينئذ ما ينبي عنه المنذر
 ٤ من البعث (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) زد لاستبعادهم وإزاحة له فإن من عم عليه ولطف حتى
 انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد
 رجعه أيام أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلل إلا عجب الذنب وقيل ما تنقص
 * الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو
 محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل عليه تعالى بكمالات الأشياء وجزئياتها يعلم من عنده كتاب محيط يتلقى
 ٥ منه كل شيء أو تأكيد لعلله تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) لإضراب
 وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات
 * الباهرة (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت
 * مجيئه أيام وقيل الحق القرآن أو الإخبار بالبعث (فهم في أمر مريج) أى مضطرب لا قرار له من
 ٦ مرج الخاتم في أصبعه حيث يقولون تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن (أفلم ينظروا) أى
 * أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا (إلى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أى رفعتها
 * بغير عمد (وزيناها) بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (وما لها من فروع) من فتوق للملاستها
 ٧ وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل (والأرض مددناها) أى بسطناها
 * (وألقينا فيها رواسي) جبالاتها من راس الشئ إذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للإيذان بأن
 ٨ إلقاءها يرساء الأرض بها (وأنبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى)
 علتان للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبنا بالفعل الأخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا
 * ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً (لكل عبد منيب) أى راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائعه .

- وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑩
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑪
رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ⑫
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑬
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ⑭

- وقوله تعالى (وزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية إنبات ما ذكر من
كل روج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على
ما بعده (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) كثيرة أى أشجاراً ذوات ثمار (وحب الحصيد) أى
حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالها وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود
بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر
الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيها من مراعاة الفواصل
(باسقات) أى طوالا أو حوامل من أسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرئ *
باسقات لأجل القاف (لها طلع نضيد) أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة
ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل
أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (رزقا للعباد) أى ليرزقهم علة
لقوله تعالى فأنبتنا وفى تعليقه بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب
على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق
وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لأن الإنبات رزق (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضاً *
جديدة لا تنمأ فيها أصلاً بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعدما كانت
جامدة هامة وتذكير ميتاً لأن البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد إلى
القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعدها رتبها أى
مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشئ مخالف لها وفى التعبير عن إخراج النبات
من الأرض بالإحياء وعن حياة الموق بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق
للمثالة بين إخراج النبات وإحياء الموق لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس وقوله
تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وأرد لتقرير حقيقة البعث ببيان كافة الرسل عليهم السلام
عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام وقيل وقبل *
كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل (وثمود) (وعاد وفرعون) أى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده ١٣

- وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمٌ تُبْعِ كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ⑭
 ٥٠ ق
 ٥٠ ق
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑮
 ٥٠ ق
 إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑯
 ٥٠ ق

١٤ (ولما خوان لوط) قيل كانوا من أصحابه عليه الصلاة والسلام (وأصحاب الآية) هم من بعث إليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جمع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الأظهر فعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع (لحق وعيد) أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الأول) استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الأمم المهلكة والعلى بالامر المعجز عنه يقال عى بالامر وعى به إذا لم يمتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينبى عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الإعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على خلق الأول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات والإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى ما تحدثه به نفسه وهو يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما إن جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا أو للإنسان وإن جعلت مصدرية والباء للتعدي (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أى أعلم بحاله من كان أقرب إليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزاً لأنه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق وإضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريداً لأن الروح ترده (إذ يتلقى المتلقيان) منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل عنه إلى ما لا شئ أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لإحاطة علمه بما يخفى عليهما وإما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾

يلحظ الله تعالى بتفاصيل أحواله خبراً من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام أن مقعد ملكيك على ثنيتك ولسانك قلبها ورجلك مهادها وأنت تجرى فيما لا يمينك لا تستحي من الله ولا منها وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بياناً للفرد على معنى أنا أقرب إليه مطلقاً على أعماله لأن حفظنا وكتبنا موكلون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجلس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى يلفظ الأول بدلالة الثاني عليه كما في قوله من قال [رمانى بأمر كست منه ووالدى * ريتاً ومن أجل الطوى رمانى] وقيل يطلق القميل على الواحد والمجند كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهروا (ما يلفظ من قولك) ما يرمى به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول (إلا لده رقيب) ملك يرقب قوله ويمكنه فإن كان خبراً فهو صاحب اليمين بيمينه وإلا فهو صاحب الشمال ووجه تسميته العنوان غنى عن البيان والإفراد مع وقوعها معاً على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينبغي عنه قوله تعالى (عتيد) أي معد مهياً لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له غوم لأن معناه رقيباً عتيداً ونخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلاف فيما يكتبانه فقليل يكتبان كل شيء حتى أتتبه في مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه من أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبغي عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرأ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال ادعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) ١٩ بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأن يح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعليه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والآهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي لإدانة بتحقيقها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهية بالعقل والباء إما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضره سكرة الموت حقيقة الأمر الذي نطق به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وولية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له وإما لللباسة كالتى في قوله تعالى تنبت بالذهن أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التى كتبت على الإنسان بموجب الحكمة وأنها لشدها ترجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الإضافة للتحويل

- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ٢٠
 وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١
 لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كُفُوبِكُمْ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢
 وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ ٢٣
 أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ٢٤

- وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه بعيد) أى تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان
 ٢٠ فإن النفخة عنه شاملة لكل فرد من أفرادها طبعاً (ونفخ في الصور) هى النفخة الثانية (ذلك) أى
 وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) أى يوم إنجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أى يوم وقوع
 الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم من نفخ فإن الفعل
 كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد كرم مع أنه يوم الوعد أيضاً لتحويله ولذلك
 ٢١ بذى. بيان حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معا سائق وشهيد) وإن
 اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملاً أى معها ملكان أحدهما يسوقها إلى
 المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل
 السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله
 وعمل معها النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجبر
 ٢٢ على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنتم فى غفلة من هذا) محكى
 بإضمار قول هو إما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله
 كأنه قيل فاذا يفعل بها فليل يقال لقد كنتم فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا
 وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافروقرئ كنتم بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير
 على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جلبة بن حريث [يا نفس إنك بالذات مسروراً •
 • فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير] (فكشفتنا عنكم غطاءك) الغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو
 • الغفلة والانهماك فى المحسوسات والآلف بها وقصر النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزال المانع
 ٢٣ للإبصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أى الشيطان المقيض له مشيراً إليه
 • (هذا ما لدى عتيد) أى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى وإضلالى وقيل
 قال الملك الموكل به مشيراً إلى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهياً للعرض وما إن
 جعلت موصوفة فتعبد صفتها وإن جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ
 ٢٤ مخوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار

مَنَاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾

٥٠ ق

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾

٥٠ ق

قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾

٥٠ ق

قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾

٥٠ ق

مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

٥٠ ق

أو لو اُحد على تنزيل تنبيه الفاعل منزلة تنبيه الفعل وتكريره كقول من قال [فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر * وإن تدعاني أحمر عرساً منعاً] أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه (معتد) ظالم متخط للحق (مررب) شك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله إلهاً آخر) مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره (فألقياه في العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أي الشيطان المقيض له وإنما استوقف استئناف الجمل الواقعة في حكاية المفاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما أطغيت) فإنه منبئ عن سابقة كلام اعتد به الكافر كأنه قال هو أطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (في ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما في قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فإذا قال الله تعالى فليل قال (لا تخاصموا لذي) أي في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك (وقد قدمت إليكم بالوعيد) على الطغيان في دار الكسب في كسبي وعلى السنة رسل فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تخاصموا وقد صرح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لا إبليس لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصاص في هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقماً على قوله تعالى (ما يبدل القول لدى) الخ ويكون بالوعيد متعلقاً بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت إليكم هذا القول ملتبساً بالوعيد مقترناً به أو قدمته إليكم موعداً لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعودي والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد) وارد لتحقيق الحق على الوجه *

٢٨

٢٩

يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ٥٠
وَأَزَلَفْتَ أَجَنَّةً لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٥١
هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٥٢

الكلّي وتبين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهة تعالى من غير استحقاق له منهم بل إنما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسباً أشير إليه آخفاً أي وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلاماً مفرطاً لبيان كمال زهاته تعالى عن ذلك بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وحيقة المبالغة لتأكيد هذا المعنى يبرز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعة العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيفاً (يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) مثقال وجواب مجيء بهذا على مناج التمثيل والتخييل لتحويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لفيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرىء يقول بالياء والمزيد إما مصدر كالجديد والمجيد أو مفعول كالبيع ويوم إما منصوب بأذكر أو أنذر أو ظرف للنفع فتكون ذلك أحياناً إشارة إليه من غير حاجة إلى تقدير مضاف أو لمقدر هو آخر أي يكون من الأحوال والأحوال ما يقصر عنه المقال (وَأَزَلَفْتَ أَجَنَّةً لِلْمُتَّقِينَ) شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفع ومجيء النفوس إلى موقف الحساب وقد أمر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفع أي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيتهجون بأنهم محشورون إليها فازنون بها وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للإزلاف أي مكاناً غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أي شيئاً غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على رتبة المصدر الذي يستوى في الوصف به المذكور والمؤثّر أو لتأويل الجنة بالمستان (هذا ما تُوْعَدُونَ) إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيته فإنهما من أحكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى قل أرأيي لعل الشمس بلزقة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحواب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويحزون أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو إشارة إلى ثواب وقيل إلى مصدر أزلفت وقرىء ما يوعدون والجملة إما اعتراض بين البدل والمبدل منه وإما مقدّم بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أي مقولاً لهم أو مقولاً له في حقها هذا ما تُوْعَدُونَ (لكل أواب) أي راجع إلى الله تعالى يدل من المتقين بإعادة الجار (حفيظ) حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقها.

مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾
 أَدْخُلُوهَا سَلَامٌ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾
 وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾

- (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أو اب ولا يجوز ٣٣
 أن يكون في حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف إلا بالذي أو مبتدأ خبره (ادخلوها) بتأويل ٣٤
 يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي
 أو مقوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عن الأعين لا يراه
 أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجعون رحمته أو بأن عليهم بسعة
 رحمته تعالى لا يعدم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبي عبادي أنى أنا الغفور
 الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ووصف القلب بالإناقبلة أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى (يسلام) *
 متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام
 من جهة الله تعالى وملائكته (ذلك) إشارة إلى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الأمور *
 (يوم الخلود) إذ لا انتهاء له أبداً (لهم ما يشاؤون) من فنون المطالب كائناً ما كان (فيها) متعلق ٣٥
 يشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عانده المحذوف من صلاته (ولدينا مزيد) هو *
 ما لا يحيط به العلم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
 على قلب بشر وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتطرهم الحور فتقول نحن المزيدي الذي قال تعالى
 ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشاً) أى قوة كعاد وأضرابها ٣٦
 (فنبهوا في البلاد) أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل
 مجال حذار الموت وأصل التنقيب والتقيب التنقيب عن الأمر والبحث والطلب والغاء للدلالة على أن
 شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنبهوا الخ وقرئ
 بالتخفيف (هل من محيص) أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة إما على إضمار قول هو *
 حال من واو نقبوا أى فنبهوا فى البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التنقيب لما فيه من معنى التنبع
 والتنقيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لنفى أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل
 مكة أى ساروا فى مسائرهم وأسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم
 وبعضه القراءة على صيغة الأمر وقرئ فنبهوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير
 أى أكثروا السير حتى نقت أقدامهم أو أخفاف إبلهم

إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
 فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
 وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾
 وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾

- ٣٧ (إن ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وقبل فيما ذكر في السورة (لذكرى) لتذكروا وعظة (لمن كان له قلب) أى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغي فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار دماره هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير (أو ألقى السمع) أى إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جليلة الأمر فيزجر عما يؤدى إليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فإن إلقاء السمع لا يمدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجرى القلب عما ذكر من الصفات للإيذان بأن من عرى قلبه عنها كن لا قلب له أصلاً (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (في ستة أيام وما مسنا) بذلك مع كونه مما لا ينقضي به القوى والقدر (من لغوب) من إعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهة اليهود في زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (فاصبر على ما يقولون) أى ما يقوله المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبنية على الإنكار والاستبعاد فإن من فعل هذه الأفاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) أى زمه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في إخباره التي من جملتها الإخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامداً له تعالى على ما أنعم به عليك من إصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وأدبر السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرىء بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات (واستمع) أى لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفضيع للخبر به (يوم ينادى المنادى) أى لإسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل لإسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالخشع (من مكان قريب) بحيث يصل

٣٠٠

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾

٣٠٠

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾

٣٠٠

يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾

٣٠٠

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

- ندأوه إلى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم
 ٤٢ يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الإعادة مثل كن في البدء (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم
 • ينادى الخ وهي النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى (ذلك
 يوم الخروج) أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور (إنا نحن
 ٤٣ نحى ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد (وإلينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا إلّا
 • غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً (يوم تشقق الأرض عنهم) بحذف إحدى التاءين من تشقق وقرئ
 ٤٤ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتشقق (سراعاً) مسرعين (ذلك حشر) هت
 • وجمع وسوق (علينا يسير) أى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى (نحن أعلم بما
 ٤٥ يقولون) من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لاخير فيه (وما أنت عليهم بجبار)
 • بمسلسط تقصرم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)
 • وأما من عدام فنحن تفعل بهم ما توحىه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب
 • عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه نارات الموت وسكراته .

٥١ - سورة الذاريات

(مكية وهي ستون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذُرُوا ۝١
 فَالْمُصَلِّاتِ وَقُرْ ۝٢
 فَالْحَرِيَّتِ يَسْرًا ۝٣
 فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ۝٤
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۝٥
 وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦

(سورة الذاريات مكية وآياتها ستون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والذاريات ذرؤاً) أى الرياح التى تذرو التراب وغيرها وقرىء
 ٢ يادغام التاء فى الذال (فالحمالات وقرأ) أى السحب الحاملة للطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرىء
 ٣ وقرأ على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسراً) أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية
 فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسراً
 ٤ صفة لمصدر محذوف أى جرياً ذا يسر (فالمقسمات أمراً) أى الملائكة التى تقسم الأمور من الأمطار
 والأرزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح
 تنزيلاً لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فإنها كما تذر وما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري
 فى الجو جرياً سهلاً وتقسم الأمطار بتصرف السحاب فى الأقطار فإن حملت الأمور المقسم بها على
 ذوات مختلفة فالقاء لترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة وإلا فهى
 لترتيب ما صدر عن الريح من الأفاعيل فإنها تذر الأبنجرة إلى الجو حتى تنعقد سحاباً فتجرى به بأسطة
 ٥ ٦ له إلى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى (إنما توعدون لصادق) (وإن الدين لواقع) جواب
 للقسم وفى تخصيص الأمور المذكورة بالأقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها
 من حيث أنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة
 أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله .

٥١ الذاريات

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦

٥١ الذاريات

إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُّتَخَلِّفٍ ⑧

٥١ الذاريات

يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ ⑨

٥١ الذاريات

قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ⑩

٥١ الذاريات

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ⑪

٥١ الذاريات

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ⑫

٥١ الذاريات

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ⑬

- ٧ (والسما ذات الحبك) قال ابن عباس وقادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والسكبي والضحاك ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظر أو النجوم فإن لها طرائق وعن الحسن حبكها تجومها حيث تربها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهي إما جمع حباك أو حبيكة كمثل ومثل وطريقة وطرق وقرىء الحبك بوزن السلك والحبك كالجليل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالإبل (إنكم لاني قول مختلف) أي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستويًا إنما هو متناقض مختلف وقيل النكته في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتناقض أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف إذ لا صرف أقطع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر أفك من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك أي من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصعدون الناس عن الإيمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وخراصون الكذابين المقعدون مالا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرىء قتل الخراصين أي قتل الله (الذين هم في غمرة) من الجهل والضلال (سَاهُونَ) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرىء لإيمان بكسر الهمزة (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال أي يقع يومهم على النار يحرقون
- ١٨٠ - أبي السعود ج ٨

- ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾
 ٥١ الذاريات
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
 ٥١ الذاريات
 ءَاخِذِينَ مَاءً آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
 ٥١ الذاريات
 كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾
 ٥١ الذاريات
 وَإِلَّا أَسْحَارٌ مِّمَّ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
 ٥١ الذاريات
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾
 ٥١ الذاريات
 وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبراً لمبتدأ محذوف أى هو يوم هم الخ والفتح لإضافته إلى غير متمكن
 ١٤ ويؤيده أنه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولاً لهم هذا القول وقوله تعالى (هذا الذى كنتم به
 تستعجلون) جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق
 ١٥ الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته (إن المتقين فى جنات
 ١٦ وعيون) لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم راضين به على
 • معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول (إنهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (محسنين) أى
 لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الإحسان بالإجمال
 ما أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد فسر
 ١٧ بقوله تعالى (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلاً
 ظرف أو كانوا يهجعون مجموعاً قليلاً على أنه صفة للبصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون
 مصدرية أو موصولة مرفوعة بقليل على الفاعلية أى كانوا قليلاً من الليل مجموعهم أو ما يهجعون فيه
 وفيه للبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوم
 الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل مانافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلاً
 بل يحبونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالأسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة
 ١٨ مجموعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا ليهم باقتراف الجرائم وفى
 بناء الفعل على الضمير لإشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم
 ١٩ له وإطناهم فيه (وفى أموالهم حق) أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقريباً إلى الله تعالى
 • وإشفاقاً على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنياً فيحرم الصادقة
 ٢٠ (وفى الأرض آيات للموقنين) أى دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفاصيل من حيث أنها مدحوة

٥١ الذاريات

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

٥١ الذاريات

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾

٥١ الذاريات

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾

٥١ الذاريات

هَلْ أَتَتْكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾

٥١ الذاريات

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾

- كالبساط الممد وفيها مسالك ولحاج للتقلين في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلتقي بالوان النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنها ومصلحهم في صحتهم واعتلاهم (وفي أنفسكم) أى وفي أنفسكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي ٢١ الأنفس له نظير يدل دلالة على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) أى ألا • تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة (وفي السماء رزقكم) أى أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد ٢٢ بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأقوات (وما توعدون) من الثواب لأن الجنة في السماء السابعة أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل إنه مبتدأ خبره قوله تعالى (فورب السماء ٢٣ والأرض إنه لحق) على أن الضمير لما وأما على الأول فأما له وأما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة (مثل ما أنكم تنطقون) أى كما أنه لاشك لكم في أنكم تنطقون ينبى أن لا تشكوا في حقيقته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق أو على أنه وصف لمصدر مخوف أى إنه لحق حقاً مثل نطقكم وقيل إنه مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت عبارة عن شيء وأن بما في حيزها إن جعلت زائدة ومحل الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع (هل ٢٤ أتاك حديث ضيف إبراهيم) تفخيم لشأن الحديث وتنبية على أنه ليس بما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الأصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكاً وقيل تسعة عشر هم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام أو لأنهم كانوا في حسابه كذلك (المكرمين) أى المكرمين عند الله تعالى أو عند إبراهيم حيث خدمهم • بنفسه وبزوجته (إذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو لما في الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ٢٥ إن فسر يا كرام إبراهيم (فقالوا سلاماً) أى نسلم عليك سلاماً (قال) أى إبراهيم (سلام) أى عليكم • سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء للقصد إلى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام

٥١ الناريات

فَرَاغَ إِلَهُ أَهْلِهِ بِجَاءٍ يَعْجَلُ سَمِينٍ ٢٦

٥١ الناريات

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧

٥١ الناريات

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُمْ بِغُلَامٍ عَلَيْهِمُ ٢٨

٥١ الناريات

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صُرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩

٥١ الناريات

قَالُوا لَظَلَمَ لَكَ قَالَ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠

٥١ الناريات

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١

- * أحسن من تحيتهم وقرنا مرفوعين وقرىء سلم وقرىء منصوباً والمعنى واحد (قوم مشكرون) أتكرم
 عليه الصلاة والسلام الذي هو علم للإسلام أو لأنهم ليسوا بمن عهدهم من الناس أو لأن أوضاعهم
 وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قاله في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك
 لأنه خاطبهم به جبراً أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل: وإلا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم
 يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة (فراغ إلى أهله) أي ذهب إليهم على خفية من ضيفه
 ٢٦ فإن من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادر به حذاراً من أن يكفه ويعنّده أو يصير منتظراً
 والفاء في قوله تعالى (بجاء يعجل سمين) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها
 وإذ أنا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فذبح عجلاً
 ٢٧ لحذذه فجاء به (فقربه إليهم) بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد (فقال ألا تأكلون) إنكار لعدم تعرضهم
 ٢٨ للأكل (فأوجس منهم) أضمر في نفسه (خيفة) لتوهم أنهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه أنهم ملائكة
 جاؤا للعذاب (قالوا لا تحزن) قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجملة فقام يندرج حتى لحق بأمه
 * ففرهم وأمن منهم (وبشروه) وفي سورة الصافات وبشرفاه أي بواسطتهم (بغلام) هو إسحاق
 ٢٩ عليه السلام (عليهم) عنه بلوغه واستوائه (فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت
 * في زاوية تنظر إليهم (في صرة) في صبيحة من الصرير أو محله النصب على الحالية أو المفعولية إن جعل
 * أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمني (فصكت وجهها) أي لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم
 * الطمط وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أي أنا عجوز عاقر
 ٣٠ فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك القول الكريم (قال ربك) وإنما نحن معبرون بخبرك به عنه تعالى
 * لا أنا فقوله من تلقاء أنفسنا (إنه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقاً وفعله متقناً لا محالة . روى
 أن جبريل عليه السلام قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوه موزقة مشرة ولم تكن
 هذه المقامضة مع سارة فقط بل مع إبراهيم عليه السلام أيضاً حسبما شرح في سورة الحجر وإنما لم يذكر
 ٣١ ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود (قال)

٥١ الذاريات

قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

٥١ الذاريات

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾

٥١ الذاريات

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾

٥١ الذاريات

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾

٥١ الذاريات

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾

٥١ الذاريات

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

٥١ الذاريات

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

٥١ الذاريات

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرُ أَوْ يُجْنُونُ ﴿٣٩﴾

- أى إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر (فاخطبكم) أى شأنكم الخطير الذى
 لأجله أرسلتم سوى البشارة (أياها المرسلون) (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط ٣٢
 (لنرسل عليهم) أى بعد ما قبلنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة (حجارة
 من طين) أى طين متحجر هو السجيل (مسومة) مرسله من أسمت الماشية أى أرسلتها أو معلقة من
 المسومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى سورة هود (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور
 وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عاياه السلام بطريق الإجمال ٣٥
 بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام والقاء فضيحة مفصحة عن جبل
 قد حذفت لغة بذكرها فى مواضع آخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك
 الخ (من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط وإضمارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) بمن آمن بلوط
 (فما وجدنا فيها غير بيت) أى غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل
 بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أى فى القرية (آية) أى علامة دالة على ما أصابهم من العذاب ٣٦
 قيل هى تلك الأحجار أو صخر منضود فيها أو ماء متتن (الذين يخافون العذاب الأليم) أى من شأنهم
 أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب الفاسية فإنهم لا يعتنون بها
 ولا يعدونها آية (وفى موسى) عطف على قوله تعالى وفى الأرض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية ٣٨
 على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علقها تبنياً وماء بارداً (إذ أرسلنا) قيل هو منصوب بآية
 وقيل بمخدوف أى كأنه وقت لإرسالنا وقيل بتركنا (إلى فرعون بسطان مبين) هو ما ظهر على يديه
 من المعجزات الباهرة (فتولى بركنه) أى فأعرض عن الإيمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانه ٣٩

- ٥١ الذاريات فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾
- ٥١ الذاريات وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾
- ٥١ الذاريات مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾
- ٥١ الذاريات وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾
- ٥١ الذاريات فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾
- ٥١ الذاريات فَلَمَّا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾
- ٥١ الذاريات وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾
- ٥١ الذاريات وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾

- وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبدناهم في اليم) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قاة فرعون وقومه (وهو ملهم) أى آت بما يلام عليه من الكفر والظلم والبطش والظلمة حال من الضمير فى أخذناه (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيراً ما من إنشاء مطر
- ٤٠ من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبدناهم في اليم) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قاة فرعون وقومه (وهو ملهم) أى آت بما يلام عليه من الكفر والظلم والبطش والظلمة حال من الضمير فى أخذناه (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيراً ما من إنشاء مطر
- ٤١ آت بما يلام عليه من الكفر والظلم والبطش والظلمة حال من الضمير فى أخذناه (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيراً ما من إنشاء مطر
- ٤٢ أو إلحاق شجر وهى النكباء أو الدبور أو الجنوب (ماتذر من شيء أنت عليه) أى جرت عليه (إلا جعلته كالريم) هو كل مارم ولى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تخطوا وتكفونوا بالأنطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) إليها ويعاينونها (فاستطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح فإن ما قبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفاً على محل عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المهلكين (لأنهم كانوا قوماً فاسقين) خارجين عن الحدود فيما كانوا فيمن الكفر والمعاصى (والسما بنيناها بأيد) أى بقوة (وإننا لموسعون)

٥١ الذاريات

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾

٥١ الذاريات

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

٥١ الذاريات

فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

٥١ الذاريات

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

٥١ الذاريات

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾

- لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض
 أو الرزق (والأرض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها (فنعلم الماهدون) أي نحن ٤٨
 (ومن كل شيء) أي من الأجناس (زوجين) أي نوعين ذكرًا وأنثى وقيل متقابلين السماء والأرض ٤٩
 والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك (لعلكم تذكرون) أي فعلنا ذلك كله كي تذكروا
 فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله
 تعالى (فقرؤا إلى الله) مقدر لقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والقاء إما لترتيب
 الأمر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار إليها كأنه
 قيل قل لهم إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذي هذه شؤنه بالإيمان والطاعة كي تنجوا من عقابه
 وتفوزوا بثوابه وإما للعطف على جملة مقدرة مرتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم
 فتذكروا فقرؤا إلى الله الخ وقوله تعالى (إني لكم منه نذير مبين) تعليل للأمر بالفرار إليه تعالى أو
 لوجوب الامتثال به فإن كونه عليه الصلاة والسلام منذراً منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام
 أن يأمرهم بالفرار إليه وعليهم أن يمتثلوا به أي إني لكم من جهته تعالى منذرين كونه منذراً منهم
 أو مظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به وفي أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم
 بالهرب إليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه
 وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى (ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر) فهو
 موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى (إني لكم منه) أو
 من الجمل المنهى عنه (نذير مبين) فإن تعلق كلمة من بالإنذار مع كون صلته الباء بتضمنينه معنى الإفر
 يقال فر منه أي هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقاداً أو قولاً إلهاً آخر
 وفيه تأكيد لما قبله من الأمر بالفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي
 عن سببه وإيجاب الفرار (كذلك) أي الأمر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحراً ٥٢
 أو مجنوناً وقوله تعالى (ما آتى الذين من قبلهم) الخ تفسير له أي ما أتاهم (من رسول) من رسل الله
 (إلا قالوا) في حقه (ساحر أو مجنون) ولا سبيل إلى انتصاب الكاف بآتي لامتناع عمل ما بعد

- أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٢﴾ ٥١ الذاريات
- فَقَوْلَ عَلَيْهِمْ فَآأَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٣﴾ ٥١ الذاريات
- وَذِكْرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ ٥١ الذاريات
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾ ٥١ الذاريات

٥٢ من النافية فيما قبلها (أتواصوا به) إنكار وتعجب من حالهم وإجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلاً عن التفوه بها أي أوصى بهذا القول بعضهم بعضاً حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى (بل هم قوم طاغون) لإضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر توابعهم بذلك وإثبات لكونه أمراً أقيح من التواصي وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طابعهم (فقول عنهم) فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء ٥٤ (فأنت بملوم) على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلاغ كل حد معهود (وذكر) أي أفعّل التذكير والموعظة ولا تدعها بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أي الذين قدر الله تعالى لإيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن كون خلقهم مغياً لعبادته تعالى ما يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتزليل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وإنما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلاً بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لو لاه لم يفعله لإفضائه إلى استكمال بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كالية يفرض إليها فعل الفاعل الحق فغير متنى من أفعاله تعالى بل كلها جارية على المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادئ وتأخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ونظائره وقيل المعنى (لا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) وقيل المراد سعداء الجنس كما أن المراد

- ٥١ الذاريات مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾
- ٥١ الذاريات إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
- ٥١ الذاريات فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾
- ٥١ الذاريات فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٦٠﴾

بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس أشقياء وما يعصده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفوه ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف خلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن الاعتبار هو المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى ما يحصل بغيرها كعرفة الفلاسفة (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ٥٧ بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وتهيئة أرزاقهم أى ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل أفضّل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى (إن الله هو الرزاق) ٥٨ الذى يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرىء لى أنا الرزاق (ذو القوة المتين) * بالرفع على أنه نعمت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرىء بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأيد (فإن للذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ٥٩ بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكديماً وهم أهل مكة (ذنوباً) * أى نصيباً وافرأ من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) أى لا يطلبوا منى أن أعجل فى الحجى به يقال استعجله أى حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء الأولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى (من يومهم الذى يوعدون) للتعليل أى يوعدونهم يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأفضل لما قبله من حيث أنهما من العذاب الدينوى . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا .

٥٢ - سورة الطور
(مكية وهي تسع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢ الطور

وَالطُّورِ ①

٥٢ الطور

وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ②

٥٢ الطور

فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③

٥٢ الطور

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④

٥٢ الطور

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤

٥٢ الطور

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥

٥٢ الطور

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦

٥٢ الطور

مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧

(سورة الطور مكية وآياتها تسع وأربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل
- ٢ بمدن سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فإن
- السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الأنصب بالطور
- ٣ أو ما يكتب في اللوح أو ما يكتبه الحفظة (في رق منشور) الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما
- ٤ يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للإشعار بأنهما ليسا بما يتعارفه الناس (والبيت المعمور) أي السكبة وعمارها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
- ٥ كثرة غاشيته من الملائكة (والسقف المرفوع) أي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
- ٦ (والبحر المسجور) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد
- ٧ به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم (إن عذاب ربك لواقع)
- ٨ أي لنازل حتماً جواب للقسم وقوله تعالى (ماله من دافع) إما خبر ثان لأن أو صفة لواقع ومن دافع إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها لما أنها أمور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل

٥٢ الطور

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨

٥٢ الطور

وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ⑩

٥٢ الطور

فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑪

٥٢ الطور

الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫

٥٢ الطور

يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ⑬

٥٢ الطور

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭

٥٢ الطور

أَفْسَحِرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ⑮

٥٢ الطور

أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯

- أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هول وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في الحجى والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرجا وتتكدفا بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها (وتسير الجبال سيرا) أى نزول عن وجه الأرض فتصير هباء ١٠ وتأكيد الفعلين بمصدرهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) أى إذا وقع ذلك أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل ١١ يوم إذ يقع ذلك لهم (الذين هم في خوض) أى اندفاع عجيب فى الأباطيل والأكاذيب (يلعبون) ١٢ يلعبون (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أى يدفون إليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم ١٣ وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار وقرىء يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) ١٤ أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسح هذا) توبيخ ١٥ وتقرع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أى أم أنتم عمى عن الخبر * عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا) أى ادخلوها وقاسوا شأنها ١٦ فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أى الأمران فى عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه * وقوله تعالى (إنما تحزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع *

- ٥٢ الطور إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ①٧
- ٥٢ الطور فَكَهِنِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رَبَّهُمْ وَقَلَّهِمْ رَبَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ①٨
- ٥٢ الطور كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ①٩
- ٥٢ الطور مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْصُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ②٠
- ٥٢ الطور وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ②١

- ١٧ حتماً كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع (إن المتقين في جنات ونعيم) أي في أية جنات وأي نعيم
- ١٨ على أن التنوين للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع (فأكهين) ناعمين مثلن الذين * (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر * (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر إن أو حال بإضمار قد إما من المستكن في الخبر أو في الحال وإما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما وإظهار الرب في موقع الإضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) أي يقال لهم كلوا واشربوا * أكلا وشراباً (هنيئاً) أو طعاماً وشراباً هنيئاً وهو الذي لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه ٢٠ أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئاً أي هنا كم ما كنتم تعملون أي جزاؤه (متكئين على سرر * مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرئ بحور عين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعين عين والباء مع أن التوزيع بما يتعدى إلى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والإلصاق ٢١ أول السببية إذ المعنى صيرناهم أزواجاً بسببهم فإن الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهم إليهم وقوله تعالى (والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركهم ذريتهم في الإيمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى (واتبعهم ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل * اعتراض وقوله تعالى (يايمان) متعلق بالاتباع أي اتبعهم ذريتهم في الإيمان في الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيدان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً وقرئ ذرياتهم للبالغ في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ وأتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم تابعين لهم * في الإيمان وقرئ اتبعهم (ألحقنا بهم ذريتهم) أي في الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال * إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقربهم عنه ثم تلا هذه الآية (وما ألتناهم) * وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق (من عملهم) من ثواب عملهم (من شيء) بأن أعطينا بعض مثوباتهم آباءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجاتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض الفضل والإحسان وقرئ

٥٢ الطور

وَأَمْدَدْنَهُمْ بِفَنَكِهِمِ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾

٥٢ الطور

يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٣﴾

٥٢ الطور

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾

٥٢ الطور

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾

التناهم بكسر اللام من آلت يآلت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرانهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الإخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى يايمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم ليم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل بشيء من الإيمان لا يؤهلهم للدرجة الآباء ألقناهم بهم (كل امرئ بما كسب رهين) قيل هو فاعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فإن عمله فكه وإلا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب رهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجمله تعليل لما قبلها (وأمددناهم بفأكهة ولحم مما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ التمتع وقتاً فوقتاً ما يشتهون ٢٢ من فنون النماء وألوان الآلاء (يتنازعون فيها) أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكال رغبة واشتياق ٢٣ كما نبه عنه التعبير عن ذلك بالتنازع (كأساً) أى خمرأ تسمية لها باسم عملها (لا لغو فيها) أى فى شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (ولا تأتيم) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب إلى الإثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرىء لا لغو فيها ولا تأتيم بالفتح (ويطوف عليهم) ٢٤ أى بالكأس (غلمان لهم) أى ممالك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كانهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من يياضهم وصفائهم أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يابيه ليك ليك (وأقبل بعضهم على بعض ٢٥ يتساملون) أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيسكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً .

٥٢ الطور

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾

٥٢ الطور

فَنَآلَهُ عَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُومِ ﴿٢٧﴾

٥٢ الطور

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

٥٢ الطور

فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾

٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾

٥٢ الطور

قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

٥٢ الطور

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلُكُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾

٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

- ٢٦ (قالوا) أى المسؤلون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (إنا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العقابة (فن آله علينا) بالرحمة أو التوفيق للحق (ووقنا عذاب السوموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السوموم وقرىء ووقنا بالتشديد (إنا كنا من قبل) أى نعبده أو نسأله الوفاة (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة
- ٢٧ الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرىء أنه بالفتح بمعنى لأنه (فذكر) فثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكثر بما يقولون بما لا خير فيه من الأباطيل (فما أنت بنعمة ربك) بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما يتولون قائلهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر تربص به ريب المنون) وهو ما يلقى النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الأصل فحول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع أى بل يقولون ننتظر به نواب الدهر (قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) أتربص
- ٢٨ هلاككم كما تربصون هلاكى وفيه عدة كريمة يهلكهم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) أى بهذا تناقض فى المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الأمور والمجنون المغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر
- ٢٩ الأحلام بذلك مجازعن أداها إليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يرمون الرشد والساد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرىء
- ٣٠ بل هم (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فكيف فهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل اتى لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم .

- ٥٢ الطور فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴿٣٤﴾
 ٥٢ الطور أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴿٣٥﴾
 ٥٢ الطور أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴿٣٦﴾
 ٥٢ الطور أم عندهم خزائن ربك أم هم المهيضون ﴿٣٧﴾
 ٥٢ الطور أم هم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بساطن مبين ﴿٣٨﴾
 ٥٢ الطور أم له البنات ولكم البنون ﴿٣٩﴾
 ٥٢ الطور أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ﴿٤٠﴾

- ٣٤ (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن في النبوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى (إن كانوا صادقين) فيما زعموا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك (أم خلقوا من غير شيء) أي أم أحدثوا أو قد روا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شيء من عبادة وجزاء (أم هم الخالقون) لأنفسهم *
 ٣٥ فلذلك لا يعبدون الله سبحانه (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم خزائن ربك) أي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عن شاؤا أو عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (أم هم المهيضون) أي الغالبون *
 ٣٦ على الأمور يدبرونها كيف شاؤا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيتهم وقرى المهيضون بالصاد لمكان الطاء (أم هم سلم) منصوب إلى السماء (يستمعون فيه) صاعدين إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الأمور التي يتقولون فيها رجماً بالغيب ويعلقون بها أطعاهم الفارغة (فليأت مستمعهم بساطن مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ولكم البنون) تسفيه لهم وتركيبك لعقولهم ولإيدان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلاً عن الترقى إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية والاتفات إلى الخطاب لتشديد مافي أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ (أم تسألهم أجراً) رجوع إلى خطابه عليه الصلاة والسلام وإعراض ٤٠ عنهم أي بل أتسألهم أجراً على تبليغ الرسالة (فهم) لذلك (من مغرم) من الزام غرامة فادحة (مثقلون) * يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك .

٥٢ الطور

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾

٥٢ الطور

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾

٥٢ الطور

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

٥٢ الطور

وَلَا يَرَوْنَ كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾

٥٢ الطور

فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾

٥٢ الطور

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

٥٢ الطور

وَلَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

- ٤١ (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ المثلث فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك
- ٤٢ بنى أو إثبات (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (هم المكيدون) أى هم الذين يخبث بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون فى الكيد من كايده فكايده (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون)
- ٤٣ أى عن إشراكهم أو عن شركة ما يشركونه (وإن يروا كسفاً) قطعة (من السماء ساقطاً) لتعذيبهم (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحب مركوم) أى هم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هذا سحب تراكم بعضه على بعض يطرنا ولم يصدقوا
- ٤٤ أنه كسف ساقطاً للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا) وقرئ: حتى يلقوا (يومهم الذى فيه يصعقون) على البناء للفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ: يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذ ولأن قوله تعالى (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً) أى شيئاً من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعاً فى الانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست بما جرى فى مدافعتهم
- ٤٥ الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تاباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم (وإن الذين ظلموا) أى لهم ووضع الموصول موضع ضمير لما ذكر من قبل أى وإن هؤلاء الظلمة (عذاباً) آخر (دون ذلك) دون ما لا قوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراه كما فى قوله [ترك القذى من دونها]

٥٢ الطور

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۚ ٤٨

٥٢ الطور

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ٤٩

- وهو دونها [وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرىء دون ذلك قريباً (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كما ذكر وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً أولاً يعلمون شيئاً أصلاً (واصبر لحكم ربك) يأمهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم ٤٨ مع مقاساة الأحران ومعاناة الهموم (فإنك بأعيننا) أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكثرك وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبساً (بحمد ربك) على نعمائه الفاتية للحصر (حين تقوم) من أى مكان قت قال سعيد بن جبیر وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانه اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع إذا قت إلى الصلاة فقل سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) لإفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن ٤٩ العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وإدبار النجوم) أى وقت إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرىء وأدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها إذا غربت أو خفيت . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته .

٥٣ — سورة النجم
(مكية وهي لإثنتان وستون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣ النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①

٥٣ النجم

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ②

(سورة النجم مكية وآياتها لإثنتان وستون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والنجم إذا هوى) المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويًا بوزن قبول إذا غرب وهويًا بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهو به نزوله والعامل في إذا فعل القسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيتك إذا حمر البسر وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية ورااه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدى به السارى إلى مسالك الدنيا كأنه قبل والنجم الذى يهتدى به السابلة إلى سواء السبيل (ماضل صاحبكم) أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة (وما غوى) أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شيء أصلا وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق ماضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم وللإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبراً ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفي عنه بالسكينة واتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شئنه العظيمة مقتضية لذلك حتماً وتقيد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتشاره يوم القيامة أو على انقضاء النجم ض الذى يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو

٥٣ النجم

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣

٥٣ النجم

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤

٥٣ النجم

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥

٥٣ النجم

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦

٥٣ النجم

وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧

٥٣ النجم

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨

٥٣ النجم

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩

على ظهوره منها فما لا يناسب المقام (وما ينطق عن الهوى) أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ٣ ورأيه أصلاً فإن المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لاننى استمرار النطق عنه كما مر مراراً (إن هو) ٤ أى ما الذى ينطق به من القرآن (إلا وحى) من الله تعالى وقوله تعالى (يوحى) صفة مؤكدة لوحى * رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى (علمه شديد القوى) أى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة فى إبداء الخوارق وناهيك دليلاً على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بشمود صيحة فأصبجوا جائمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أى حصافة ٦ فى عقله ورأيه ومثانة فى دينه (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى ما أوحى * بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلها هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرا فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملاً الأفق نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الأدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فإنه رآه فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى (وهو بالأفق الأعلى) أى أفق الشمس حال من فاعل استوى (ثم دنا) ٨، ٧ أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام (فتدلى) أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به * فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق (فكان) ٩ أى مقدار امتداد ما بينهما (قاب قوسين) أى مقدارهما فإن القاب والقيب والقادر والقيد والقيس *

٥٣ النجم

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١١﴾

٥٣ النجم

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

٥٣ النجم

أَفْتُمِرُّونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾

٥٣ النجم

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾

٥٣ النجم

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾

- المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو منى معقد الإزار (أو أدنى) أى على تقدير كم
 كما في قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقق استماعه لما أوحى إليه بنى البعد
 ١٠ الملبس (فأوحى) أى جبريل عليه السلام (إلى عبده) عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لغاية ظهوره
 كما في قوله تعالى ماترك على ظهرها (ما أوحى) أى من الأمور العظيمة التى لا تنى بها العبارة أو فأوحى
 الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى
 ١١ الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام (مارأى) أى مارآه
 يبصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً
 ١٢ لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره وقرىء ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتأرونه على
 ما يرى) أى أنكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للممارسة تمارونه
 من المراء وهو الملاحة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه
 وقرىء أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال
 ١٣ غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراء حقه إذا جحده (ولقد رآه نزلة أخرى) أى وبالله
 لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعل
 اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى فنصبها على المصدر
 ١٤ (عند سدره المنتهى) هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كأذان
 الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاماً لا يقطعها
 والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل إليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا
 يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى إليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى إليها ما يهبط من فوقها ويصعد من
 تحتها قيل إضافة السدره إلى المنتهى إما إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار البستان أو إضافة المحل
 إلى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدره عندها منتهى علوم الخلائق أو إضافة الملك إلى المالك
 على حذف الجار والمجرور أى سدره المنتهى إليه وهو الله عز وجل قال تعالى إلى ربك المنتهى .

٥٣ النجم

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝١٥

٥٣ النجم

إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝١٦

٥٣ النجم

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝١٧

٥٣ النجم

لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝١٨

٥٣ النجم

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝١٩

٥٣ النجم

وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى ۝٢٠

- (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يأوى إليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الأحسن ١٥ أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) ١٦ ظرف زمان لآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فإن ما النافية لا يعمل بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الإتيان يقال فلان يغشاني كل حين أى يأتيني والاول هو الأليق بالمقام وفى إبهام ما يغشى من التفخيم مالا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق إليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشها بما لا يكتنه الوصف ولا ينفى به البيان كيفاً ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة وللإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشها الجسم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما يتجلى للجبل لكنها أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشها رفر من طير خضر (ما زاغ البصر) أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة مالا يحصى بل أثبتته إثباتاً صحيحاً متيقناً أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله ١٨ لقد رأى الآيات التى هى كبرائها وعظماها حين خرج به إلى السماء فأرى عجائب الملك والمملوك مالا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيئاً عظيماً من آيات ربه وأن تكون من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى) (ومنوثة الثالثة الأخرى) هى أصنام ٢٠، ١٩ كانت لهم فالات كانت لتثيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها ويطوفون بها وقرىء بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه

٥٣ النجم

الْكُرُّ الذِّكْرُ وَلَهُ الْآثِنَى ﴿٢١﴾

٥٢ النجم

تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾

الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً ومناة صخرة لهديل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النساء تسمى عندها أى تراق وقرى ومناة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها والآخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضعية المقدار وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للآلات والعزى ثم أنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقيل لهم تويخاً وتبكيثاً أفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شأن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملائ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتهم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقامتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتهم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمتهم وقيل أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم والأول هو الحق كما يشهد ٢١ به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الآثى) شهادة بينة فإنه تويخ مبنى على التوييخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنبه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوييخ الثانى عليه وظاهر أن ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثانٍ للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الأول لما أن الأصل أخبروني أن الآلات والعزى ومناة ألكم الذكور وله من أى تلك الأصنام فوضع موضع الآثى لمراعاة القواصل وتحقيق مناط التوييخ فع مافيه من التمحلات التي ينبغي تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله يقتضى اقتصار التوييخ على ترجيح جانبهم الحقير ٢٢ على جنباب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوييخ على نسبة الولد إليه سبحانه (تلك) إشارة إلى القسم المنهية من الجملة الاستفهامية (إذا قسمة ضيزى) أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكرون

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾

٥٣ النجم

٥٣ النجم

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾

٥٣ النجم

منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فإن فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرئ ضزى بالهمزة من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى إما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى (إن هى) الضمير للأصنام ٢٣ أى ما الأصنام باعتبار الألوهية التى يدعونها (إلا أسماء) محضة ليس تحتها نبيها هى عنه من معنى * الألوهية شئ ما أصلاً وقوله تعالى (سميتموها) صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيس إلى الاسم فجعلها اسماً للمسمى وإن قيس إلى المسمى فجعلها مسمى للاسم وإنما اختير هنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما فى قوله تعالى ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للأسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والإعزاز والتقرب إليها بالقرايين وأنت خير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للأصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هى فى سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الأصنام على وجه برهانى فإن انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الأولوية أى ما هى إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتوها (أتم ولا أبأؤكم) بمقتضى أهوانكم * الباطلة (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (إن يتبعون) التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جنائياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (إلا الظن) إلا توهم أن ما هم عليه حق توهم باطلاً (وما تهوى الأنفس) أى تشتهيه أنفسهم * الأماراة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) قيل هى حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياً ما كان ففیه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فإن اتباعهما من أى شخص كان قبيح ومن هداه الله تعالى يارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وإزال الكتاب أقبح (أم للإنسان ٢٤ ما تمنى) أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يمدى نفعا أصلاً والهمزة للإنكار والنفي أى ليس للإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التى من جملتها أطعامهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظارها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود (فله الآخرة والأولى) تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان ما يتمناه حتماً فإن اختصاص ٢٥

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾

٥٣ النجم

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ٥٣ النجم
فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ٥٣ النجم

- ٢٦ أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتضى لا تنفاه أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً) لإقناط لهم عما علقوا به أطعاهم من شفاعاة الملائكة لهم موجب لإقناطهم من شفاعاة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير عليها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع أفراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء في وقت من الأوقات (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعاة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعاة ألف منزل فإذا كان
- ٢٧ حال الملائكة في باب الشفاعاة كما ذكر فاعلمهم بحال الأصنام (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق يسمون كل واحد منهم (تسمية الأنثى) فإن قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالأنثى وفي تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشفاعاة والفضاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترأ عليها إلا من يؤمن بها رأساً وقوله تعالى
- ٢٨ (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلاً وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (أن يتبعون) في ذلك (إلا الظن) الفاسد (وإن الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الإضمار (لا يغني من الحق شيئاً) من الإغناء فإن الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها (فأعرض عن تولى عن ذكرنا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما في حيز صلته من الأوصاف القيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبئ فإن ذلك مستتب لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) راضياً بها قاصراً نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه قال من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه

ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن

٥٣ النجم

أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

٥٣ النجم

بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾

- لا تزيد الدعوة إلى خلافا إلا عناداً وإصراراً على الباطل (ذلك) أى ما أدام إلى مالم فيه من التولى ٣٠
- وقصر الإرادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى تجديهم الدعوة والإرشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للأمر بالإعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلاً وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة أى هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبداً وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فإنهم من القبيل الأول وفي تعليل الأمر بإعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز إلى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء فيه وعيد ووعد ضمناً كما سيأتى صريحاً (ولله ما في السموات وما في الأرض) أى خلقاً وملكاً لا ٣١
- لغيره أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً وقوله تعالى (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما • اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر عليه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظ لهما ليجزى (الذين أسأوا بما عملوا) أى • بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالإساءة يائناً لحاله أو بسبب ما عملوا (ويجزى الذين أحسنوا) • أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالثوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى والله ما في السموات وما في الأرض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بصل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره إلى أن يحزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول أمره إلى أن يحزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبية على تباين الجزاءين .

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾

٥٣ النجم

٥٣ النجم

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾

٥٣ النجم

وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾

٣٢ (الذين يجتنبون كبائر الإثم) بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجديد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الإثم على إرادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما لحش من الكبائر خصوصاً (إلا اللمم) أى إلا ما قل وصغر فإنه مغفور من يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمرة والقبلة وقيل هي الخطاة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (إن ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناّب الكبائر فالجمله تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجهم عن حكم المؤاخذه به ليس لحاوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها لعل تعقيب وعد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا يياس صاحب الكبرية من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى (هو أعلم بكم) أى بأحوالكم يعلمها (إذ أنشأكم) في ضمن إنشاء أيكم آدم عليه السلام (من الأرض) لإنشاء إجمالاً حسبما مر تقريره مراراً (وإذ أنتم أجنة) أى وقت كونكم أجنة (في بطون أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجمله استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذه باللئم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع عليه بصدوره عنكم أى إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاة العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته (هو أعلم بمن اتقى) المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيا بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوقيفه وتأيدته ولم يقصد به التمدح

٣٣ لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرايت الذى تولى) أى عن

٣٤ اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلاً) أى شيئاً قليلاً أو إعطاء قليلاً (وأكدى) أى قطع العطاء

٥٣ النجم

٥٣ النجم

٥٣ النجم

٥٣ النجم

٥٣ النجم

أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى ٣٥

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ٣٦

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٣٧

أَلَا تَرَى زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى ٣٨

وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٩

من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت في الوليد ابن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيره بعض المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما كان يوافق النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأمور وقيل في أبي جهل كان ربما يوافق الرسول عليه الصلاة والسلام في بعض الأمور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلاً وأكدى والأول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى) الخ أى أعنده علم ٣٥ بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما في صحف موسى) (وإبراهيم ٣٦، ٣٧ الذي وفى) أى وفر وأنتم ما ابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى إذا أنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشى كل يوم فرسناً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر (ألا تروى زرة وأخرى) أى أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هي المخففة من الثقلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل بما في صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفها فقليل هو أن لا زرع الخ والمعنى أنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدر في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره وقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) بيان لعدم انتفاع الإنسان ٣٩ بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات وصدقهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعاً فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وإن

٥٣ النجم	وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ④٠
٥٣ النجم	ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ④١
٥٣ النجم	وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ④٢
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ④٣
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ④٤
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ④٥
٥٣ النجم	مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ④٦
٥٣ النجم	وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ④٧
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ④٨
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ④٩
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ⑤٠

- ٤٠ كان بانضمام عمل غيره إليه وأن مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى)
- ٤١ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء (ثم يجزاه) أى يجزى الإنسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى (الجزاء الأوفى) أى يبدل هو عنه كفى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن إلى ربك المنتهى) أى انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالاً
- ٤٢ ولا اشتراكاً وقرىء بكسر إن على الابتداء (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق قوت الضحك والبكاء
- ٤٣ (وأنه هو أَمَاتَ وَأَحْيَا) لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال
- ٤٤، ٤٥ وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) (من نطفة إذا تمنى) تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من مئى معنى قدر (وأن عليه النشأة الأخرى)
- ٤٨ أى الإحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرىء النشأة باند وهى أيضاً مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى ما يتأهل من الأموال وإفردا بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه
- ٤٩ جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغيباء وكانت خزاعة تعبدتها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبهاً له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته لإمامهم في دينهم (وأنه أهلك

٥٣ النجم	وَتُحْمَدُ أَفَّا أَتَقَى ٥١
٥٣ النجم	وَقَوْمٌ نُوْجٌ مِّن قَبْلُ لَإِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ٥٢
٥٣ النجم	وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى ٥٣
٥٣ النجم	فَفُشِّهَا مَا غَشَى ٥٤
٥٣ النجم	فَبَأَى آلاءَ رَبِّكَ تَتَمَارَى ٥٥
٥٣ النجم	هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى ٥٦

عاد الأولى) هي قوم هود عليه السلام وءاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقرىء عاد الأولى بحذف الهزة ونقل ضمها إلى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح هزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف (وتمود) عطف على عاد لأن ما بعده لا يعمل ٥١ فيه وقرىء وتموداً بالتنوين (فما أتقى) أى أحداً من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضاً (من) ٥٢ قبل (أى من قبل إهلاك عاد وتمود) (لأنهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه * وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قرياً من ألف سنة (والمؤتفكة) هي قرى قوم لوط انتفكت ٥٣ بأهلها أى انقلبت بهم (أهوى) أى أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام * إلى السماء (ففشها ما غشى) من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفطيع مالا غاية وراءه (فبأى آلاء ٥٤، ٥٥ ربك تتماهى) تشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى إنا أشركت ليعبطن عملك أو لكل أحد وإسناد فعل التماهى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فإن صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الأول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضاً فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فإن المراء متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الأمور المعدودة آلاء مع أن بعضها فم لما أنها أيضاً نعم من حيث إنها فصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للعبيرين (هذا نذير من النذر الأولى) هذا ٥٦ إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأياً ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى

- أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾
 ٥٣ النجم
 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾
 ٥٣ النجم
 أَفَنَزَّ هَذَا الْخَبِيرُ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾
 ٥٣ النجم
 وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾
 ٥٣ النجم
 وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾
 ٥٣ النجم
 فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾
 ٥٣ النجم

٥٧ تعقيقه بقوله تعالى (أزفت الآزفة) إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أي دنت الساعة الوصفة
 ٥٨ بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها نفس قادرة على
 كشفها عند وقوعها إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله تعالى
 فإنه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تعالى لا يجلبها لوقتها إلا هو أو ليس لها
 ٥٩ من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية (أفمن هذا الخبير) أي القرآن (تعجبون)
 ٦٠ إنكاراً (وتضحكون) استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك (ولا تبكون) حزناً على ما فرطتم في
 ٦١ شأنه وخوفاً من أن يحقق بكم ما حاق بالأمم المذكورة (وأنتم سامدون) أي لاهون أو مستكبرون
 من سبد البعير إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير
 أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال [رمى الحدثان نسوة آل
 سعد * بمقدار سمدن له سودا] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سودا] والجملة
 حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للنفي والإنكار وورد على نفي البكاء
 والسمود معاً وعلى الوجه الأول قيد للنفي والإنكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود والأول
 ٦٢ أو في بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الأمر أو موجه على ما تقرر
 من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع
 أي وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوا . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ
 سورة النجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ووجد به بمكة شرفها الله تعالى .

٥٤ - سورة القمر

(مكية وهي خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾

٥٤ القمر

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

٥٤ القمر

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾

٥٤ القمر

(سورة القمر مكية إلا الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦ فمدنية وآياتها خمس وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أقربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلن فلتمتين فلقة ذهبية وثلاثة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقي القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فإنه ناطق بأنه قد وقع ٢ وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ. وقد انشق القمر أى اقربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أى وإن يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبق تنمية لأنفسهم وتعليلها وهو الأنسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويده ماسياتي لرده وقرئ. وإن يروا على البناء للفعول من الإراءة (وكذبوا) أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وما ٣ غايته بما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا ٥ الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لإقناطهم عما علقوا به ٥ أما نبيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته وسوخته أى وكل أمر من الأمور مستقر أى منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملة أمر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وإيهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمركم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار

- ٥٤ القمر وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ①
- ٥٤ القمر حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ②
- ٥٤ القمر فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ③
- ٥٤ القمر خُشْعًا أَبْصَرَهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ④
- ٥٤ القمر مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑤
- ٥٤ القمر كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرٌ ⑥

٤ وبالسكر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم) أى فى القرآن وقوله تعالى (من الأنباء) أى أنباء القرون الحالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال عما بعده أى وبأنه لقد جاءهم كأننا من الأنباء (ما فيه مزدجر) أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار وناء الافتعال قلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرىء مزجر بقلها زاء وإدغامها (حكمة بالغة) غايها لاخلل فيها وهى بدل ما أواخر لمحذوف وقرىء بالنصب حالا منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفي للإغناء أو إنكار لهو الفاء لترتيب عدم الإغناء على بجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد بجىء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة أى فأى إغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار (فتول عنهم) لعلك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة (يوم يدع الداع) منصوب يخرجون أو بلذكر والداعى إسرائيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر فى قوله تعالى كن فيكون وإسقاط الياء للاكتفاء بالسكر تخفيفاً (إلى شىء نكر) أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمنله وهو هول القيامة وقرىء نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خشعاً أبصارهم) حال من فاعل (يخرجون) والتقديم لأن العامل متصرف أى يخرجون (من الأجداث) أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرىء خاشعاً والإفراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيق التأنيت وقرىء خاشعة على الأصل وقرىء خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال (كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموج والفرق فى الأقطار (مهطعين إلى الداع) مسرعين ماضى أعناقهم إليه أو ناظرين إليه (يقول الكافرون) استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم والأحوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فإذا يكون حينئذ قليل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) أى صعب شديد وفى إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة (كذبت قبلهم قوم نوح) شروع

٥٤ القمر

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾

٥٤ القمر

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾

٥٤ القمر

وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ عَيْونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾

٥٤ القمر

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُّسٍ ﴿١٣﴾

٥٤ القمر

تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾

- في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة للإزدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريراً لفحوى قوله تعالى فا تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى (فكذبوا عبدنا) تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيباً لآثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبيه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه (وقالوا مجنون) أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون (وازدجر) عطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطنه (فدعاه ربه أنى) أى بأنى وقرئ بالكسر على إرادة القول (مغلوب) ١٠ أى من جهة قوى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرير يأسه منهم بعد اللبث والتأني فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنفه حتى يخر مغشياً عليه ويقول اللهم اغفر لقوى فإنهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها ١١ وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب (وجعلنا الأرض عيوناً) أى جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وجعلنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام (فاللقى الماء) أى ماء السماء وماء الأرض والإفراد لتحقيق أن التقاء المائين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماء ان لاختلاف النوعين والماء وان بقلب الهمزة واو (على أمر قد قدر) أى كانتنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه) أى نوحا عليه السلام (على ذات ألواح) أى أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة ١٣ أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفظة بحفظنا ١٤
- ٢٢٠ - أبى السعود ج ٨

٥٤ القمر

وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ١٥

٥٤ القمر

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ١٦

٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ١٧

٥٤ القمر

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ١٨

٥٤ القمر

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ١٩

- (جزاء لمن كان كافر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً وقرئ لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرأ طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (هل من مدكر) أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالاً والإدغام فيها (فكيف كان عذابي ونذر) استفهام تعظيم وتعجب أى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الإنذار (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمة وردت في أواخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فاغنى النذر وتنبهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الأدكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أى وبالله ولقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناء بأنواع المواعظ والعبر وصرنا فيه من الوعيد والوعد (لذكر) أى للتذكر والاتعاظ (هل من مدكر) إنكار ونفي للتعظ على أبلغ وجه وأكدته حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته بما لا يساعده المقام (كذبت عاد) أى هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يليق إليهم قبل ذكره لا لتحويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراً لهم وقوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) استشفاف ببيان ما أجمل أولاً أى أرسلنا عليهم ريحاً باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) أى شؤمه أو مستمر عليهم إلى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشدّد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر .

تَزِرُ الْنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ٥٤ القمر

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٢١﴾ ٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ ٥٤ القمر

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ٥٤ القمر

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَاحِدًا نَدَّبَعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَنِي ضَلَّلِي وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ٥٤ القمر

أَلَنَلْنِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ٥٤ القمر

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ ٥٤ القمر

- (تزرع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا الشهاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فزعتهم الريح وصرعهم ٢٠ موى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع ٥
- لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجساداً وجشاً بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيهاً فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر إلى المعنى وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذرى) تهويل ٢١ لها وتهجيب من أمرها بعد بيانها فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحق بهم فى الآخرة يردده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق (كذبت ثمود بالنذر) أى الإنذارات والمواعظ التى سمعوها ٢٢
- من صالح أو بالرسول عليهم السلام فإن تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع (فقالوا أبشراً مثنا) أى كأننا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده (واحداً) أى منفرداً لا يتبع ٢٣ له أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم وهو صفة أخرى لبشراً وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكته وقرئ أبشراً واحداً على الابتداء وقوله تعالى (تبعه) خبره والأول أوجه للاستفهام (إننا إذا) أى على تقدير اتباعنا ٢٤
- له وهو منفرد ونحن أمة جمة (لنى ضلال) عن الصواب (وسعري) أى جنون فإن ذلك بمنزلة من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعري أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوم فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول (ألقى الذكر) أى الكتاب والوحى ٢٥ (عليه من بيننا) وفيها من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشير) أى ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى (سيعلمون غداً من الكذاب الأشير) حكاية ٢٦ لما قاله تعالى لصاح عليه السلام وعدأله ووعيد القومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد

- ٥٤ القمر إنا أمرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ٢٧
- ٥٤ القمر ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ٢٨
- ٥٤ القمر فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر ٢٩
- ٥٤ القمر فكيف كان عذابي ونذر ٣٠
- ٥٤ القمر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ٣١
- ٥٤ القمر ولقد بررنا القرية أن للذكر فهل من مدكر ٣٢
- ٥٤ القمر كذبت قوم لوط بالنذر ٣٣
- ٥٤ القمر إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلاء آل لوط نجبنهم بسحر ٣٤
- ٥٤ القمر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ٣٥

بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذى حمله أشربه وبطوره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرىء ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرىء الأشر كفولهم حذرى حذرو قرىء الأشر أى الأبلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى (إنا مرسلوا الناقة) الخ فإنه استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود حتماً أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا (فتنة لهم) أى امتحاناً (فارتقبهم) أى فانتظروهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم (ونبتهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ٢٨ ولهم يوم وينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته (فنادوا أصحابهم) هو ٢٩ قدار بن سلف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشيء بتكلم ٣١، ٣٠ (فكيف كان عذابي ونذر) الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) هى صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا) أى فصاروا (كهشيم المحتظر) أى كالشجر اليابس الذى يتخذ من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالخشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لما شيته فى الشتاء ٣٢ وقرىء بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجرة المتخذها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ٣٣، ٣٤ (كذبت قوم لوط بالنذر) (إنا أرسلنا عليهم حاصباً) أى ريحاً تحصبهم أى ترميهم بالحصباء (إلا ٣٥ آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير منه أى ملتبسين بسحر (نعمة

- وَلَقَدْ أَنْذَرُهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ٣٦
- ٥٤ القمر
- وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ٣٧
- ٥٤ القمر
- وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ٣٨
- ٥٤ القمر
- فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ٣٩
- ٥٤ القمر
- وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٤٠
- ٥٤ القمر
- وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٤١
- ٥٤ القمر
- كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ٤٢
- ٥٤ القمر
- أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣
- ٥٤ القمر

من عندنا) أى إنعاماً منا وهو علة لنجيننا (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزي من شكر) *
 نعمتنا بالإيمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أى أخذتنا الشديدة بالعذاب ٣٦
 (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا ٣٧
 أعينهم) فمسخناها وسويناها كسائر الوجوه روى أنه لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام
 صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابي ونذر) *
 أى فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه
 من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) وقرىء بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوصة ٣٨
 (عذاب مستقر) لا يفارقهم حتى يسلموا إلى النار وفى وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب *
 الطمس ينتهى إليه (فذوقوا عذابي ونذر) حكاية لما قيل حيثئذ من جهته تعالى تشديداً للعذاب ٣٩
 (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) ٤٠، ٤١
 صدرت قصتهم بالتوكيد القسمى لإبراز كمال الاعتناء بشأنها غاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول
 ما لاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك
 أى وبأنه لقد جاءهم الإنذارات وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا) استئناف معنى على سؤال نشأ من حكاية ٤٢
 بجىء النذر كأنه قيل فإذا فعلوا حيثئذ فليل كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ *
 عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يامعشر العرب (خير) قوة وشدة وعدة وعدة أو ٤٣
 مكانة (من أولئك) الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر *

٥٤ القمر

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾

٥٤ القمر

سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ ﴿٤٥﴾

٥٤ القمر

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾

٥٤ القمر

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾

٥٤ القمر

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾

٥٤ القمر

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

- من الأمور فهل تطعمون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكاناً وأسوأ حالا وقوله تعالى
 * (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّبَرِ) لإضراب وانتقال من التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم براءة وأمن من
 تبعات ما تعملون من الكبر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه
 ٤٤ وقوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) لإضراب من التبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم
 للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل يقولون واثقين بشوكتهم
 نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نزاع ولا انضمام أو منتصر من الأعداء لا تغلب أو متناصر ينصر
 ٤٥ بعضنا بعضاً والإفراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى (سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ) رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد
 * أى يهزم جمعهم البتة (ويولون الدبر) أى الأدبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لإرادة الجنس أو إرادة أن
 كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ففرفت تأويلها
 ٤٦ وقرئ سيهزم الجمع أى الله عز وعلا (بل الساعة موعدهم) أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم
 * أصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة أدهى وأمر) أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية
 ٤٧ الأمر الفظيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص عنه وإظهار الساعة فى موقع إضمارها لتربية تهويلها (إن
 * المجرمين) من الأولين والآخرين (فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ويران مسعرة وقيل فى ضلال
 ٤٨ عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب إما بما يفهم من قوله
 * تعالى فى ضلال أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يحرون (فى النار على وجوههم) وإما بقول مقدر
 * بعده أى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك
 لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون
 ٤٩ (إننا كل شيء) من الأشياء (خلقناه بقدر) أى ملتبساً بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور

٥٤ القمر	وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾
٥٤ القمر	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾
٥٤ القمر	وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾
٥٤ القمر	وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾
٥٤ القمر	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾
٥٤ القمر	فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

أمر التكوين أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل ينسرد ما بعده وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره (وما أمرنا إلا واحدة) أى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو ٥٠ قوله تعالى كن أو لا فعلة واحدة هو الإيجاد بلا معالجة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه * قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياءكم) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم ٥١ وقيل أتباعكم (فهل من مدكر) يتعظ بذلك (وكل شيء فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل ٥٢ (فى الزبر) أى فى ديوان الحفظ (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستطر) مسطور فى اللوح ٥٣ المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى إن المجرمين الخ ما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال فقل (إن المتقين) ٥٤ أى من الكفر والمعاصى (فى جنات) عظيمة الشأن (ونهر) أى أنهار كذلك والإفراد للاكتفاء * باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرئ ٥٥ فى مقاعد صدق (عند ملك مقدر) أى مقرين عند ملك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء إلا * وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غيب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر .

٥٥ — سورة الرحمن
(مدنية وهي ثمان وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرحمن	الرَّحْمَنُ ①
الرحمن	عَلَّمَ الْقُرْآنَ ②
الرحمن	خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③
الرحمن	عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④
الرحمن	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑤ مُحْسَبَانِ

(سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآياتها ثمان وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما عد في السورة السابقة منازل بالأمم السالفة من ضروب نعم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم لإعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها لإخلاصهم بمواجب شكرها وبدى بتعليم القرآن ٢٠١ فقيل (الرحمن) (علم القرآن) لأنه أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية مما من مرصد يرنو إليه أحداق الأمم إلا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد إليه أعناق الأمم إلا وهو منهجه وصراطه وإسناد تعليمه إلى اسم الرحمن للإيدان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تليهاً على أصالته وجلالة قدره ثم قيل ٤٠٣ (خلق الإنسان) (علمه البيان) تعيناً للعلم وتبييناً لكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التمييز عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجلجلة الثلاث أخبار مترادفة للرحمن وإخلاء الأخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) أى يمران بحساب مقدر في بروجها ومنازلها بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب .

٥٥ الرحمن	وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾
٥٥ الرحمن	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
٥٥ الرحمن	أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾
٥٥ الرحمن	وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾

- (والنجم) أى النبات الذى ينجم أى يطلع من الأرض ولا ساق له (والشجر) أى الذى له ساق ٦
 (يسجدان) أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجدين من المكلفين طوعاً والجملتان خبران *
 آخران الرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلاً على كمال قوة الارتباط المعنوى إذ لا يتوهم ذهاب
 الوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا إلى كون سجود النجم والشجر لما سواه
 تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف
 لما ذكر من قبل وتوسط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبها من حيث التماثل لما أن الشمس والقمر
 علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد
 لأمر الله عز وجل (والسما رفعها) أى خلقها مرفوعة محللاً ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ٧
 ومتميزاً وأمره وحمل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ
 بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه *
 ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت
 السموات والأرض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما فى قوله تعالى وأزلنا
 معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول
 الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضايام
 وما تعبد بهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم (ألا تطفوا فى الميزان) أى لئلا تطفوا فيه ٨
 على أن أن ناصبة ولا نافية ولا معلقة مقدرة متملقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أى لا تطفوا على
 أنها مفسرة لما فى الشرع من معنى القول ولا ناهية أى لا تعدوا ولا تتجاوزوا الإنصاف وقرئ
 لا تطفوا على إرادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان ٩
 بالقسط والعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوه أمر أولاً *
 بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر
 لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيذاً للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
 وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضاً على أن الأصل ولا تخسروا
- ٢٣ - أبى السعود ج ٨

٥٥ الرحمن

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩

٥٥ الرحمن

فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ⑪

٥٥ الرحمن

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬

- ١٠ في الميزان غذف الجار وأوصل الفعل (والأرض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء (للأنام) أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى
- ١١ (فيها فاكهة) الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعاً لمنافع الأنام وتفصيل المنافع العائدة إلى البشر وقيل حال مقدر من الأرض فالأحسن حيثئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (والنخل ذات الأكام) هى أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أى يغطى من لين وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كالمكروم
- ١٢ من ثمره وجواره وجذوعه (والحب) هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير (ذو العصف) هو ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو غلب الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرىء والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يرادوا الريحان غذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والريحان إما فعيلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعيلان قلبت واو ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح
- ١٣ قاله القرطبي (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للأنام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها إما بإنكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية وإما بإنكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى استقلالاً أو اشتراكاً صريحاً أو دلالة فإن إشرافهم لأهلهم به تعالى فى العبادة من دواعي إشرافهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فإذا كان الأمر كما فصل فبأى فرد من أفراد آلاء مالكمكما ومريكمكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق

٥٥ الرحمن

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ①٤

٥٥ الرحمن

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ①٥

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ①٦

٥٥ الرحمن

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ①٧

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ①٨

٥٥ الرحمن

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ①٩

٥٥ الرحمن

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ②٠

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ②١

٥٥ الرحمن

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ②٢

- ١٤ (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصال والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصلاً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدهما وبين ما نطق بأحد الآخرين (وخلق الجان) أي الجن أو أبا الجن (من مارج) من لهب صاف (من نار) بيان لما رج فإنه في الأصل المضطرب من مرج إذا اضطرب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بما أفاض عليكم في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم (رب المشرقين ورب المغربين) بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أي الذي فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بما في ذلك من فوائد لا تحصى من ١٨ اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته إلى غير ذلك (مرج البحرين) أي أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أي يتجاوران ويتماس سطوحهما لافصل بينهما في مرأى العين وقيل أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض ٢٠ (لا يبغيان) أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصة أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ٢١ ما بينهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس منهما شيء يقبل التكذيب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ٢٢، ٢١

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾

٥٥ الرحمن

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

٥٥ الرحمن

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾

٥٥ الرحمن

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾

٥٥ الرحمن

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾

اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والرجان صفاره فنتسبه خروجهما حينئذ إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل أنهما لا يخرجان إلا من ماتني الملح والعذب أو لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال يخرجان من البحر مع أنهما لا يخرجان من جمع البحر ولكن من بعينه وهو الأظهر وتروى يخرج مبنياً للفعول من الإخراج ٢٤، ٢٣ ومبنياً للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (وله الجوار) أي السفن جمع جارية وقرىء برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال [لها ثنيا بأربع حسان * وأربع * فكلها ثمان] (المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرىء بكسر الشين أي الرافعات الشرع * أو اللاتي ينشئن الأمواج بحرهن (في البحر كالأعلام) كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ٢٥ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه (كل من عليها) أي على الأرض من ٢٦ الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين (فان) هالك لا محالة (ويبقى وجه ربك) أي ذاته عز وجل (ذو الجلال والإكرام) أي ذو الاستغناء المطبق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والإكرام للبخالصين من عباده وهذه من عظام صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم أظنوا يا إذا الجلال والإكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول يا إذا الجلال والإكرام فقال استجب لك وقرىء ذى الجلال والإكرام على أنه صفة ربك وأياً ما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى إيدان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً ٢٨ آثار لطفه وكرمه حسبما ينبي عنه قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإن إحيائهم بالحياة الأبدية ٢٩ وإنابتهم بالنعم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء (يسأله من في السموات والأرض) قاضية ما يحتاجون

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

٥٥ الرحمن

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ ثَقَلَانَ ﴿٣١﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

يَنعَمَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا

٥٥ الرحمن

لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾

- إليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثاً وبقاءً وسائر أحوالهم سراً المستمراً بلسان المقال أو بلسان الحال فإنهم كفة من حيث حقانهم الممكنة بمنزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرّة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلاً فهم في كل آن مستمرّون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة إبراهيم عليه السلام (كل يوم) أي كل وقت من الأوقات (هو في شأن) من الشؤون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فإنه تعالى لا يزال ينشيء أشخاصاً ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين قبل وفيه رد على اليهود حيث يقولون إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً (فبأي ٣٠ آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من إحسانه (سنفرغ لكم) أي سنتجرّد لحسابكم ٣١ وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزء فببر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهمّد لصاحبه سأفرغ لك أي سأتجرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفّر على النكابة فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنياً للفاعل وللفعول وقرئ سنفرغ إليكم أي سنقصّد إليكم (أيها الثقلان) هما الإنس والجن سميّا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف (فبأي آلاء ربكما) التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة التحذير عما يؤدي إلى ٣٢ سوء الحساب (تكذبان) بأقوالكما وأعمالكما (يامعشر الجن والإنس) هما الثقلان خوطبا باسم ٣٣ جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخطبوا بما ينبيء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تنفي بما كفّوه (إن استطعتم) إن قدرتم على (أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) أي أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن أقطار سمواتي وأرضي (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لا تنفذون) لا تقدرّون على النفوذ (إلا بسُلطان) أي بقوة وقهر وأتم من ذلك بمنزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بالخلّاق فإذا رأهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهاً

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ٥٥ الرحمن

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ٥٥ الرحمن

فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ٥٥ الرحمن

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ٥٥ الرحمن

- ٣٤ إلا وجدوا الملائكة أحاطت به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
 ٣٥ مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعاً وقرئ شواظ بكسر الشين (من نار) متعلق يرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ
 * أي كائن من نار والتنوين للتفخيم (ونحاس) أي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفاً على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظاً ونحاساً وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس أي تقتل بالعذاب (فلا تنتصران) أي لا تتمنعان
 ٣٦ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإن بيان عاقبة مآم عليه من الكفر والمعاصي لطف وأي لطف ونعمة
 ٣٧ وأي نعمة (فإذا انشقت السماء) أي انصدعت يوم القيامة (فكانت وردة) كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على أن كان تامة أي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال [وإن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم] (كالدّهان) خبر ثان لكائنات أو نعت لوردة
 أحوال من اسم كانت أي كدهن الزيت وهو إما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالخزام والإدام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب إذا محذوف أي يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال
 ٣٨-٣٩ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أي يوم إذ تنشق السماء حسبما ذكر (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للإنس لتقدمه رتبة وإفراده لما أن المراد فرد من الإنس كأنه قيل لا يسأل ذنبه إنسى ولا جنى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فإن الإخبار بما ذكر مما يزجركم عن

٥٥ الرحمن	يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ④١
٥٥ الرحمن	فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ④٢
٥٥ الرحمن	هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ④٣
٥٥ الرحمن	يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ④٤
٥٥ الرحمن	فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ④٥
٥٥ الرحمن	وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ④٦

الشر المؤدى إليه وأما ما قيل بما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (يعرف المجرمون بسيمتهم) استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد ٤١ الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكتاب والحزن (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) الجار والمجرور * هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصوداً بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذرکم ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالأقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ٤٢ وقوله تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) على إرادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ ٤٣ على أن الجملة إما استئناف وقع جواباً عن سؤال ناشئ من حكاية الأخذ بالنواصي والأقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصي والأقدام لأن الألف واللام عوض عن المضاف إليه وما بينهما اعتراض (يطوفون بينها) أى بين النار يحرقون بها (وبين حميم أن) ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء ٤٥ مراراً (ولمن خاف مقام ربه) شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ما عددياً بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصله إليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة إليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم إلى السعى في تحصيل ما يؤدى إلى نيلها من الإيمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة إلى قوله تعالى كل يوم هو في شأن من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية آلاء جليلة واصله إليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة على

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾

٥٥ الرحمن

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

ما يردى إلى استدامتها وأما ما عُد فيها بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وإنما الآلاء حكاياتها أوجبة للأزجار عما يردى إلى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما أشير إليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه إذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين وإضافته إلى الرب للتفخيم والتهويل أو مقحم للتعظيم (جنتان) جنة للخائف الأنسي وجنة للخائف الجنى فإن الخطاب للفرقتين فالمعنى لكل خائفين منك أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى ينزل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثني بعد (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى ﴿٤٧﴾ (ذواتا أفنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيهاً على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ والأفنان إما جمع فن أي ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فن أي ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد

٤٧ ٤٨ ٥٠، ٤٩ ٥١ ٥٢ ٥٣

الظل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شيء يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الأعلى والأسفل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال لإحداهما التسليم والأخرى السلسيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان معروف وغريب أو رطب ويابس صفة أخرى لجنتان وتوسط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفاً (فبأي آلاء ربكما تكذبان).

٥٥ الرحمن

مُتَكِينٍ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾

٥٥ الرحمن

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾

٥٥ الرحمن

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾

- وقوله تعالى (متكئين) حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع أو نصب على المدح (على فرش بطائنها من إستبرق) من دياج تخين وحيث كانت بطائنها كذلك فاطنك بظواهرها وقيل ظواهرها من سندس وقيل من نور (وجنى الجننتين دان) أى ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع . قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولى الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا وقرىء بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن) أى فى الجنان المدلول ٥٤، ٥٥ عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الأماكن والقصور وقيل فى هذه الآلاء المعدودة من الجننتين والفاكة والفرش (قاصرات الطرف) نساء يتصرن أبصارهن على أزواجهن . لا ينظرن إلى غيرهم (لم يطمئنن أنس قبلهم ولا جان) أى لم يمس الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات . أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمئون وقرىء يطمئنن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالإضافة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) ٥٨، ٥٧ إما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان أى صفار الدر فى بياض البشر وصفاتها فإن صفار الدر أنصع بياضاً من كباره قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فىرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجاة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله ٥٩ أى ما جزاء الإحسان فى العمل إلا الإحسان فى الثواب .

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

٥٥ الرحمن

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾

٥٥ الرحمن

مُدَّهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا عَيْنَانِ نُضَاحَتَانِ ﴿٦٦﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾

٦٢، ٦١ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أي ومن دون
 ٦٣ تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقرين جنتان أخريان لمن دونهن من أصحاب اليمين (فبأي آلاء
 ٦٤ ربكما تكذبان) وقوله تعالى (مدھامتان) صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه
 على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق نال إنكار والتوبيخ أي خضر او ان تضر بان إلى
 السواد من شدة الحضرة وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على
 ٦٥، ٦٦ وجه الأرض وعلى الأولين الأشجار والفواكه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (فيهما عينان نضاحتان)
 ٦٧ أي فوارتان بالماء والنضج أكثر من النضج بالحاء المهملة وهو الرش (فبأي آلاء ربكما تكذبان)
 ٦٨ (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الأخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بياناً
 لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من
 ٦٩ حلف لا يأكل فاكهة فاكل رماناً أو رطباً لم يحنث (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى
 ٧٠ (فيهن خيرات) صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جميع الضمير كالذي مر فيما مر
 * وخيرات مخففة من خيرات لأن خيراً الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل (حسان) أي
 حسان الخلق والخلق.

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾

٥٥ الرحمن

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾

٥٥ الرحمن

لَمْ يَطْمِئْنِ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾

٥٥ الرحمن

مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾

٥٥ الرحمن

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (حور) بدل من خيرات (مقصورات في الخيام) قصرن ٧١، ٧٢ في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان) كالذى مر في نظيره من جميع الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (متكبرين) نصب على ٧٤ الاختصاص (على رفرف خضر) الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ماتدلى * من الأسرة من أعلى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل التمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه (وعبقري حسان) العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء * عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على أحد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضميتين وعبقري كدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ٧٧ وقوله تعالى (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من ٧٨ آلاؤه الفائضة على الأنام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن إفاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملازمة دلالة عليه فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال [إلى الحول ثم اسم السلام عليكما] (ذى الجلال والإكرام) * وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقدير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه .

٥٦ - سورة الواقعة

(مكية وهي ست وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦ الواقعة

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ①

٥٦ الواقعة

لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ②

٥٦ الواقعة

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③

٥٦ الواقعة

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④

٥٦ الواقعة

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤

(سورة الواقعة مكية إلا آية ٨١ ، ٨٢ فدينيتان وآياتها ست وتسعون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا وقعت الواقعة) أى إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للإيدان بتحقيق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوتوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة واتصاف إذا بمضمر ينبيء عن المول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال المالا ينبيء به المقال وقيل بالنبي المفهوم من قوله تعالى (ليس لوقعها كاذبة) أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لأجل وقوعها وفي حقها كذب أصلا بل كل ماورد في شأنها من الأخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلة الأشياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كسفاً وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجاً) أى زلزلت زلزالاً شديداً بحيث يهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرفع ما هو منخفض أو بدل من إذا وقعت (وبست الجبال بساً) أى فتنت حتى صارت

٥٦ الواقعة

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥

٥٦ الواقعة

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦

٥٦ الواقعة

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑧

٥٦ الواقعة

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑨

٥٦ الواقعة

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ⑩

مثل السويق الملتوت من بس السويق إذالته أوسقت وسيرت من أما كنهان بس النعم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرى رجت وبست أى ارتجت وذهبت (فكانت) أى فصارت بسبب ذلك ٦ (هباء) غباراً (منبثاً) منتشرأ (وكنتم) إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً أو للحاضرة ٧ (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أر فى الذكر فهو زوج * وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم وتنويع ٩، ٨ للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما هم أى شىء هم فى حالهم وصفهم فإن ما وإن شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكننا قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل فى التفعيم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفضاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم باليمين وتشاؤمهم بالشمال وقيل الذين يؤتون صفاتهم بآيمانهم والذين يؤتونها بشمالهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل أصحاب اليمين وأصحاب الشر ثم فإن السعداء يمامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن يرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضاً فقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تعلم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكلمات وقيل هم الذين صلوا إلى القبليتين كما قال تعالى والسابقون الأولين من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى صلوات الخس وقيل المسارعون فى الخيرات وأياً ما كان فالجملة مبتدأ وخبر

٥٦ الواقعة

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾

٥٦ الواقعة

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

٥٦ الواقعة

ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

٥٦ الواقعة

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

- والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم [أنا أبو النجم وشعري شعري] وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته أو السابقون إلى الخير والسابقون إلى الجنة
- ١١ وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجميل (المقربون) أى الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ما ذكر في إعراب هذه الجمل وأشهره والذي تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة وإثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبهة عن ترامي أحوالهما في الخير والشر إنباء إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلاً مترقباً لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيدي في أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيد كونه ما خبر إلا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيد كونها مبتدأ وكذا الحال في ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه إلى تقديم إلا نموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والإظهار في مقام الإضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو الثاني والجملة خبر للأول وقوله تعالى (في جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمهر هو حال من ضميره أى كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الإشارة وفيه أن الأخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد
- ١٢ مزية وقرىء في جنة النعيم وقوله تعالى (ثلثة من الأولين) خبر مبتدأ محذوف أى هم أمة جمة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء
- ١٤ العظام (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام إن أمتي يكثرون

٥٦ الواقعة

عَلَى سُرْرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾

٥٦ الواقعة

مُتَكِّئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾

٥٦ الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

٥٦ الواقعة

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾

٥٦ الواقعة

لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾

٥٦ الواقعة

وَفَكِهَةٍ مِمَّا يَنْخَرُونَ ﴿٢٠﴾

٥٦ الواقعة

وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

سائر الأمم فإن أكثرية سابقى الأمم السالفة من سابقى هذه الأمة لاتمنع أكثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك ولا يردّه قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين لأن كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لاتنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلثين من هذه الأمة وقد روى مرفوعاً أن الأولين والآخرين ههنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم واشتقاق الثلّة من الثل وهو الكسر (على سرر موضونة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير ١٥ والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسيج (متكئين) عليها متقابلين (حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب للأخلاق والآداب (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون ١٧ أبداً على شكل الولدان وطرواتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) بآنية لا عرى لها ولا خراطيم ١٨ (وأباريق) أى آنية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل إنما أفرد الكأس لأنها لاتسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدع صداعهم عنها وقرىء لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرىء لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضاً (ولا ينزفون) أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا فقد عقله أو شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارونه يأخذون خبره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) ٢٠ أى يتمنون وقرىء ولحوم طير .

- وَحُورٌ عَيْنٌ ②٢
- ٥٦ الواقعة
- كَأَمْثَلِ اللَّوْزِ الْمَكْنُونِ ②٣
- ٥٦ الواقعة
- جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ②٤
- ٥٦ الواقعة
- لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ②٥
- ٥٦ الواقعة
- إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ②٦
- ٥٦ الواقعة
- وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ②٧
- ٥٦ الواقعة
- فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ②٨
- ٥٦ الواقعة
- وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ②٩

- ٢٢ (و حور عين) بالرفع عطاف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور وقرئ بالجذر عطفاً على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى
- ٢٣ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حوراً (كأمثال اللوز
- ٢٤ المكنون) صفة لحور أو حال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم
- ٢٥ أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها لغواً) أى باطلاً (ولا تأثيماً) أى ولا نسبة إلى
- ٢٦ الإثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله [ولا ترى الضب بها ينحجر] (إلا قيلاً) أى قولاً
- (سلاماً سلاماً) بدل من قيلاً كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الإسلام الآخر بدءاً أو رداً وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله
- ٢٧ تعالى (وأصحاب اليمين) شروع في تفصيل ما أجمل عند تقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفصيل شؤون
- السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها إما الرفع على أنها خبر للببتدأ أو معترضة لاجل لها والخبر قوله
- ٢٨ تعالى (في سدر مخضود) وهو على الأول خبر ثان للببتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم في قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم في سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو
- شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن
- ٢٩ إذا ثناه وهو رطب (وطلح منضود) قد تضد حمله من أسفله إلى أهلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر

وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَمْنُونُ	٥٦ الواقعة
وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ	٥٦ الواقعة
وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ	٥٦ الواقعة
لَّا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ	٥٦ الواقعة
وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ	٥٦ الواقعة
إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً	٥٦ الواقعة
فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا	٥٦ الواقعة
عُرُبًا أَتْرَابًا	٥٦ الواقعة

الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نصيد ف قيل أو نحو لها قال آي القرآن لا تنج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل بمدود) ممتد ٣٠ منبسط لا يتقلص ولا يتعاون كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم ٣١ أينما شاؤا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصوب سائل يجرى على الأرض في غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وقال أصحاب اليمين بأكل ما يتصور لأهل البوادي إيدان بالتعاون بين الحاليين (وفاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأجناس (لامقطوعة) في وقت من الأوقات كفوا كما ٣٢، ٣٣ الدنيا (ولا ممنوعة) عن تناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساين الدنيا وقرى * فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحوور عين (وفرش مرفوعة) أي رفيفة القدر ٣٤ أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الأسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفرش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الأرائك قال تعالى هم وأزواجهن في ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) وعلى التفسير الأول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة ٣٥ بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً أو أبدعناهن من غير ولاد إبداء أو إعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شعثاً رمصاً جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلها أتا هن أزواجهن وجدوهن أبكاراً وقوله تعالى (فجعلناهن أبكاراً) وقوله تعالى (عرباً) ٣٦، ٣٧

٥٦ الواقعة

لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨

٥٦ الواقعة

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩

٥٦ الواقعة

وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠

٥٦ الواقعة

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١

٥٦ الواقعة

فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢

٥٦ الواقعة

وِظِلٍّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ٤٣

٥٦ الواقعة

لَّابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤

٥٦ الواقعة

لَّإِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥

* جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل وقرىء عرباً بسكون الراء (أتراباً) مستويات
 ٣٨ في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام في قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأشئنا أو
 جعلنا أو باتراباً كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكار أى كائنات
 ٣٩ لأصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الأولين)
 ٤٠ (وثة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة
 من الأولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة
 من الأولين أى من سابقى هذه الأمة وثة من الآخرين من هذه الأمة في آخر الزمان وعن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعاً من
 ٤١ أمتي (وأصحاب الشمال) شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التنويع إلى هولها وفظاعتها بعد
 * تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل في نظيره وكذا
 ٤٢ في قوله تعالى (في سُمومٍ وحميم) والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
 ٤٣ ٤٤ (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما في الجملة
 سمي ذلك ظلًا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل
 ٤٥ وقرىء لابارد ولا كريم بالرفع أى لا هو يارد ولا كريم وقوله تعالى (لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين)
 تعليل لا بتلائمهم بما ذكر من العذاب أى لأنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع
 النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا

٥٦ الواقعة

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

٥٦ الواقعة

وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

٥٦ الواقعة

أَوْ أَبَاؤُنَا أَلْوَلُونَ ﴿٤٨﴾

٥٦ الواقعة

قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾

٥٦ الواقعة

لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

٥٦ الواقعة

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾

- بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام ٤٦
 الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذه بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أإذا متنا وكنا تراباً ٤٧
 وعظاماً) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد تراباً وبعضها عظاماً نخرة وتقديم التراب لعراقته
 فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى
 (أننا لمبعوثون) لانفسه لأن ما بعد إن واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للإنكار *
 وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون بالإحياء بعد الموت وإن كان البدن
 على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد
 النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم
 الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله أفلا تعقلون على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار
 لا لإنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم
 تراباً وعظاماً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه
 من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى
 (أو آباؤنا الأولون) لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل ٤٨
 بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا (قل) رداً لإنكارهم وتحققاً ٤٩
 للحق (إن الأولين والآخرين) من الأمم الذين من جملتهم أتم وآباؤكم وفى تقديم الأولين مبالغة فى *
 الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعة) ٥٠
 بعد البعث وقرئ لمجمعون (إلى ميقات يوم معلوم) إلى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة *
 بمعنى من كخاتم فضة (ثم إنكم أيها الضالون) عطف على أن الأولين داخل تحت القول وشم للتراخي ٥١
 زماناً أو رتبة (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم *

٥٦ الواقعة

لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾

٥٦ الواقعة

فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾

٥٦ الواقعة

فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾

٥٦ الواقعة

فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾

٥٦ الواقعة

هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

٥٦ الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢ (لَا يَكُونُ) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجرة من زقوم) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو ٥٤، ٥٣ وصف لشجر أى كائن من زقوم (فَالْبُطُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ) أى بطونكم من شدة الجوع (فشاربون عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولاً وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى ٥٥ (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهى الإبل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل التى لا يتناسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم ما يضطرمهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمل فإذا ملأ آمنه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرمهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربون شرب الهيم ٥٦ وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذى ذكر * من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أى يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعدل للنازل بما حضر فإظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار وأطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام ٥٧ الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيث والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شيء وقيل بالبعث استدلالاً عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً .

- أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ٥٦ الواقعة
- أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ٥٦ الواقعة
- نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ٥٦ الواقعة
- عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ٥٦ الواقعة
- وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ٥٦ الواقعة
- أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ٥٦ الواقعة
- أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ ٥٦ الواقعة
- لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ٥٦ الواقعة

- ٥٨ (أفرأيتم ماتمنون) أى تقذفون فى الأرحام من النطف وقرىء بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها
- ٥٩ (أأنتم تخلقونه) أى تقدرونه وتصورونه بشراً سويّاً (أم نحن الخالقون) له من غير دخل شىء فيه
- وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة
- ومجىء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة (نحن قدرنا بينكم الموت) أى قسمناه
- عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرىء قدرنا
- مخففة (وما نحن بمسبوقين) أى إنا قادرون (على أن نبدل أمثالكم) لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى
- ٦١ مكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الخلق والأطوار ولا تعبدون بمثلها قال الحسن
- رحمه الله أى نجعلكم قروداً وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا
- شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن
- نبدل الخ إما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض (ولقد علمتم
- ٦٢ النشأ الأولى) هى خلقهم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب
- (فلولا تذكرون) فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتماً فإنه أقل صنعاً لحصول
- * المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرىء فلولا تذكرون من الثلاثى
- وفى الخبر عجباً كل العجب للكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجباً للصدق بالنشأة
- الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ماتحرون) أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم
- ٦٤، ٦٣ تزرعونه) تبتونه وتردونه نباتاً يرف (أم نحن الزارعون) أى المنيئون لا أتم والكلام فى أم كما مر
- * آ نفاً (لونشاء لجعلناه حطاماً) هشياً متكسراً متفتتاً بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله
- ٦٥

٥٦ الواقعة

إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾

٥٦ الواقعة

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الزَّيْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾

٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾

- * (فضلتم) بسبب ذلك (تفكحون) تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبت فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترعتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكح التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكحون أى تندمون وقرئ فضلتم بالكسر وفضلتم على الأصل (إنا لمغرمون) أى للزمن غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أننا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حين النصب على الحالية من فاعل تفكحون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمانا رزقنا أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لا محدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه من الزمن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام هنا مع إثباتها فى الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يحل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تحضيض على شكر الكل (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والغفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع العرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستشهد المرخ والغفار كأن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك .

٥٦ الواقعة

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

٥٦ الواقعة

فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾

٥٦ الواقعة

وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٥٦ الواقعة

إِنَّمَا لَقَرَأْنُ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

- وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكراً لنار جهنم حيث علقنا ٧٣ بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فإنه ليس بأبدع من إخراج النار من الشيء الرطب (ومتاعاً) * ومنفعة (للمقوين) للذين يزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزادهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهتمهم ويسد خلهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخرى والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجباً من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكرياً على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشيء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو الرب (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم لحذف ٧٥ المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلا أقسم أو فلأرد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فإياه تعيين المقسم به وتقخير شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المهتدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلتها ومجاريها فإن له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية ٧٦ وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (إنه لقرآن كريم) ٧٧

٥٦ الواقعة

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

٥٦ الواقعة

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

٥٦ الواقعة

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفْبَهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾

٥٦ الواقعة

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

٥٦ الواقعة

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾

أى كثير النفع لاشتاله على أصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لولما متروك أريد به نفي علمهم أو مخوف ثقة بظهوره أى لعظمته أو لعلمته بموجبه (في كتاب مكنون) أى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سوام وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسائية وأوصار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفياً بمعنى النهى أى لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغي له أن يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفرو قرى المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين) ٨٠ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرى تنزيلاً (أفبهذا الحديث) ٨١ الذى ذكرت نعمته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرى وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء ٨٣ والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ تنسكت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وأسباب معاشهم كما ستقف عليه ولولا التحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل

وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾	٥٦ الواقعة
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾	٥٦ الواقعة
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾	٥٦ الواقعة
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾	٥٦ الواقعة
فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾	٥٦ الواقعة
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾	٥٦ الواقعة
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾	٥٦ الواقعة

نفس الحلقوم وتداعت إلى الخروج (وأنتم حينئذ) أيها الحاضرون حول صاحبها (تنظرون) إلى ٨٤
ماهو من الغمرات (ونحن أقرب إليه) علماً وقدره وتصرفاً (منكم) حيث لاتعرفون من حاله إلا ٨٥
ماشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع
أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت (ولكن لاتبصرون) *
لاتدركون ذلك لجهلكم بشؤنا وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين) أى غير مربوبين من دان ٨٦
السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم ناظر إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض
يستدعى عدم المحضض عليه حتى وقوله تعالى (ترجعونها) أى النفس إلى مقرها هو العامل فى إذا ٨٧
والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
إن كنتم غير مربوبين كما ينبى عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها
الحلقوم (إن كنتم صادقين) فى اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم *
بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى (فأما إن كان من المقربين) الخ شروع فى بيان حال ٨٨
المتوفى بعد المات إثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما إن كان الذى بين حاله من السابقين من الأزواج
الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم (فروح) أى فله استراحة وقرىء فروح بضم الراء وفسر بالرحمة ٨٩
لأنها سبب حياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق (وجنت نعيم) أى ذات تنعم (وأما إن ٩٠
كان من أصحاب اليمين) عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبى عن شأنهم
سواه كما ذكر للفريقين الآخرين .

٥٦ الواقعة

فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١

٥٦ الواقعة

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ٩٢

٥٦ الواقعة

فَنَزَّلُ مِنْ جَحِيمٍ ٩٣

٥٦ الواقعة

وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ٩٤

٥٦ الواقعة

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥

٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٩٦

- ٩١ وقوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لإنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا ل قيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف (وأما إن كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبا وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ذمما لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب (فنزل) أي فله نزل كائن (من جحيم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل
- ٩٢ (وتصليية جحيم) أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر
- ٩٣ من سموم النار ودخانها (إن هذا) أي الذي ذكر في السورة الكريمة (لهو حق اليقين) أي حق الخبر
- ٩٤ اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب التسييح أو الأمر به على ما قبلها فإن حقبة ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

٥٧- سورة الحديد

(مدنية وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧ الحديد

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

٥٧ الحديد

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

٥٧ الحديد

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(سورة الحديد مكية وقيل مدنية وآياتها تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما في السموات والأرض) التسييح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجناحه سبحانه من سبح في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا إلى غير العقلاء أيضاً فإن ما في السموات والأرض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما كما مرفى آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسييح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسييح غيرهم فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وهو متعدد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسييح لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه وبجيبته في بعض الفوائض ماضياً وفي البعض مضارعاً للإيدان بتحقيقه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسييح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملائكة الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون (وهو العزيز) القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء (الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلّة الحكم وكذا قوله تعالى (له ملك السموات والأرض) أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات بما نفعه وما لا نفعه وقوله تعالى (يحيي ويميت) استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالاً من ضمير له ليس كما ينبغي (وهو على كل شيء) من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة (قدير) مبالغ في القدرة (هو الأول) السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها (والآخر) الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيا فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية (والظاهر) وجوداً لكثرة
- ٢
- ٣

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٥٧﴾

٥٧ الحديد

٥٧ الحديد

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥٨﴾

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥٩﴾
ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ؕ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ
كَبِيرٌ ﴿٦٠﴾

٥٧ الحديد

- ١ دلالة الواضحة (والباطن) حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والآخر للجمع بين الوصفين
- ٢ المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الأوقات والظهور
- ٣ والخفاء (وهو بكل شيء عليم) لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخبى (هو الذي خلق السموات
- ٤ والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً
- ٥ (يعلم ما يلبج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) مريانه في سورة سبأ (وهو معكم
- ٦ أينما كنتم) تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى (والله
- ٧ بما تعملون بصير) عبارة عن إحاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور عليه الجزاء
- ٨ من العلم التابع للعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تكرير
- ٩ للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (والله ترجع الأمور) أي إليه وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً
- ١٠ ترجع جميع الأمور على البناء للفعول من رجع رجعاً وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعاً
- ١١ (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) مر تفسيره مراراً وقوله تعالى (وهو عليم) أي بالغ
- ١٢ في العلم (بذات الصدور) أي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم
- ١٣ بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أي
- ١٤ جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك
- ١٥ تحقيقاً للحق وترغيباً لهم في الإنفاق فإن من علم أنها لله عز وجل وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى
- ١٦ ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه
- ١٧ إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به (فالذين آمنوا
- ١٨ منكم وأنفقوا) حسباً أمروا به (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

٥٧ الحديد

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾

٥٧ الحديد

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

٥٧ الحديد

- جمل الجملة اسمية وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق وكرر الإسناد ونغم الأجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل (وما لكم لا تؤمنون بالله) استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الإيمان حسبما أمروا ٨ به بإنكار أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل مافيه من معنى الاستقرار أى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب لا إلى السبب والمسبب جميعاً كما في قوله تعالى وما لى لا أعبد الذى فطرني فإن همزة الاستفهام كما تكون تارة لإنكار الواقع كما في أنضرب أباك وأخرى لإنكار الوقوع كما في أنضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً فيكون مضمون الجملة الحالية محققاً فإن كلاً من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في قوله تعالى وما لى لا أعبد إلى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضاً قطعاً فإن عدم العبادة أمر مفروض حتماً قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضاً وقوله تعالى (والرسول يدعوكم لتؤمنوا برّبكم) * حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجهه أى وأى عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه ويذنبكم عليه وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالإيمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وقرئ وقد أخذ ميثاقكم برفع ميثاقكم (إن كنتم مؤمنين) الموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراه (هو الذى ينزل على عبده) حسبما يعنى لكم من المصالح (آيات بينات) واضحات (ليخرجكم) أى الله تعالى أو العبد بها (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وإن الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى (وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله) توبيخ لهم على ترك ١٠

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

الإتفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من الأعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شيء لكم في أن لا تنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ما هو في الحقيقة وإنما أتم خلفاؤه في صرفه إلى ماعينه من المصارف وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الإتفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الإتفاق أشد في القبح وأدخل في الإنكار فإن بقاء جميع ما في السموات والأرض من الأموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى في إيجاب الإتفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك إتفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى وإظهار الاسم الجليل في موقع الإختصار لزيادة التقرير وترية المهابة وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم في الإتفاق بعد بيان أن لهم أجر كبيراً على الإطلاق حتاً لهم على تحرى الأفضل وعطف القتال على الإتفاق للإيذان بأنه من أهم مواد الإتفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يخلو من الإتفاق أصلاً وقسيم من أنفق مخنوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرىء قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة (أولئك) إشارة إلى من أنفق والجمع بالنظر إلى معنى من كما أن أفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وعمله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذنوبك التعتين الجميلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لأنهم إنما فعلوا ما فعلوا من الإتفاق والقتال قبل عزة الإسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة إلى الإتفاق والقتال (وكلا) أى وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الأولين فقط وقرىء وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعد الله تعالى (والله بما تعملون بصير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في أبى بكر رضى الله تعالى عنه فإنه أول من آمن وأول من أنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) نذب بليغ من الله تعالى إلى الإتفاق في سبيله بعد الأمر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فإنه كن يقرضه وحسن الإتفاق بالإخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافاً (وله أجر كريم) أى

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

٥٧ الحديد

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضَرَبَ بَيْنَهُمُ الْبَابَ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾

٥٧ الحديد

- وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يضاعف فكيف وقد ضوعب أضعافا كثيرة وقرىء بالرفع عطفاً على يقرض أو حملا على تقدير مبتدأ أى فهو يضاعفه وقرىء يضاعفه بالرفع والنصب (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيماً لذلك اليوم وقوله تعالى (يسعى نورهم) * حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى (بين أيديهم وبأيمنهم) وقيل هو هدام وبأيمنهم كتبهم أى يسمى إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى إيمانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ففهم من يؤتى نوره كالنحلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إيمانهم رجلاه ينطفيء تارة ويلع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلاً إلى الجنة (بشراكم اليوم جنات) مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ماتبشرون به جنات أو بشراكم دخول الجنة (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك) أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية وراءه وقرىء ذلك الفوز العظيم (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (الذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على ركب ترف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرىء أنظرونا من النظرة وهى الإهمال جعل اتئادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس من نوركم) أى نستضيء منه وأصله اتخذ القبس (قيل) طرداً لهم وتهكماً بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) أى إلى الموقف (فالتمسوا نوراً) فإنه من ثم يقتبس أو إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مبادئه من الإيمان والأعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نوراً آخرو قد علوا أن لا نور وراءهم وإنما قالوه تخيلاً لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكماً بهم (فضرب بينهم) بين الفريقين (بسور) أى حائط والباء زائدة (له باب باطنه) أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلي الجنة (فيه الرحمة وظاهره) وهو الطرف الذى يلي النار (من قبله) من جهته (العذاب) وقرىء فضرب على البناء للفاعل .

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾

٥٧ الحديد

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٥٧ الحديد

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾

٥٧ الحديد

١٤ (ينادونهم) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب

* فقيل ينادونهم (ألم نكن) في الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر (قالوا بلى) كنتم معنا

* بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محتتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر

* (وارتبتهم) في أمر الدين (وغرركم الأمانى) الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس أمر الإسلام

* (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغرركم بالله) الكريم (الغرور) أى غرركم الشيطان بأن الله عفو كريم

١٥ لا يعذبكم وقرىء الغرور بالضم (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) فداء وقرىء تؤخذ بالتاء (ولا من الذين

* كفروا) أى ظاهرأ وباطناً (مأواكم النار) لا تبرحونها أبداً (هى مولاكم) أى أولى بكم وحقيقته

مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مثنة الكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم أو مكانكم

عن قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] أو متوليكم

١٦ تتولاكم كما توليتهم موجباتها (وبئس المصير) أى النار (ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)

استئناف ناع عليهم تافلهم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لاتسداهم لما ندبوا إليه

بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفقروا

عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبتنا بهذه الآية

إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث

عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم نجى وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا

إلى طاعته بالامتثال بأوامره والاتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الأمر إذا جاء

* إناهى أى وقته وقرىء ألم يئن من أن يئين بمعنى أنى وقرىء ألما يان وفيه دلالة على أن المنفى (وما نزل

من الحق) أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنواين

فإنه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء وإلا فالعطف كما فى قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا

ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره

ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التى من جملتها ماسبق وما لحق من الإتفاق فى

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ٥٧ الحديد

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ٥٧ الحديد
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٥٧ الحديد

- سبيل الله تعالى وقرىء نزل من التنزيل مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل وأزل (ولا تكونوا كالذين أوتوا * الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرىء بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهوراتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله وركت قلوبهم (فطال عليهم الأمد) أي الأجل * وقرىء الأمد بتشديد الدال أي الوقت الأطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيمهم من الكتباين (فقس قلوبهم) فهي كاللحجارة أو أشد قسوة (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة (قد بينا لكم الآيات) التي من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها * فتغزوا بسعادة الدارين (إن المصدقين والمصدقات) أي المتصدقين والمصدقات وقد قرىء كذلك ١٨ وقرىء بتخفيف الصاد من التصديق أي الذين صدقوا الله ورسوله (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فإنه في حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلاً بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى أن الناس الذين تصدقوا وتصدقوا وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل إن المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل إن المصدقين على العموم تعلياً وأخص المصدقات من بينهم كما تقول إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهم لمضاعفة الأجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهم إلى التصديق الداعية إلى الاعتناء بمحنتهم على التصديق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصديق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) على البناء للمفعول مسنداً إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر مافي * حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصديق وقرىء على البناء للفاعل أي يضاعف الله تعالى وقرىء يضاعف بتشديد العين وفتحها (ولهم أجر كريم) مر ما فيه من الكلام (والذين آمنوا بالله ورسوله) ١٩

اعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
 اُعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٧﴾

٥٧ الحديد

- * كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان بهم في خاتمة سورة البقرة (أولئك) إشارة إلى الموصول الذي هو مبتدأ
- * وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه قد مر سره مراراً وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (هم)
- * مبتدأ ثالث خبره (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر الأول أو هم
- * ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين
- والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله
- تعالى أو هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة
- * لله تعالى بالوحدانية ولهم بالإيمان أو على الأمم يوم القيامة وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) بيان
- لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول
- أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والآخران
- للصديقين والشهداء أى مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه
- تنبيهاً على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة
- بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما الأول من الأصل والاضعاف وبين ما للآخرين
- من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثاني فرجع الكل واحد والمعنى لهم الأجر والنور
- * الموعودان لهم أجرهم الخ (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة
- ٢٠ (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبداً (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
- وتكاثر في الأموال والأولاد) بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن
- بها الفريق الثاني وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء فضلاً عن الاطمئنان بها وأنها
- * مع ذلك سريعة الزوال وشبكة الاضمحلال حيث قيل (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الحرات
- * (نباته) أى النبات الحاصل به (ثم يهيج) أى يحف بعد خضرته وفضارته (فتراه مصفراً) بعد ما رأته
- ناضراً موقفاً وقرىء مصفراً وإنما لم يقل فيصفّر إذاناً بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما المترتب
- * عليه رؤيته كذلك (ثم يكون حطاماً) هشيماً متكسراً وحل الكاف قيل نصب على الحالية من
- الضمير في لعب لأنه في معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف
- أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا تزهداً فيها وتنفيراً عن العكوف عليها
- أشير إلى غفلة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيراً

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ٥٧ الحديد
مَا أَصَابَ مِّن مِّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ٥٧ الحديد

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٥٧ الحديد

- * من عذابها الأليم وقد ذكر العذاب فقيل (وفي الآخرة عذاب شديد) لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل
- * من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة (من الله ورضوان) عظيم لا يقادر قدره (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن أهلكك عن طلب الآخرة فأما إذا دعيتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا) ٢١
- * أي سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار (إلى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) أي إلى موجباتها
- * من الأعمال الصالحة (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أي كعرضهما جميعاً وإذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية
- * (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها (ذلك) الذي وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه) تفضلاً وإحساناً
- * (من يشاء) إيتاءه إياه من غير إيجاب (والله ذو فضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل
- * الذي لا غاية وراءه (ما أصاب من مصيبة في الأرض) كجذب وعاهة في الزروع والثمار (ولا في أنفسكم) ٢٢
- * كمرض وآفة (إلا في كتاب) أي إلا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح (من قبل أن نبرأها)
- * أي نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض (إن ذلك) أي لإثباتها في كتاب (على الله يسير) لاستغنائه
- * فيه عن العدة والمدة (لكيلا تأسوا) أي أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) من نعم الدنيا ٢٣
- * (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يموت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرىء بما آتاكم من الإتيان وفي القراءة الأولى إشعار بأن فوات النعم يالحقها إذا خليت وطبأها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجد لها وبقاؤها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفي الآسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فإن من فرح بالخطىء الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذليل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقيح من الآسى .

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ٥٧ الحديد
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا
الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ٥٧ الحديد

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ٥٧ الحديد

- ٢٤ (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يرضن به غالباً ويأمر
غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) فإن معناه
ومن يعرض عن الإتيان فإن الله غني عنه وعن إتيانه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره
بالتقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإتعار بأن الأمر بالإتيان لمصلحة المنفق وقرئ فإن الله
٢٥ الغني (ولقد أرسلنا رسلنا) أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم وهو الأظهر (بالبينات)
أي الحجج والمعجزات (وأزلنا معهم الكتاب) أي جنس الكتاب الشامل للكل (والميزان ليقوم
الناس بالقسط) أي بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل الميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام
وقال مر قومك يزونا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان (وأزلنا الحديد)
قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميعة والمطرفة
والإبرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأزل لكم من
الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى (فيه بأس شديد) لأن
آلات الحرب إنما تتخذ منه (ومنافع للناس) إذا ما من صنعة إلا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها
والجملة حال من الحديد وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ما قبله
فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال
السيوف والرماح وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أي
وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى (بالغيب)
حال من فاعل ينصره أو مفعوله أي غائباً عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى (إن الله قوي عزيز) اعتراض
تذييلي جاء به تحقيقاً للحق وتليهاً على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في إعلاء
كلمته وإظهار دينه إلى نصرته بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيه إلى الثواب ولإظهار
٢٦ غنى بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) نوع تفصيل لما أجمل في قوله

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

٥٧ الحديد

- تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أي وبالله لقد أرسلناهما (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم (فمنهم) أي من الذرية أو من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الإرسال والمرسلين (مهتد) إلى الحق (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والإيذان بغلبة الضلال وكثرتهم (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أي ثم أرسلنا بعدهم رسلنا (وقفينا بعيسى ابن ٢٧ مريم) أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفي بهم من الذرية (وآتيناه الإنجيل) وقرىء بفتح الهمزة فإنه أعجمي لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة) وقرىء رافة على فعالة (ورحمة) أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم (ورهبانية) منصوب إما بفعل مضمير يفسره الظاهر أي وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) وإما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أي وجهلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أي وفقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانتطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرىء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجبارة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوه ثلاث مرات فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلة الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفي على الوجه الأول متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ما فرضناها نحن عليهم رأساً ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لاسيما إذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه إلى قيده لا إلى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أي ما كتبناها عليهم بأن وفقناهم لا بتداعها لشيء من الأشياء إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم (فآتيناه الذين آمنوا منهم) إيماناً صحيحاً وهو الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾

٥٧ الحديد

لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٥٧ الحديد

- * وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر (أجرهم) أى ما يخص بهم من الأجر (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين إذ ذاك بالتشليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لإيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به بما لا يساعده المقام (يا أيها الذين آمنوا) أى بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وفى إطلاقه ليدان بأنه علم فردى الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره (يؤتكم كفلين) نصيين (من رحمته) لإيمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لأعلى معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسع نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أى مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير أن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبى عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم يادغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى (أن لا يقدرُونَ على شىء من فضل الله) مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حين النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكّنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الإيمان برسوله وقوله تعالى (وأن الفضل بيد الله عطف على أن لا يقدرُونَ وقوله تعالى (يؤتية من يشاء) خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) اعتراض تذييل لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والإيمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لا فتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ أن لا يقدرُوا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرُونَ للنبي عليه

٥٨ - سورة المجادلة

(مدنية وهي إثنان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كُفَرَاءَ إِنْ أَلَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

٥٨ المجادلة

الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفاً على أن لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله .

(سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني وآياتها إثنان وعشرون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد سمع الله) بإظهار الدال وقرىء بإدغامها في السين (قول التي تجادلوك في زوجها) أى تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرىء تحاورك وتحاولك أى تسائلك (وتشتكى إلى الله) عطف على تجادلوك أى تتضرع إليه تعالى وقيل حال من فاعله أى * تجادلوك وهى متضرعة إليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزيمة الخزرجية ظاهراً عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقاً فقال حرمت عليه وفى رواية ما أراك إلا قد حرمت عليه فى المراءى كلها فقالت أشكو إلى الله فاقى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشككت إلى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد إشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويخرج عنها كرهها كما يلوح به ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ما عندى فى أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب * استمرار التجاور وتجده وفى نظمها فى سالك الخطاب تغليباً تشريفاً لها من جهتين والجملة استئناف مجرى التعليل لما قبله فإن إلحافها فى المسألة ومبالغتها فى التضرع إلى الله تعالى ومدافعتها عليه الصلاة والسلام لإياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالها من دواعى الإجابة وقيل

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٥٨﴾

٥٨ المجادلة

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ
تَوْعُظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٩﴾

٥٨ المجادلة

هـ هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل (إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ
فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من
جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع وإظهار الاسم الجليل فى الموقنين لثرية المهابة وتعليل
الحكم بوصف الألوهية وتأكيد استقلال الجنتين وقوله تعالى (والذين يظاهرون منكم من نسائهم)
شروع فى بيان شأن الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار أن يقول
الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وقد مر تفصيله فى الأحزاب وألحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم وفى منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فإن كان من أيمان أهل جاهليتهم
خاصة دون سائر الأمم وقرىء يظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم) خبر للموصول أى
ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرىء أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم (إن أمهاتهم)
أى ماهن (إلا اللاتى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج
النبي عليه الصلاة والسلام فدخلن بذلك فى حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الأمومة (ولأنهم
ليقولون) بقولهم ذلك (منكرًا من القول) على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإنه أمر
محقق بل كونه منكراً أى عند الشرع وعند العقل والطبع أيضاً كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله
تعالى إنكم لتقولون قولاً عظيماً (وزوراً) أى محرفاً عن الحق (وإن الله لعفو غفور) أى مبالغ فى
العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الإطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من
نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمراً منكراً بطريق التشريع الكلى
المنتظم لحكم الحادثة انتظاماً أولياً أى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أى
إلى ما قالوا بالتدارك والتسلاف لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى أن تعودوا لملئه أبداً فإن اللام
وإلى تتعاقبان كثيراً كما فى قوله تعالى هداً لنا لهذا وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى
إلى نوح (فتحرير رقبة) أى فتداركه أو فعله أو قالوا يجب إعتاق رقبة أى رقبة كانت وعند الشافعى
رحمه الله تعالى يشترط الإيمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرار
الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلاً للقول منزلة القول فيه كما ذكر
فى قوله تعالى ونزئه ما يقول أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ سَأْفَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا
ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ المجادلة
إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٩﴾ المجادلة

- رقة (من قبل أن يتأسا) أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعاً ولمساً
- ونظراً إلى الفرج بشهوة وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وإن أعتق بعض الرقة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (ذلكم) إشارة
- إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره (توعظون به) أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور
- فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجب (والله بما تعملون) من الأعمال التى من جملتها التكفير وما يوجب من
- جنابة الظهار (خير) أى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا
- تغلوا بشيء منها (فمن لم يجد) أى الرقة (فصيام شهرين) أى فعله صيام شهرين (متتابعين من قبل
- أن يتأسا) ليلاً أو نهاراً عمداً أو خطأ (فمن لم يستطع) أى الصيام لسبب من الأسباب (فإطعام ستين
- مسكيناً) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف
- إن مس فى خلال الإطعام (ذلك) إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبه عليها وما فيه
- من معنى البعد قد مر سره مراراً ومحلّه إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلى بما بعده أى ذلك
- واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه
- فى جاهليّتكم (وتلك) إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة
- (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) أى الذين لا يعملون بها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك
- للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين (إن الذين يحادون الله ورسوله) أى
- يعادونهما ويشاقونهما فإن كلام المتعادين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك
- يكون فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعادة والمشاقة
- من حسن الموقع مالا غاية وراءه (كتبوا) أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل
- لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كتبوا سيكتبون على طريقة قوله تعالى أتى أمر
- الله وقيل أصل الكبت الكب (كما كتب الذين من قبلهم) من كفار الأمم الماضية المعادين للرسول عليهم

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٨﴾ المجادلة
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
 وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
 عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ المجادلة

٥٨ الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كتبوا أى كتبوا المحادتهم والحال أنا قد أنزلنا
 آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق
 وصحة ما جاء به (وللكافرين) أى بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فدخل فيه تلك الآيات
 ٦ دخولاً أولياً (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من
 الاستقرار أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيماً لليوم وتهويلاً له (جميعاً) أى كلهم بحيث لا يبق منهم أحد
 * غير مبعوث أو مجتمعين في حالواحدة (فينبئهم بما عملوا) من القبايح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها
 في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الأشهاد تخجيلاً لهم وتشهيراً بجاهلهم وتشديداً
 لعذابهم وقوله تعالى (أحصاه الله) استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله من السؤال إما عن كيفية
 التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض متقضية متلاشية فقليل أحصاه الله
 * عدداً لم ينته منه شيء فقوله تعالى (ونسوه) حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على
 الخلف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقليل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عينوه من
 العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير (والله على كل شيء شهيد)
 ٧ لا يغيب عنه أمر من الأمور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لإحصائه تعالى وقوله تعالى (ألم تر أن
 الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى ألم تر إلى
 الذى حاج إبراهيم فى ربه وفى قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون أى ألم تعلم علماً يقينياً متاخماً
 للشهادة بأنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما
 * وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفية
 ويكون من كان التامة وفريء تكون بالتاء اعتباراً لتأنيث النجوى وإن كان غير حقيقى أى ما يقع
 من تناجى ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها إما بتقدير
 * مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم (إلا هو) أى الله عز وجل (رابعهم)
 أى جاءهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال
 * (ولا خمسة) (ولا نجوى خمسة) (إلا هو سادسهم) وتخصيص العديدين بالذكر إما لخصوص الواقعة
 فإن الآية نزلت فى تناجى المنافقين وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُشِئَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

٥٨ المجادلة

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ
وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾

٥٨ المجادلة

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

٥٨ المجادلة

- ذلك فقيل (ولا أدنى من ذلك) أى بما ذكر كالواحد والاثنتين (ولا أكثر) كالسته وما فوقها (إلا *
هو معهم) يعلم ما يجرى بينهم وقرىء ولا أكثر بالرفع عطفاً على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن
جعل لا لنفى الجنس (أينما كانوا) من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فإن عليه تعالى بالاشياء ليس
لقرب مكاني حتى يفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً (ثم يذنبهم) وقرىء يذنبهم بالتخفيف (بما عملوا *
يوم القيامة) تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم (إن الله بكل شيء عليم) لأن نسبة ذاته المقتضية
للعلم إلى الكل سواء (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين ٨
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعيانهم إذا رأوا المؤمنين فنهأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهزمة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع
للدلالة على تكرار عودهم وتجده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى (ويتناجون بالإثم والعدوان *
ومعصية الرسول) عطف عليه داخل في حكمه أى بما هو لإثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص
بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين إليه عليه الصلاة والسلام
لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرىء ويتناجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول
(وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنعم صباحاً والله سبحانه يقول وسلام
على المرسلين (ويقولون في أنفسهم) أى فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا الله بذلك
لو كان محمد نبياً (حسبهم جهنم) عذاباً (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أى جهنم (يأياها الذين ٩
آمنوا إذا تناجيتهم) فى أنديةكم وفى خلواتكم (فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله
المنافقون وقرىء فلا تتنجوا وفلا تناجوا بخذف إحدى التامين (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بما
يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام (واتقوا الله الذى إليه
تحشرون) وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وما تزدرون (إنما النجوى) ١٠

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
 أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَيْرٌ ﴿١١﴾ ٥٨ المجادلة

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ
 وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ٥٨ المجادلة

- * المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان (من الشيطان) لامن غيره فإنه المزين لها والحامل عليها
- * وقوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر أي إنما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها في نكبة أصابهم
- * (وليس بضارهم) أي الشيطان أو التناجي بضار المؤمنين (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر (إلا
- * بإذن الله) أي بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى يعصمهم من شره
- ١١ (بأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) أي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من
- * قولهم افسح عني أي تنح وقرئ تفسحوا وقوله تعالى (في المجالس) متعلق بقيل وقرئ في المجلس
- على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافساً في القرب
- منه عليه الصلاة والسلام وحرصاً على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز
- الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على
- الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعاً أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا
- * فيه (فافسحوا يفسح الله لكم) أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر
- * وغيرها (وإذا قيل أنشروا) أي انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو
- * غيرهما من أعمال الخير (فأنشروا) فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين (يرفع الله
- * الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإبواء إلى غرف الجنان في الآخرة (والذين
- * أوتوا العلم) منهم خصوصاً (درجات) عالية بما جمعوا من أثنى العلم والعمل فإن العلم مع علورتبته
- يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذلك
- يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
- * سائر الكواكب (والله بما تعملون بصير) تهديد لمن لم يمثل بالأمر وقرئ يعملون بالياء التحتانية
- ١٢ (بأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه الصلاة والسلام
- * (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي فتصدقوا قبلها مستعار من له يدان وفي هذا الأمر تعظيم الرسول
- صلى الله عليه وسلم وانقاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق

ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ ۖ فِإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

٥٨ المجادلة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾

٥٨ المجادلة

ومحب الآخرة ومحبة الدنيا واختلاف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أشفقتم وهو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً وعن علي رضي الله عنه إن في كتاب الله آية ماعمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه إذ روى أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة (ذلك) أي التصدق (خير لكم وأطهر) أي لأنفسكم من الريية وحب المال وهذا يشعر * بالنندب لكن قوله تعالى (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لأنه ترخيص إن لم يجد في المناجاة بلا تصدق (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات أو أخفتم التقديم لما يبعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع الصدقات لجمع المخاطبين (فإذا لم تفعلوا) * ما أمرتم به وشق عليكم ذلك (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الأفعال ما قام مقام توبتهم وإذا على بابها من المضي وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذ الأغلال في أعناقهم وقيل بمعنى إن (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فإذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمناجاة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (وأطيعوا الله ورسوله) * في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التمریط (والله خبير بما تعملون) ظاهراً * وباطناً (ألم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون ١٤ إليهم أسرار المؤمنين أي ألم تنظر (إلى الذين تولوا) أي والوا (قوماً غضب الله عليهم) وهم اليهود * كما أنبا عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه (ما هم منكم ولا منهم) لأنهم منافقون مذنبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (ويحلفون على الكذب) أي يقولون والله إنا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجده حسب تكرار ما يقتضيه وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما لم يعلم أنه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعلم المخبر عدم مطابقتها للواقع وما لا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٥٨ المجادلة

أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ ٥٨ المجادلة

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ٥٨ المجادلة

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٥٨ المجادلة

- ١٥ فانطلق فجاء بأصحابه لحلفوا بالله ماسبوه فنزلت (أعد الله لهم) بسبب ذلك (عذاباً شديداً) نوعاً من العذاب متفاقاً (إنهم ساء ما كانوا يعملون) فيما مضى من الزمان المتطاوّل فتمرّنوا على سوء العمل
- ١٦ وضروا به وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرىء بكسر الهمزة أى إيمانهم الذى أظهروه لأهل الإسلام (جنة) وقاية وستره دون دنائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الأولى فهو عبارة عن إعدادهم لإيمانهم الكاذبة وتمييزهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذه لاعتدالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذه المسبوقه بوقوع الجناية والحيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذه وعن سببها أيضاً كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا) أى الناس (عن سبيل الله) فى خلال أمنهم بتبسيط من لقوا عن الدخول فى الإسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم عذاب مهين) وعيد
- ١٧ ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر أو عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيئاً) من الإغناء روى أن رجلاً منهم قال لنهضن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة (أصحاب النار) أى ملازموها ومقارنوها (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبداً (يوم يبعثهم الله جميعاً) قيل هو ظارف لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة (أنهم) بتلك الأيمان الفاجرة (على شيء) من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فرائد دنيوية (ألا إنهم هم الكاذبون) المبالغون فى الكذب إلى غاية لامطمح وراهها حيث تباثروا على الكذب بين يدي عظام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عن الغافلين .

أَسْتَحْذُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَانْصَرَفُوا عَنْهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

٥٨ المجادلة

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيَّكَ فِي الْأَذْلِينَ ﴿٢٠﴾

٥٨ المجادلة

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

٥٨ المجادلة

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلِيَّكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

٥٨ المجادلة

- (استحذو عليهم الشيطان) أى استولى عليهم من حذت الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وهو بما جاء ١٩ على الأصل كاستصوب واستنوق أى ملكهم (فأنصاهم ذكر الله) بحيث لم يذكره بقلوبهم ولا بالسنتهم *
- (أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبايح حزب الشيطان وجنوده وأتباعه (إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق وإظهار المضامين معاً فى موقع الإضمار بأحد الوجهين وتوسط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى (إن الذين يحادون الله ورسوله) ٢٠ استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لها والإشعار بعلّة الحكم (أولئك) بما فعلوا من التولى والموادة (فى الأذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك (كتب الله) ٢١ استئناف وارد لتعليل كونهم فى الأذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أوجب بما يجاب به فقيل (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة والسيوف وما يجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين لئن لم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلى بفتح الياء (إن الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده (لا تجد قوماً يؤمنون بالله ٢٢ واليوم الآخر) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد إما متعد إلى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو إلى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوماً جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد

٥٩ - سورة الحشر
(مدنية وهي أربع وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩ الحشر

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

بنى الوجدان نقي المادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن
 • جد في طلبه كل أحد (ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فيها
 • قبله باعتبار لفظها (آباءهم) آباء المومنين (أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فإن قضية الإيمان
 • بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام في لوقد مر على التفصيل مراراً (أولئك) إشارة إلى الذين
 • لا يؤادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمس رحماً وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل
 • وهو مبتدأ خبره (كتب في قلوبهم الإيمان) أى أثبت فيه وفيه قطعاً ولا شيء من أعمال الجوارح
 • ثبت فيه (وأيدم) أى قوام (روح منه) أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر
 • على العدو وقيل الضمير للإيمان لحياة القلوب به فن تجريدية وقوله تعالى (ويدخلهم) الخ بيان لأثار
 • رحمته الأخروية لآثار بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار
 • خالدون فيها) أبد الأبدن وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم
 • من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى (ورضوا عنه) بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً
 • وقوله تعالى (أولئك حزب الله) تشرى لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى (ألا إن
 • حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة الناشئين والكلام
 • في تحلية الجملة بغنون التأكيد كما مر في مثلها . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب
 • من حزب الله يوم القيامة .

(سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) مر
 • ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال
 • كل من الفريقين بالتسبيح رهى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بن النصير وهم رهط
 • من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في قن بني إسرائيل انتظاراً لبعثة النبي عليه الصلاة
 • والسلام وعاهدوا أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَدَّوْنَ أَنَّهُمْ لَا مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
يُخْرِبُونَ بَيْوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأَوَّلِيَّ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

٥٩ الحشر

نعتة في التوراة لاترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في
أربعين راكباً إلى مكة لخالفوا قريشاً إلى الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام
محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعباً غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتاب فقال لهم اخرجوا
من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدم عبد الله بن أبي المنافق
وأصحابه إليهم لاتخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فتحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم
فدربوا على الأزقة وحصوها فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام لإحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله
في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة
أبيات على بعير ماشوا من متاعهم فخلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعاء إلا أهل يثين منهم آل أبي
الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبغ لله مافي
السموات - إلى قوله - والله على كل شيء قدير وقوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل
الكتاب من ديارهم) بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة
الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى
بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جملة مستعاراً لاسم الإشارة كما في قوله تعالى قل أرايتم إن أخذ
الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك وعليه قول ربيعة بن العجاج
[كانه في الجلد توليع البق] كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي أخرج الخ
ففيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى (لأول الحشر) أي في أول حشرهم إلى الشام
وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول
حشرهم وآخر حشرهم لإجلاء عمر رضي الله عنه لإيام من خير إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم
القيامة لأن الحشر يكون بالشام (ما ظننتم) أي المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان
لشدّة بأسهم وقوة منعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم
من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة
حصونهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم
ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لأن وحصونهم مرتفعاً على الفاعلية (فاتاهم الله) أي أمر الله تعالى
وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٤﴾ ٥٩ الحشر

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ٥٩ الحشر

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ ٥٩ الحشر

- بما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير في أتاها ولم يحتسبوا
 • للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله وقرىء فأتاهم أي فأتاهم الله العذاب أو النصر (وقذف في قلوبهم الرعب)
 • أي أثبت فيها الخوف الذي يربها أي يملؤها (يخربون بيوتهم بأيديهم) ليسدوا بما نقضوا منها من
 الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولثلا يبقى بعد جلائهم مساكن للسليين ولينقلوا معهم بعض آلاتها
 • المرغوب فيها بما يقبل الثقل (وأيدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها لإزالة لمتحصنهم ومتنعمهم وتوسعا
 لمجال القتال ونكاية لهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمرهم به قيل
 الجملة حال أو تفسير للرعب وقرىء يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء
 • خراباً والتخريب النقض والهدم (فاعتبروا يا أولي الأبصار) فاعتظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة
 على وجه لا يكاد يهتدى إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أدام إليهم من الكفر والمعاصي أو انتقلوا
 من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعملوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد
 ٣ استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أي الخروج عن
 • أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسي كإفعل بنى قريظة (ولهم في الآخرة
 عذاب النار) استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة
 ٤ الجلاء لانبجاة لهم من عذاب الآخرة (ذلك) أي ما حاق بهم وما سيحيق (بأنهم) بسبب أنهم (شاقوا
 • الله ورسوله) وفعلوا ما فعلوا بما حكى عنهم من القبائح (ومن يشاق الله) وقرىء يشاق الله كما في
 الأنفال والاختصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى
 • (فإن الله شديد العقاب) وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد
 العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأياً ما كان فالشرطية تكملة
 لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب
 العاجل والآجل بسبب مشاقته لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كأنه من كان فله بسبب ذلك عقاب
 ٥ شديد فإذن لهم عقاب شديد (ما قطعتم من لينة) أي أي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها
 مقلوقة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة
 • الكريمة (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيته لتفسيره باللين كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من
 • رحمة فلا ممسك لها (قائمة على أصولها) كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ما وقرىء على أصلها

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾

٥٩ الحشر

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَىٰ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَهُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهُنَّكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهَوْا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٠﴾

٥٩ الحشر

- إما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرى قائماً على أصوله ذهاباً إلى لفظ ما
(فياذن الله) فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى (وايخزى الفاسقين) أى وليذل اليهود ويغنيهم
• إذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسب
شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة
وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم زيادة لغنيهم وتخصيص السنة بالقطع إن كانت من الألوان لاستبقاء
العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هي الكرام ليكون غنيهم أشد وقوله تعالى (وما
٦ أفاء الله على رسوله) شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب
العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده إليه من مالهم وفيه إشعار
بأنه كان حقيقاً بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى
إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون
للطيعين (منهم) أى من بنى النصير (فما أوجفتم عليه) أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف
• وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها
لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه فارساً ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة مناراحلة والمعنى
ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيم مشقة شديدة ولا قتالا شديداً وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من
المدينة فمشوا إليها مشياً وما كان فيهم راكب إلا النبي عليه الصلاة والسلام فافتحها صلحاً من غير أن
يجرى بينهم مسابقة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكداً يمين وعرق الجبين (ولكن
• الله يسليط رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على أن يسليطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطاً
خاصاً وقد سلط النبي عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق
الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلاحق لكم في أموالهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يشاء
• كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل
٧ القرى) بيان لمصارف النية بعد بيان إفاؤه عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه
حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار بشمول

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥٩﴾

٥٩ الحشر

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٠﴾

٥٩ الحشر

- ما لعقاراتهم أيضاً (فقه وللرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف في قسمة
النفي فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى الكعبة وسائر المساجد وقيل الخمس لأن ذكر
الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الإمام على قول وإلى العساكر
والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فإنه عليه الصلاة والسلام
• كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخصاس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون)
• أى النفي الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول
للإنسان أى يدور من الغنى والجدة والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بكسرها أو بالضم فى المال
• وبالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جداً (بين الأغنياء منكم) يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية
بينكم فإن الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول
كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون النفي شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتداولونه فلا يصيب الفقراء
والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذاتداول بينهم أو كيلا يكون إمساك تداول بينهم
لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على مافصل من المعاني
• (وما آتاكم الرسول) أى ما أعطاكموه من النفي أو من الأمر (تخذوه) فإنه حكم أو فتمسكوا به
• فإنه واجب عليكم (وما نهاكم عنه) عن أخذه أو عن تعاطيه (فاتهاوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته
٨ عليه الصلاة والسلام (إن الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء المهاجرين) بدل
من لذى القربى وما عطف عليه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيراً ومن أعطى أغنياء
• ذوى القربى خص الإبدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بنفى بنى النصير فتعسف ظاهر (الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطروهم كفار مكة وأحوجوهم إلى الخروج وكانوا مائة رجل
• أخرجوا منها (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) أى طالبين منه تعالى رزقاً فى الدنيا ورضاة فى الآخرة
وصفوا أولاً بما يدل على استحقاقهم للنفي من الإخراج من الديار والأموال وقيد ذلك ثانياً بما
• يوجب تفخيم شأنهم ويؤكدده (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين
لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فإن خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة
• نصرة وأى نصرة (أولئك) الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون
٩ فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً (والذين تبوأوا الدار والإيمان) كلام مستأنف مسوق

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

٥٩ الحشر

- لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملة ما محبتهم للمهاجرين ورضائهم باختصاص النبي بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوؤهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيها أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المسكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقول من قال [علفتها تبناً وماء بارداً] وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف إليه من الأول وعوض منه اللام وقيل سمي المدينة بالإيمان لكونها مظهره ومنشأه (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الأول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الآخرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الإيمان مباءة ولزومه وإخلاصه على المعاني الأول عبارة عن إقامة كافة حقوقه التي من جملة ما إظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب في تقدم الأنصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن إظهار بعضها لاعتقاده قلوباً واعتقاداً إذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك (يحبون من هاجر إليهم) خبر للوصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم إليهم لمحبتهم الإيمان (ولا يجدون في صدورهم) أى في نفوسهم (حاجة) أى شيئاً محتاجاً إليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج إليه وقيل إثر حاجة كالطلب والحرازة والحسد والغيظ (بما أوتوا) أى بما أوتي المهاجرون من النعم وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين (على أنفسهم) في كل شيء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويرى زوجها واحداً منهم (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجه مراراً وكان النبي عليه الصلاة والسلام قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سمالك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في أن قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فإن ذلك إنما يستدعى شركة الأنصار للمهاجرين في الصدق دون النعم فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافاً مقررراً لصدقهم أو حالاً من ضمير تبوؤا (ومن يوق شح نفسه) الشح بالضم والكسر وقد قرئ به أيضاً اللؤم وإضافته إلى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإتفاق (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار معناها العام المنتظم للذكورين انتظاماً أولاً (هم المفلحون) الفاعلون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض واردة لمدح الأنصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين ١٠

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ
مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فَيْكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ ٥٩ الحشر
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَافِرُثُ ثُمَّ
لَيَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ ٥٩ الحشر

- هاجروا بعد ما قوى الإسلام أو التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك
 * قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياً ما كان فالوصول مبتدأ خبره (يقولون) الخ والجملة
 مسوقة لمدحهم بمحبته لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الأخوة في الدين والسبق بالإيمان
 * كما أن ما عطف عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أى يدعون لهم (ربنا اغفر لنا ولإخواننا) أى
 * في الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالإيمان) وصفوهم بذلك اعترافاً
 * بفضله (ولا تجعل في قلوبنا غلا) وقرىء غمراً وهما الحقد (للذين آمنوا) على الإطلاق (ربنا إنك
 ١١ رؤوف رحيم) أى مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا (ألم تر إلى الذين نافقوا) حكاية
 لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية
 محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو
 * لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى (يقولون) الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة
 المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى (لإخوانهم الذين
 كفروا من أهل الكتاب) للتبليغ والمراد بأخوتهم إما توافقهم في الكفر أو صداقتهم وموالاتهم
 * واللام في قوله تعالى (لئن أخرجتم) أى من دياركم قسراً موطنه للقسم وقوله تعالى (لنخرجن معكم)
 * جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم)
 * أى في شأنكم (أحدًا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدًا) وإن طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم
 أو خذلانكم وليس بذلك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدمهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد
 * عدم طاعتهم لمن يدعوهم إلى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى (وإن قوتلتم لننصرنكم)
 أى لنعاوننكم على عدوكم على أن دعوتهم إلى خذلان اليهود بما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت استعدادهم
 لنصرتهم وإظهار كفرهم ولا ريب في أن ما يفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم إلى
 ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من إظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم
 * معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للوفاق في الدين (والله يشهد إنهم لكاذبون) في مواعيدهم
 ١٢ المؤكدة بالإيمان الفاجرة وقوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الخ تكذيب لهم في كل واحد

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
 لَا يُقِنُّونَكَ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا
 وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
 كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

٥٩ الحشر

٥٩ الحشر

٥٩ الحشر

- * من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الإجمال (ولئن قاتلوا لا ينصرونهم) وكان الأمر كذلك فإن ابن أبي وأصحابه أرسلوا إلى بني النضير ذلك سرّاً ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الأدبار) فراراً (ثم لا ينصرون) أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليهزم من اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أى أشد رهوبة على أنها مصدر من المبنى للفعول (في صدورهم من الله) ١٣ أى رهبتهم منكم في السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فإنهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى (ذلك) أى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون بمعنى ١٤ لا يقدرّون على قتالكم (جميعاً) أى مجتمعين متفقين في موطن من المواطن (إلا في قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويأزروكم لفرط رهبتهم وقرى جدر بالتخفيف وقرى جدار وبإمالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق ليبان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعاً) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها (ذلك بأنهم) أى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) أى لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتعلمن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتشتت قلوبهم حسب تشتت طرفة وتفرق فتونه وأما ما قيل من أن المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب بما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى (كتل الذين من قبلهم) خبر ١٥ مبتدأ محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بني قينقاع على ما قيل إنهم أخرجوا قبل بني النضير (قريباً) في زمان قريب وانتصابه بمثل ذا التقدير كوقوع مثل الخ (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهي ما نطق به .

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

٥٩ الحشر

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

٥٩ الحشر

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

٥٩ الحشر

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

٥٩ الحشر

- ١٦ قوله تعالى (كمثل الشيطان) فإنه خبر ثان للبتداء المقدر بين لخالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي
اعتراهم بمقابلة المنافقين أولا وخيبتهم آخرأ وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين
إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلام
المثلين إلى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين
* في إغرائهم لإيادهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان (إذ قال للإنسان اكفر) أى أغراه على الكفر
* إغراه الأمر المأمور على المأمور به (فلما كفر قال إني بريء منك) وقرىء أفا بريء منك إن أريد
* بالإنسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى (إني أخاف الله رب
العالمين) وإن أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول إبليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم
من الناس وإني جار لكم وتبرؤوه قوله يومئذ إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله الآية
١٧ (فكان عاقبتهم) بالنصب على أنه خبر كان واسمها (أنهما في النار) وقرىء بالعكس وقد مر أنه أوضح
* (خالدين فيها) وقرىء خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو (وذلك جزاء الظالمين) أى الخلود
١٨ في النار جزاء الظالمين على الإطلاق دون هؤلاء خاصة (يأياها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ما تاتون
* وما تدررون (وانتظر نفس ما قدمت لغد) أى أى شىء قدمت من الأعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك
لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية
عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل وانتظر
* نفس واحدة ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الأول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من
* الأمر بالعمل وهذا ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى (إن الله خبير بما تعملون) أى من
١٩ المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى نسوا حقوقه تعالى وما قدره حق قدره ولم يراعوا
* مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (أنفسهم) أى جعلهم ناسين لها حتى
* لم يسمعوها ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم (أولئك

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
لَوْ أُنْزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

٥٩ الحشر

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمْلِكُ الْقُدُّوسُ أَلْسَلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

٥٩ الحشر

- ٢٠ هم الفاسقون (الكاملون في الفسوق) (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن المقصور الذي ينبيء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلتهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشبيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور إلى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصفة الفضول والأعدام مسبوبة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على أن المسلم لا ينتص بالكفار لأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لأن المراد عدم الاستواء في الأحوال الآخروية كما ينبيء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبة النار وصاحبة الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فإنه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أي
- ٢١ هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن) العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع (على جبل) من الجبال (لرأيت) مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر بما يصادمه (خاشعا متصدعا من خشية الله) أي متشفقا منها وقرىء مصدعا بالإدغام وهذا تمثيل وتخيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)
- ٢٢ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه (هو الله الذي لا إله إلا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم) (هو الله الذي لا إله إلا هو) كرر لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد (الملك القدوس) البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرىء بالفتح وهي

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

٥٩ الحشر

- * لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للبالغة (المؤمن) واهب الأمن
- * وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شيء مفعيل من الأمن
- * بقلب همزة هاء (العزیز) الغالب (الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أى أصلحها
- * (المتكبر) الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً أو البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) تنزيهه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن إشراكهم به تعالى إثر تعداد صفاته التي لا يمكن
- ٢٤ أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلاً (هو الله الخالق) المقدر للأشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها بريئاً من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة (المصور) الموجد
- * لصورها وكيفيتها كما أراد (له الأسماء الحسنى) لدلائنها على المعاني الحسنة (يسبح له ما في السموات
- * والأرض) ينطق بتنزيهه تعالى عن جميع النقائص تنزهاً ظاهراً (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات
- كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم . عن النبي عليه الصلاة والسلام من
- قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

٦٠ - سورة الممتحنة

(مدينة وهي ثلاث عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخْرُجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

٦٠ الممتحنة

(سورة الممتحنة مدينة وآياتها ثلاث عشرة)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) نزلت في حاطب ١
ابن أبي بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب إلى أهل مكة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم نخذوا حذرکم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل
عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا
مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتب حاطب إلى أهل مكة نخذوه منها
وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم فجحت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً وقال ماحمك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت
أن آخذ عندهم يد أو قد علمت أن كتابي لن يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل
عذره (تلقون إليهم بالمودة) أي توصلون إليهم المودة على أن الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة أو تلقون إليهم أخبار النبي عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة
لما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء وإبراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له إنما
يشترط في الاسم دون الفعل أو استئناف (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون وقيل
من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الإيمان سبباً
للكفر (يخرجون الرسول وإياكم) أي من مكة وهو إما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين
لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للإخراج فيه
تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم إلى الغيبة للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية

إِنْ يَتَّقُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنْتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾

٦٠ المتحنة

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٦١﴾

٦٠ المتحنة

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْتُمْ مِمَّنْ تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ
إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ
أَتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٦٢﴾

٦٠ المتحنة

- * (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيل وابتغاء مرضاتي) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائي إن
- * كنتم أوليائي وقوله تعالى (تسرون إليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون
- * إليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة (وأنا أعلم) أى والحال أنى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلمتم)
- * ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الأسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة
- * أو مصدرية وتقديم الإخفاء على الإعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون (ومن
- ٢ يفعله منكم) أى الاتحاد (فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (إن يتقوكم)
- * أى إن يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها
- * (ويسطوا إليكم أيديهم والسنتهم بالسوء) بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم (وودوا لو تكفرون)
- ٣ أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للإيدان بتحقيق ودادتهم قبل أن يتقوهم أيضاً (لن تنفعكم أرحامكم)
- * قرابانكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون إليهم بحاماة عليهم (يوم القيامة)
- * بجلب نفع أو دفع ضرر (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذ أى يفرق
- * الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر
- * المرء من أخيه الآية فالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل
- * مبنياً للفعول ويفصل ويفصل مبنياً للفاعل وهو الله تعالى وفصل وفصل بالنون (والله بما تعملون
- ٤ بصير) فيجازيكم به (قد كانت لكم أسوة حسنة) أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها وقوله
- * تعالى (فى إبراهيم والذين معه) أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان
- * أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف (إذا قالوا)

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ٦٠ الممتحنة

- ظرف الخبر كان (لقومهم إنا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء وقرىء برآء كظراف وبراء *
 كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة (وما تعبدون من دون الله) من الأصنام (كفرنا بكم) أى *
 بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبأهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) أى هذا *
 دأبنا معكم لا نتركه (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما أتم عليه من الشرك فتقلب العداوة حينئذ *
 ولاية والبغضاء محبة (إلا قول إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك) استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فإن *
 استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر وإن كان جائزاً عقلاً وشرعاً لوقوعه قبل تبين أنه من *
 أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنّه ليس بما ينبغي أن يؤتسى به أصلاً إذ المراد به ما يجب الاتساء به *
 حتماً لورود الوعيد على الإعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد فاستثناءؤه *
 من الأسوة إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو لإيمانه وذلك بما لا يرتاب *
 فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه *
 الصلاة والسلام لأبيه الكافر بما ينبغي أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعة وعدّها إياه فبمعزل *
 من السداد بالكلية لا بتناؤه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وإنابته عن كونه مؤتسى *
 به لو لم ينه عنه وكلاهما بين الـ لان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت *
 أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه كان قبل ذلك قطعاً وأن ما يؤتسى به ما يجب الاتساء به لا *
 ما يجوز فعله في الجملة وتجوز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من *
 ظاهر قوله أو لموعة وعدّها إياه بما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس *
 الاستغفار بقوله واعفر لأبي الآية لأنها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار *
 وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى لورودها على *
 طريق التوكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دأباً عليها وترتيب التبرؤ على تبين الأمر فقد مر تحقيقه *
 في سورة التوبة وقوله تعالى (وما أم لك من الله من شيء) من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه *
 حال من فاعل لأستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقى إلا الاستغفار فورد الاستثناء نفس *
 الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه إظهاراً للعجز وتقويضاً للأمر إلى الله *
 تعالى وقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) الخ من تمام ما نقل عن إبراهيم عليه *
 السلام ومن معه من الأسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله *
 تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء إلى الله تعالى فى جميع أمورهم لاسيما فى مدافعة الكفرة *
 وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا *
 بعذاب لا نطقه (واعفر لنا) ما فرط منا من العذاب (ربنا إنك أنت العزيز) الغالب الذى لا يذل *

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٠﴾

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٠﴾ المتحنة

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦١﴾

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَّهُوا عَلَىٰ إِحْرَاجِكُمْ أَنْ
تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦١﴾

- * من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للبالغة في التضرع والجوار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهة تعالى وأمرهم بأن يتوكلوا عليه وينبؤوا إليه ويستعذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا عما فرط منهم تكلمة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم (لقد كان لكم فيهم) أى فى إبراهيم ومن معه (أسوة حسنة) تكرير للبالغة فى الحث على الاتساع به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) بدل من لكم فائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبى عنه قوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فإنه بما يوعد بأمثاله الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم) أى من أقاربكم المشركين (مودة) بأن يوافقكم فى الدين وعدم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد لله فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم إياهم بالسكينة تطيباً لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فقام إيمانهم من التحاب والتصافى ماثم (والله قدير) أى مبالغ فى القدرة فيقدر على قلب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فإن قوله تعالى (أن تبرؤهم) بدل من الموصول (وتقسطوا إليهم) أى تفضوا إليهم بالقسط أى العدل (إن الله يحب المقسطين) أى العادلين .
- روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ الممتحنة

- (و ظاهره على إخراجكم) وهم سائر أهلها (أن تولوهم) بدل اشتغال من الموصول أى إنما ينما بها كم عن
- أن تولوهم (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية في موضع العداوة أو هم الظالمون لأنفسهم
- بتعريضها للعذاب (يا أيها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الإيمان بعد بيان حكم فريق الكافرين (إذا
- جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار (فامتنحوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
- قلوبهن للسانهن في الإيمان . يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ما خرجت
- التماس دنيا بالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله (الله أعلم بإيمانهن) لأنه المطلع على مافي قلوبهن والجملة
- اعتراض (فإن علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) علماً يمكنكم تحصيله وتبلغه طاعتكم بعد التتبع
- والى من الاستدلال بالعلام والدلائل والاستشهاد بالآمارات والخيال وهو الظن الغالب وتسميته
- علماً للإيدان بأنه جار مجرى العلم في وجوب العمل به (فلا ترجعوهن إلى الكفار) أى إلى أزواجهن
- الكفرة لقوله تعالى (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فإنه تعليل للهي عن رجعهن إليهم والتكرير
- لما لتأكيد الحرمة أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الأول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد
- (وآتوهن ما أنفقوا) أى وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية
- كان على أن من جاء نامنكم رددناه فجاءت سبعة بنت الحارث الأسلية مسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام
- بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صفي بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتى فإنك قد
- شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فزلت لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها
- رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه (ولا جناح
- عليكم أن تنكحوهن) فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار (إذا آتيتوهن أجورهن)
- شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيداناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم
- الكوافر) جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب أى لا يمكن بينكم وبين المشركات ولا علاقة
- زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نساءه لأن اختلاف
- الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد
- أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرىء ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بجذف لإحدى

وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا
وأتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴿١١﴾

٦٠ المتحنة

يأتيا النبي إذا جاءك المؤمنت يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتنن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف
فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴿١٢﴾

٦٠ المتحنة

- التامين من تمسكوا (واسألوا ما أفقتم) من مهور نساءكم للاحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا)
- من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم) الذي ذكر (حكم الله) وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف
- أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل لكم حاكما على البالغة (والله حكيم)
- يترع ما تقتضيه الحكمة البالغة . روى أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات
- إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يردوا شيئا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين
- فنزل قوله تعالى (وإن فاتكم) أى سبقكم وانفلت منكم (شيء من أزواجكم إلى الكفار) أى أحد
- من أزواجكم وقد قرىء كذلك وإيقاع شيء موقعه للتحقير والإشباع في التعميم أو شيء من مهور
- أزواجكم (فعاقبتهم) أى لجأت عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
- من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما
- يتعاقبون في الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة التي تزوجتموها
- ولا تزوتوهن زوجها الكافر وقيل معناه إن فاتكم فأصبتكم من الكفار عقي هي الغنيمة فآتوا بدل الفات
- من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وفعلتكم بالتشديد وفعلتكم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من
- لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت أمية
- وبروع بنت عقبة وعبد بن عبد العزى وهند بنت أبي جهل وكثوم بنت جرول (واتقوا الله الذي
- أتم به مؤمنون) فإن الإيمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى (يأتيا النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك)
- أى مبايعات لك أى قاصدات للبايعه نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة
- الرجال شرع في بيعة النساء (على أن لا يشركن بالله شيئا) أى شيئا من الأشياء أو شيئا من الإشرار
- (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات وقرىء ولا يقتلن بالتشديد (ولا
- يأتين بهتنن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك
- كنى عنه بالهتان المفترى بين يديها ورجليها لأن بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها
- (ولا يعصينك في معروف) أى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف
- مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْغِ الْكَافِرُ
مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

٦٠ الممتحنة

- وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر في حقن لكثرة وقوعها فيما يدينهم مع اختصاص بعضها بهم (فبايعهم) *
- أى على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الإسلام وتقيد مبايعتهم بما ذكر من مجيئهم لحثهم على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهم إليها (واستغفر لهم الله) زيادة على ما في ضمن المبايعة فإنها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالأمور المذكورة من قبلهم (إن الله غفور رحيم) أى مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهم ويرحمهم إذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهم يومئذ فروى أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهم البيعة وعمر يصاغهم وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهم وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهم وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايعهم وبين يديه وأيديهم ثوب قطرى والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً وكان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى آخر الآية فإذا أقررن بذلك من قوهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن (يا أيها الذين ١٣ آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يسؤوا من الآخرة) لكفرهم بها أولعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المجيد بالآيات (كايئس الكفار من أصحاب القبور) أى كايئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الآليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كايئسوا من موتاهم أن يعثروا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء والإظهار في موقع الإضمار للإشعار بعلّة بأسهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة .

٦١ - سورة الصف

(مدنية وهي أربع عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦١ الصف

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

٦١ الصف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

٦١ الصف

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

(سورة الصف مدنية وقيل مكية وآياتها أربع عشرة)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذي مر في نظيره (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً بين الاختلال وروى أنهم قالوا يا رسول الله لو تعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لسارعنا إليه فنزلت هل أدلكم على تجارة - إلى قوله تعالى - وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بشواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم أشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل لأنها نزلت فيمن يتمدح كاذباً حيث كان الرجل يقول قتلته ولم يقتل ولم يطمعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تمك بهم وإيمانهم وليس بذلك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت لأنها تخفيفاً لكثرة استعمالها معاً كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لا شيء تقولون ففعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعمير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجهها إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعد فقط بل الوعد به أيضاً وقد كانوا يحسبونهم معروفاً ولو قيل لم لا تفعلوا ما تقولون لهم منه أن المنكر هو ترك الموعد (كبر مقتاً عند الله أن تقولون ما لا تفعلون) بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا ﴿٦١﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٢﴾

٦١ الصف

- وقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لاعما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو أعاده المنافق وأن مناط التعبير والتوبيخ هو لإخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقاتلون وصفاً مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى (كانهم بنيان مرصوص) حال من المستكن في الحال الأولى أى مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل بينان رص بعضهم إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحداً وقوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق التلويح أى واذكر هؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين نذبتهم إلى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإن داخلون - إلى قوله تعالى - فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية (يا قوم لم تؤذوني) أى بالخلافه والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى (وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمراً بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته أني رسول الله إليكم لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعاطيكم وتسارعوا إلى طاعتي (فلما زاغوا) أى أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) أى صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة ومؤذن بعلمته أى لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصيرين على الغواية هداية موصلة إلى ما يوصل إليها فإنها شاملة لكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة والإظهار في موقع الإخمار لئلا يفتقدوا بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمه دخولا أولاً وأياً ما كان فوصفهم بالفسق ناظر إلى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾

٦١ الصف

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٢﴾

٦١ الصف

الكريم ويرتضيه النوق السليم . وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه
الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه وعييه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم
منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فما لا تعلق
له بالمقام وقوله تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم) إمام معطوف على إذ الأولى معمول لعاملها وإما معمول
لمضمر معطوف على عاملها (يا بني إسرائيل) ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله (إني رسول
الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة) فإن تصديقه عليه الصلاة والسلام إياها من أقوى الدواعي
إلى تصديقهم إياه وقوله تعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدى) معطوف على مصدقاً داع إلى تصديقه
عليه الصلاة والسلام مثله من حيث إن البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما مافى الرسول من
معنى الإرسال لا الجار فإنه صلة للرسول والصلات بمنزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل
• أى أرسلت إليكم حال كونى مصدقاً لما تقدمنى من التوراة ومبشراً بمن يأتي من بعدى من رسول (اسمه
أحمد) أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً من تقدم وتأخر
• وقرىء من بعدى بفتح الياء (فلما جاءهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (قالوا هذا سحر مبين)
مشيرين إلى ما جاء به أو إليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحراً للبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا
• ساحر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى أى الناس أشد ظلاماً ممن
يدعى إلى الإسلام الذى يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الاقتراء على الله عز وجل
بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر
• الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرىء يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه (والله
لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يرشدكم إلى مافيه فلاحهم لعدم توجههم إليه (يريدون ليطفئوا نور الله)
• أى يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً
لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها فى لا أبالك أو يريدون الاقتراء ليطفئوا نور الله
• (بأفواههم) بطعنهم فيه مثلث حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أى
• مبلغه إلى غايته بنشره فى الآفاق وإعلانه وقرىء متم نوره بلا إضافة (ولو كره الكافرون) أى إرغاماً

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ٦١ الصف

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ٦١ الصف

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ٦١ الصف

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ٦١ الصف

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۖ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ٦١ الصف

- لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مراراً (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو بالمعجزة (ودين الحق) والملة الخفيفة (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جمعه بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام (ولو كره المشركون) ذلك وقرىء هو الذي أرسل نبيه (بأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرىء تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل بأموالكم وأنفسكم) استئناف وقع جواباً عما نشأ ما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أو ماذا نصنع فقبل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الأمر جىء به للإيذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرىء تؤمنوا وتجاهدوا على إضمار لام الأمر (ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من الإيمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة (خير لكم) على الإطلاق أو من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أى إن كنتم من أهل العلم فإن الجملة لا يعتد بأفعالهم أو إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خير لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (يعفركم ذنوبكم) جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفركم وجعله جواباً هل أدلكم بعيداً لأن مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (ويدخلكم جنت تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك) أى ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه (وأخرى) ولكم ١٣ إلى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يثرثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة بإضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف (وفتح قريب) أى عاجل عطف على

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
 الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

٦١ الصف

نصر على الوجوه المذكورة وقرىء نصرأ وفتحاً قريباً على الاختصاص أو على المصدر أى تنصرون
 نصرأ ويفتح لكم فتحاً أو على البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطكم نعمة أخرى نصرأ
 • وفتحاً (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين وبشر أو على تؤمنون فإنه فى معنى
 آمنوا كأنه قيل آمنوا واجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلاً وآجلاً
 ١٤ (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرىء أنصار الله بلا إضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار
 • الله وقرىء كونوا أتم أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله) أى من
 • جندى متوجهاً إلى الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والإضافة الأولى إضافة
 أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه
 باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله
 أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر
 • رجلاً (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل) أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم من نصرته الدين (وكفرت
 • طائفة) أخرى به وقتلوه (فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك
 • بمدد رفع عيسى عليه السلام (فأصبحوا ظاهرين) غالين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
 الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه .

٦٢ - سورة الجمعة

(مدنية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ الجمعة ٦٢

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ الجمعة ٦٢

وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ الجمعة ٦٢

(سورة الجمعة مدنية وآياتها إحدى عشرة)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) تسييحاً مستمراً (الملك) ١
- القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح (هو الذي بعث في الأميين) ٢
- أى في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة
- وهم من أهل الأنبار (رسولا منهم) أى كانوا من جملتهم أمياً مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه أمياً
- * مثلهم لم يعد منه قراءة ولا تعلم (ويزكّهم) صفة أخرى لرسول المعطوفة على يتلو أى يحملهم على ما يصيرون
- * به أزكيا من خبائث العقائد والأعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أخرى لرسول مترتبة في
- الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية
- وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيدان بأن كلا
- من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروى ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم
- كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن نارة بالآيات وأخرى
- بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعترار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما
- في تضاعيف الأحاديث النبوية من الأحكام والشرائع (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من الشرك
- * وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم وإزاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة
- والسلام من الغير وإن هى المخففة واللام هى الفارقة (وأخرجهم منهم) عطف على الأميين أو على المنصوب ٣
- في يعلمهم ويعلم آخرين منهم أى من الأميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة إلى يوم الدين فإن دعوته
- * عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أى لم يلحقوا بهم بعد
- * وسيلحقون (وهو العزيز الحكيم) المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلاً أمياً من ذلك الأمر

الجمعة ٦٢

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا

الجمعة ٦٢

بِعَايَتِ اللَّهَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

قُلْ يَتَّبِعُوا اللَّهَ فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

الجمعة ٦٢

صَادِقِينَ ﴿٦﴾

الجمعة ٦٢

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

- ٤ العظيم واصطفاه من بين كافة البشر (ذاك) الذي امتاز به من بين سائر الأفراد (فضل الله) وإحسانه
 * (يؤتيه من يشاء) تفضيلاً وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذي يستحق دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة
 * (مثل الذين حملوا التوراة) أى علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما في تضاعيفها
 * من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمثل الحمار يحمل أسفاراً)
 أى كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل إما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار
 * إذ ليس المراد به معيناً فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال [ولقد أمر على التميم يسنى] (بئس مثل
 القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف
 والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بئس مثل القوم
 * مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا
 * بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين)
 ٦ الواضحين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (قل يا أيها الذين
 * هادوا) أى تهودوا (إن زعمت أنكم أولياء لله من دون الناس) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأجباؤه
 ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً فأمر رسول
 * الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم إظهاراً لكذبهم إن زعمت ذلك (فتمنوا الموت) أى فتمنوا من
 * الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى دار الكرامة (إن كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة
 * ما قبله عليه إن كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة
 ٧ أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار التى هى قرارة الأكدار (ولا يتمنونه أبداً) لإخبار بما سيكون
 * منهم والباء فى قوله تعالى (بما قدمت أيديهم) متعلقة بما يدل عليه النفي أى يابون التنى بسبب ما عملوا
 * من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة أفعيله
 * عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أى بهم ولم يشار إلى الظاهر على الإضمار

قُلْ إِنْ أَمُوتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَقِّكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

الجمعة ٦٢

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

الجمعة ٦٢

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

الجمعة ٦٢

- لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الأمور التي من جملتها ادعاء مأم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى (قل إن الموت الذي تفرون منه) فإن ذلك إنما يقال ٨ لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنوا المساتوا من ساعتهم وهذه إحدى المعجزات أي إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فإنه ملائكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرىء بدونها وقرىء تفرون منه ملائكم (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) الذي لا تخفى عليه خافية (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي ٩ للصلاة) أي فعل النداء لها أي أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لإذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الأرض أي في الأرض وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل إن الأنصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فلهوا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصرى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة (فاسعوا إلى ذكر الله) أي امشوا واقصدوا إلى الخطبة والصلاة (وذرؤا البيع) * واتركوا المعاملة (ذلكم) أي السعي إلى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فإن تقع الآخرة * أجل وأبقى (إن كنتم تعلمون) أي الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم أهل العلم (فإذا قضيت الصلاة) ١٠

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

٦٢ الجمعة

- * أى أدبت وفرغ منها (فاتشروا فى الأرض) لإقامة مصالحكم (وابتغوا من فضل الله) أى الربح فالأمر للإطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع (واذكروا الله كثيراً) ذكرأ كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة
- * صلاة التطوع (واذكروا الله كثيراً) ذكرأ كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة
- ١١ (لعلكم تفلاحون) كى تفوزوا بخير الدارين (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فابقى معه عليه الصلاة والسلام إلا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادى ناراً وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة بجمع الضمير لأنها المقصودة أو لأن الإنفضاخ للتجارة مع الحاجة إليها والاتفاح بها إذا كان مذموماً فما ظنك بالإنفضاخ إلى الله وهو المذموم فى نفسه وقيل تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه فحذف الثانى لدلالة الأول عليه وقرئ
- * إليهما (وتركوك قائماً) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فإن
- * ذلك نفع محقق بخلاف ما فهم من النفع المتوهم (والله خير الرازقين) فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين .

٦٣ - سورة المنافقون
(مدنية وهي إحدى عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

٦٣ المنافقون

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

٦٣ المنافقون

٦٣ المنافقون

(سورة المنافقون مدنية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاءك المنافقون) أى حضروا مجلسك (قالوا نشهد أنك لرسول الله) مؤكدين كلامهم بأن واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى (والله يعلم أنك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى (وانته يشهد إن المنافقين لكاذبون) تحقيقاً وتعييناً لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير إليه وإمالة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب إلى منطوق كلامهم أى والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقاتلتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والإظهار فى موقع الإضمار لنهمم والإشعار بعلّة الحكم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم (جنة) أى وقاية عما يتوجه إليهم من مؤاخذه بالقتل والسبى أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذه لاعتنا استعمالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذه المسبوقه بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذه وعن سببها أيضاً كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى فصدوا من أراد الدخول فى الإسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الإنفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكي عنهم ولأريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرىء إيمانهم أى ما ظهره على ألسنتهم فاتخاذها جنة عبارة عن استعماله بالفعل فإنه وقاية دون دمائهم وأموالهم فعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والإعراض عن سبيله تعالى (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القول
- ٢
- ٣

وإذا رأيتم تَعْجِبُكُمْ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ
 كُلَّ صَيِّعَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتُمْ يَوْمَ كُفُونِ ①
 وإذا قيل لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
 مُسْتَكْبِرُونَ ②

٦٣ المناقون

الناعى عليهم أنهم أسوأ الناس أفعالا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالإيمان
 الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارا من الإشعار ببعد منزلته في
 * الثمر (بأنهم) أى بسبب أنهم (آموا) أى فلقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الإسلام (ثم
 كفروا) أى ظهر كفرهم بما شوهده منهم من شواهد الكفر ودلائله أو فلقوا بالإيمان عند المؤمنين
 * ثم فلقوا بالكفر عند شياطينهم (فطبع على قلوبهم) حتى تمروا على الكفر واطمأنوا به وقرىء
 ٤ على البناء للفاعل وقرىء فطبع الله (فهم لا ينفقون) حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيقته أصلا (وإذا
 * رأيتم تعجبكم أجسامهم) لضخامتها وروقك منظرهم لصباحة وجوههم (وإن يقولوا تسمع لقولهم)
 لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحاً يحضر مجلس رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهبا كلهم
 ويسمعون إلى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء
 * للفعول وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف
 لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة
 إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير وقرىء خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة
 وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرىء
 * خشب كندرة ومدبر (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب
 ٨ في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يبتك أستاذهم ويبيع دماءهم وأموالهم (هم العدو)
 أى هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فإن أعدى الأعداء العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت
 ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانياً للحسبان بما لا يساعده النظم الكريم أصلا
 * فإن الفاء في قوله تعالى (فاحذروهم) لترتيب الأمر بالخطر على كونهم أعدى الأعداء (قاتلهم الله) دعاء
 عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى
 * (أنى يؤفكون) تعجب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق إلى ما هم عليه من الكفر والضلال
 • (وإذا قيل لهم) عند ظهور جنائهم بطريق النصيحة (تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم)
 * أى عطفوها استكباراً (ورأيتم يصدون) يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار (وهم مستكبرون)

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ﴿٦٣﴾

٦٣ المنافقون

هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٤﴾

٦٣ المنافقون

يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾

٦٣ المنافقون

- ٦ عن ذلك (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما إذا جاءوك معتردين من جناباتهم وقرىء استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرىء استغفرت بإشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفاً (أم لم تستغفر لهم) كما إذا أصرروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر الله لهم) أبداً لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد إمامهم بأعيانهم والإظهار في موقع الإحصار لبيان غلوهم في الفسق أو الجنس وهم داخلون في زميرهم دخولا أولاً وقوله تعالى (هم الذين يقولون) أي الأنصار (لا تنفقوا علي من عند رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرىء حتى ينفضوا من انفض القوم إذا فئت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا أمرؤدهم وقوله تعالى (ولله خزان السموات والأرض) رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إناقامهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء من حوله صلى الله عليه وسلم ببيان أن خزان الأرزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون (يقولون لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) روى أن جهجاه بن سعيد أجير ٨ عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن أبي واقتلا فصرخ جهجاه ياللمهاجرين وسنان يالأنصار فأتاه جهجاه جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى إلى ابن أبي فقال للأنصار لا تنفقوا الخ والله لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عني بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين وإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أي والله الغالبة والقوة ولن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيهنون ما يهنون . روى أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصاً وقال لنن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾

٦٣ المناقون

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾

٦٣ المناقون

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

٦٣ المناقون

- رأى منه الجدل قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك
الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله)
أى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل
من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد منهم عن التلهى بها وتوجيه النهى إليها للبالغة
* كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ (ومن يفعل ذلك) أى التلهى بالدنيا من الدين (فأولئك
٩ هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفانى (وأنفقوا بما رزقناكم)
* أى بعض ما أعطيناكم تفضلاً من غير أن يكون حصوله من جهتم ادخاراً للآخرة (من قبل أن
يأتى أحدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مراراً
* من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما آخر (فيقول) عند يقينه بحلوله (رب لولا أخرتني) أى أهلتني
* (إلى أجل قريب) أى أمد قصير (فأصدق) بالنصب على جواب التمني وقرئ فأصدق (وأكن من
الصالحين) بالجزم عطفاً على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن وقرئ وأكون بالنصب
١١ عطفاً على لفظه وقرئ وأكون بالرفع أى وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله نفساً)
* أى ولن يمهلها (إذا جاء أجلها) أى آخر عمرها أو انتهى إن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول
* العمر إلى آخره (والله خبير بما تعملون) فجاز لكم عليه إن خيراً أو غير وإن شراً فسرعوا فى
الخيرات واستعدوا لما هوأت وقرئ يعملون بالياء التحتانية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المنافقين برى من النفاق .

٦٤ - سورة التغابن

(مدنية وهي ثمانى عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ التغابن

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَكَكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ التغابن

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ التغابن

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ التغابن

(سورة التغابن مدنية مختلاف فيها وآياتها ثمانى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أى ينزهه سبحانه جميع ما فيها من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً (له الملك وله الحمد) لا لغيره إذ هو المبدى لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لأصول النعم وفروعها وأمامك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شئ قدير) لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء (هو الذى خلقكم) خلقاً بديعاً حاوياً لجميع مبادئ الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته (ومنكم مؤمن) مختار للإيمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فافعلتم ذلك مع تمام تمكّنكم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لأنه الأغلب فيما بينهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فذنبكم كافر مقدرة كفره موجه إليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدراً لإيمانه موفق لما يدعوه إليه بما لا يلائم المقام (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك فاخترأوا منه ما يريدكم من الإيمان والطاعة ولما لكم وما يريدكم من الكفر والعصيان (خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية (وصوركم فأحسن صوركم) حيث براكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما ينيط بها عن الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بمخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة (وإليه المصير) فى النشأة الأخرى لا إلى غيره استللاً أو اشتراكاً فأحسنوا أسراركم باستعمار تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له (يعلم ما فى السموات والأرض) من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ التَّغَابُنِ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
 اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٥﴾

٦٤ التَّغَابُنِ

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ
 يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

٦٤ التَّغَابُنِ

- (ويعلم ماتسرون وما تعلنون) أى ماتسرونه فيما بينكم وما تظهِرونه من الأمور والتصرّيح به مع اندراج
- فيما قبله لأنه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لها وقوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) اعتراض تذييل مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلمهم أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وإظهار الجلالة للإشعار بعلّة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الإتيان والاختصاص ببعض الأنحاء
- (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر
- (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل
- فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره (ذلك)
- أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيدوقونه فى الآخرة (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت
- تأتيمهم رسُلهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (فقالوا) عطف على كانت (أبشّر يهدوننا) أى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشّر يهدينا كما قالت ثمود أبشراً منا واحداً يتبعه وقد أجل فى الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجل الخطاب والأمر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً (فكفروا) أى بالرسول (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم (واستغنى الله) أى أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك (والله غنى) عن العالمين فضلاً عن إيمانهم وطاعتهم (حميد)
- يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وإن لم يحمده حامد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما فى حيزها والمراد بالوصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبداً (قل) ردّ عليهم وإبطالاً لزعمهم بإثبات ما نفوه
- (بل) أى تبعثون وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾
 يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
 وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

- مستقلة داخله تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين (وذلك) أى ما ذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) لتحقيق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى (فآمنوا) فصيحة مفصحة عن شرط ٨ قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن فإنه يمجازه بين بنفسه مبین لغيره كما أن النور كذلك والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال (والله بما تعملون) من الامتثال بالأمر وعدمه (خير) فجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذيلى مقرر لما قبله من الأمر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات إلى الاسم الجليل لترية المهابة وتأكيد استقلال الجملة (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤ وقيل ٩ لخبر لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبتكم يوم يجمعكم أو مفعول لا ذكر وقرئ بجمعكم بنون العظمة (ليوم الجمع) يوم يجمع فيه الأولون والآخرون أى لأجل ما فيه من الحساب والجزاء (ذلك يوم التغابن) أى يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء والعكس وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه لا ما يقع فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) أى عملاً صالحاً (يكفر) أى الله عز وجل وقرئ بنون العظمة (عنه سيئاته) يوم القيامة (ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) وقرئ ندخله بنون (ذلك) أى أى ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه لا نظوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين ١٠ فيها وبئس المصير) أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن (ما أصاب من مصيبة) من المصائب الدنيوية (إلا بإذن الله) أى بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) عند إصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٦٤ الثَّانِي

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ٦٤ الثَّانِي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا

وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ٦٤ الثَّانِي

- أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرىء يهد قلبه على البناء للفعول ورفع قلبه وقرىء بنصبه على نهج سفه نفسه وقرىء يهدأ قلبه بالهمزة أى يسكن (والله بكل شيء) من الأشياء التى من جعلها القلوب وأحوالها (عليم)
- ١٢ فيعلم إيمان المؤمن ويهدى قلبه إلى ما ذكر (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر الأمر اتاكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى (فإن توليتم) أى عن إطاعة الرسول وقوله تعالى (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة فى مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والإشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه (الله لا إله إلا هو) جملة من مبتدأ وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى إضمار خبر لا مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف (وعلى الله) أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً (فليتكمل المؤمنون) وإظهار الجلالة فى موقع الإضمار للإشعار بعملة التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبطل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرّة (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوٌّ لكم) يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا (فاحذروهم) الضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فإنهم عدو لى أو للأزواج والأولاد جميعاً فالأمر به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثانى
- ١٤ إما الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو وإما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتياهم على العدو (وإن تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير (وتغفروا) بإخفائها وتمهيد عذرها (فإن الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل إن ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فطلبهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقوا وتضيعوا تنافروا لهم ووقعوا فلها جروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقها فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلها جروا ومنعواهم الخير فحنوا على أن يغفروا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة .

٦٤ التغابن

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

٦٤ التغابن

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ٦٤ التغابن

٦٤ التغابن

عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

- (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم في الانتم من حيث لا تحسبون (والله عنده أجر عظيم) لمن أثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي في تدبير مصالحهم (فاتقوا الله ما استطعتم) أى أبذلوا في تقواه جهدكم وطاقاتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) مما رزقكم في الوجوه التى أمركم بالإتفاق فيها خالصاً لوجهه (خيراً لأنفسكم) أى اتقوا خيراً لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفق وهو تأكيد للحث على امثال هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى إتفاقاً خيراً أو خيراً لكان مقدراً جواباً للأوامر أى يكن خيراً لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام
- (إن تقرضوا الله) بصرف أموالكم إلى المصارف التى عينها (قرضاً حسناً) مقروناً بالإخلاص ١٧ وطيب النفس (يضاعفه لكم) بالواحد عشرة إلى سبعة وأكثروا قرىء يضاعفه لكم (ويغفر لكم) بركة الإتفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل (حلیم) لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه خافية (العزیز الحكيم) المبالغ ١٨ فى القدرة والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة .

٦٥ - سورة الطلاق
(مدنية وهي اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

٦٥ الطلاق

(سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأتمته أيضاً لتشريفه عليه الصلاة والسلام وإظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام لإيائهم وتغليبه عليهم لا لأن نداءه كندائهم فإن ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الأحق به لشمول حكمه لكل قطعاً والمعنى إذا أردتم تطليقهن وعزمتن عليه كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة (فطلقوهن لعدتهن) أى مستقبلات لها كقولك أتيته ليلة خلت من شهر كذا فإن المرأة إذا طلقت في طهر يعقبه القرء الأول من إقرائها فقد طلقت مستقبل لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتها وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة *
- * إقرأوا كوامل (واتقوا الله ربكم) في تطويل العدة عليهن والإضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته *
- * لهم تأكيد للأمر ومبالغة في إيجاب الاتقاء (لا تخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن عند الفراق إلى أن تنقضى عدتهن وإضافتها إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاتهن لسكنائها كأنها *
- * أملاكهن (ولا يخرجن) ولو ياذن منكم فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن أما إذا اتفقا على الخروج جازاً الحق لا يعدوهما (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) استثناء من الأول قيل هي الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يذنبوا على الأزواج فيحل حينئذ إخراجهن ويؤيده قراءة إلا أن يفحشن عليكم أو من الثاني للبالغة في النهى عن الخروج ببيان أن *
- * خروجها فاحشة (تلك) إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما في اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) التي عينها لعباده (ومن يتعد حدود الله) أى حدوده المذكورة بأن أخل بشيء منها على أن الإظهار في حيز الإضمار لتحويل أمر التعدى والإشعار بعملة الحكم في قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) أى أغر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب ياباه *

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾

٦٥ الطلاق

وَيَرْزُقْهُ مِّن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

٦٥ الطلاق

- قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) فإنه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية * وقد قالوا إن الأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والأخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدرى خطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لالنبى عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فإنك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الأمر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدي أمراً يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل بيغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالاً إليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح (فإذا بلغن أجلهن) شارف ٢ آخر عدتهن (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن معاشرة وإتفاق لائق (أو فارقوهن بمعروف) * بإيفاء الحق وإتقاء الضرر بأن يراجعهن ثم يطلقها تطويلاً للعدة (وأشهدوا ذوى عدل منكم) عند الرجعة والفرقة قطاً للتنازع وهذا أمر ندب كما في قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم ويروى عن الشافعى أنه للجوب في الرجعة (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود عند الحاجة خالصاً لوجهه تعالى (ذلكم) إشارة إلى الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما فى الآية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) * إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى (ومن يتق الله) الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الإشهاد وغيره من الأمور (يجعل له مخرجاً) بما عسى يقع في شأن الأزواج من الغوم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاماً مجىء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله إلى آخره فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتى وما يذر يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غوم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أولياً عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد

وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَا يَحْضُنْ
وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ الطلاق

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٦٥﴾ الطلاق

- يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها . وروى أن عوف بن الأشجعي أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكاً إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ففعل فينا في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه في جميع أموره (إن الله بالغ أمره) بالإضافة
- * أي منفذ أمره وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرىء برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر إن أو بالغ خبر إن وأمره مرتفع به على
 - * الفاعلية أي نافذ أمره وقرىء بالغاً أمره على أنه حال وخبر إن قوله تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدراً) أي تقديراً وتوقيتاً أو مقداراً وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى (واللآتي يسنن من المحيض من نساءكم) لكبرهن وقد قدرهن بستين سنة وبخمس وخمسين (إن ارتبتم) أي شككتن وجهلتم كيف عدتن (فعدتن ثلاثة أشهر واللآتي لم يحضن) بعد لصغرهن أي
 - * فعدتن أيضاً كذلك لحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه (وأولات الأحمال أجلهن) أي منتهى عدتن (أن يضعن حملهن) سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهله أن سورة النساء القصوى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حلت فزوجي (ومن يتق الله) في شأن أحكامه ومراعاة حقوقها
 - * (يجعل له من أمره يسراً) أي يسهل عليه أمره ويوقفه للخير (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للإيدان ببعده منزلته في الفضل وإفراد الكاف مع
 - * أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى (أمر الله أنزله إليكم) لما أنها مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لالتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
 - * من سورة البقرة (ومن يتق الله) بالمحافظة على أحكامه (يكفر عنه سيئاته) فإن الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له أجراً) بالمصافحة .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ
 حَمَلَ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمِّرُوا بَيْنَكُمْ
 بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِستَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾

٦٥ الطلاق

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
 مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

٦٥ الطلاق

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
 نُكَرًا ﴿٨﴾

٦٥ الطلاق

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾

٦٥ الطلاق

- وقوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ ما قبله من الحث ٦
 على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكناً من حيث سكنتم
 أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى (من وجدكم) أى من وسعكم أى بما تطيقونه عطف بيان لقوله
 من حيث سكنتم وتفسير له (ولا تضاروهن) أى فى السكنى (لتضيّقوا عليهن) وتلتجوهن إلى
 الخروج (وإن كن) أى المطلقات (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من
 العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن (فإن أرضعن لكم) بعد ذلك (فآتوهن أجورهن)
 على الإرضاع (وأمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا وحقيقته لأمر بعضكم بعضاً بجميل فى
 الأرضاع والأجر ولا يكن من الأب بما كسبه ولا من الأم معاورة (وإن تعاسرتم) أى تضايقتم (فسترضع
 له أخرى) أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للآم على المعاسرة (لينفق ذو سعة من
 سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله) وإن قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه
 وسعه (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وفيه تطيب
 لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل (سيجعل الله بعد عسر يسراً)
 أى عاجلاً أو آجلاً (وكأين من قرية) أى كثير من أهل قرية (عتت) أى أعرضت (عن أمر ربها)
 ورسوله (بالتعوى والتمرد والعناد) فحسبناها حساباً شديداً (بالاستقصاء والتنقيير والمناقشة فى كل نقيير
 وقطعير) وعذبناها عذاباً نكراً (أى منكرأ عظيماً وقرىء نكراً والمراد حساب الآخرة وعذابها
 والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (فذاقت وبال
 أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) هاتلا لاخسر وراه.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ

ذِكْرًا ﴿٦٥﴾

٦٥ الطلاق

رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٦٦﴾

٦٥ الطلاق

- ١٠ (أعد الله لهم عذاباً شديداً) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقباً كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب
- * (فاتقوا الله يا أولي الأبواب) ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظه
- وبالعذاب ما أصابهم عاجلاً وقد جوز أن يكون عنت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جواباً
- * لقوله تعالى كفى (الذين آمنوا) منصوب بإضمار أعنى بياناً للننادي أو عطف بيان له أو نعت وفي
- * إبداله منه ضعف لتعذر حلوله محله (قد أنزل الله إليكم ذكراً) هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة
- ١١ ذكره أو لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه إبدال قوله تعالى (رسولاً) منه أو لأنه مذكور
- في السموات وفي الأمم أو أريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك كأنه في نفسه
- شرف إما لأنه شرف للنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش
- مكين أو هو النبي عليه الصلاة والسلام وعليه الأكثر عبر عنه بالذكر لما اظفته على تلاوة القرآن
- أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإزالة بطريق الترشيح أو لأنه مسبب عن إزال الوحي إليه
- وأبدل منه رسولاً للبيان أو هو القرآن ورسولاً منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكراً على أعمال المصدر
- * المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى (يتلو عليكم آيات الله مبينات) نعت لرسولاً وآيات
- الله القرآن ومبينات حال منها أي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام وقرىء مبينات
- * أي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى (ليخرج الذين آمنوا وعملوا
- الصالحات) متعلقة بـ يتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الأول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو
- ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد إزاله أي ليحصل لهم الرسول أو الله عز وجل ما هم
- * عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه سيؤمن (من الظلمات إلى النور)
- * من الضلالة إلى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) حسباً بين في تضاعيف ما أنزل من الآيات
- * المبينات (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرىء ندخله بالنون وقوله تعالى (خالدين فيها أبداً)
- حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله
- * تعالى (قد أحسن الله له رزقاً) حال أخرى منه أو من الضمير في خالدين بطريق التداخل وإفراد
- ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

٦٥ الطلاق

- (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الأرض مثلهن) أى خلق من الأرض مثلهن فى العدد وقرىء مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الأرض خبره واختلف فى كيفية طبقات الأرض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعباً حلف بالذى فلق البحر لموسى أن صهيلاً حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرق قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أفلنن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله عن تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا دون من عداهم وإن كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون النضياء منها والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء (يتنزل الأمر بينهن) أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تديره وقرىء ينزل الأمر (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) متعلق بخلق أو يتنزل أو بمضمرة يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الأمور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما أصلا وقرىء ليعلموا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات هلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦٦ - سورة التحريم

(مدينة وهي اثنتا عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ٦٦ التحريم

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ٦٦ التحريم

وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ

عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ٦٦ التحريم

(سورة التحريم مدينة وآياتها اثنتا عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن النبي عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلت بذلك حفصة فقال لها اكتسى على فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمي فأخبرت به عائشة وكانت متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاهما بذلك واستسكتمتا فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فإنها صوامة قوامه وإنها لمن نسانك في الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نثم منك ريح المغاير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فعنه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضاة أزواجك) إما تفسير لتحريم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان مادعاه إليه مؤذن بعد صلاحيتك لذلك (والله غفور) مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وإنما عاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي شرع لكم تحليلها وهو حل ماعقده بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد ههنا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) وهي حفصة (حديثاً) أي حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة (فلما نبأت به) أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته إليها وقرئ أنبأت به (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام على إفشاء حفصة (عرف) أي النبي عليه الصلاة والسلام حفصة (بعضه) بعض الحديث الذي أفشته قيل هو حديث الإمامت روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتسى على قالت والذي بعثك بالحق ماملكت

إِنْ تُتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بَعَدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

٦٦ التحريم

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلِي مُؤْمِنَاتٍ فَاثَنَاتٍ تَذَرْنِي
عَدِيدٌ سَيُحْيِيَنَّ تَبِيتٌ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

٦٦ التحريم

- * نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباهما (وأعرض عن بعض) أى عن تعريف بعض تكريما
- * قيل هو حديث مارية (فلما نبأها به) أى أخبر النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بما عرفه من الحديث
- (قالت من أنباك هذا) أى إفضاءها للحديث (قال نبأني العليم الخبير) الذى لا تخفى عليه غافية (إن
- تتوبا إلى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للبالغة فى العتاب (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل
- * كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منك ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما
- من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكره ما يكرهه وقرئ فقد زاعت (وإن
- تظاهرا عليه) بإسقاط إحدى التاءين وقرئ على الأصل وبتشديد الفاء وتظاهرا أى تتعاوننا عليه بما
- يسوؤه من الإفراط فى الغير وإفضاء سره (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى فلن يعدم
- من يظاھره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الكرويين قريته ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه
- قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك
- مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللاتق بتوسطه بين جبريل والملائكة
- عالم السلام فإنه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وإن جبريل ظهير له عليهما السلام
- بؤيد، بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن
- بيان مظاهرتيها له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيراً فى قلوب بنتيهما وتوهيناً لأمرهما فكان حقيقاً
- بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء
- السموات من جموعهم (بعد ذلك) قيل أى بعد نصرته الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين
- (ظهير) أى فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فإذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء
- ظهر أوه وما ينبى عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرته غيرهم من حيث إن نصرته الكل
- نصرة الله تعالى وإن نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوه ولعل
- الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهره صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهره الملائكة
- تداركاً لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهره صالح المؤمنين
- وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام لإيداناً بعلورتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا
- لفصلها عن مظاهره جبريل عليه السلام (عسى ربه إن طلقك أن يبدله) أى يعطيه عليه السلام بدلكن

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٦﴾ التحريم

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ التحريم

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٨﴾ التحريم

- * (أزواجاً خيراً منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن في النساء خيراً منهن فإن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطبيق واحدة وما علق بما لم يقع
- * لا يجب وقوعه وقرىء أن يدلله بالتشديد (مسلمات مومنات) مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات
- * (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعة (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات
- * لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم (سائحات) صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسبح في النهار بلا زاد
- ٦ * أو مهاجرات وقرىء سيحاح (ثيبات وأبكاراً) وسط بينهما العاطف لتنافيهما (يأياها الذين آمنوا
- * قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرىء
- أهلوكم عطفاً على وادقوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أي قوا أتم وأهلوكم
- * أنفسكم (ناراً وقودها الناس والحجارة) أي ناراً تنقد بهما انقاد غيرها بالخطب وأمر المؤمنين باتقاء
- * هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للبالغة في التحذير (عليها ملائكة) أي تلي
- * أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد
- * الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) أي أمره على أنه بدل اشتغال من الله أو
- * فيما أمرهم به على نزع الحافض أي لا يمتنعون من قبول الأمر ويلتزمون به (ويفعلون ما يؤمرون) أي
- ٧ * ويزدنون ما يؤمرون به غير تناقل ولا توان وقوله تعالى (يأياها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) مقول
- لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أي يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة لإياهم النار حسبما أمروا
- * به (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما أشد النهي وأمرتم
- ٨ * بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعاً (يأياها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أي بالغة في النصيح
- وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا
- بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبها نادمين عليها مغتمين أشد العظام لارتكابها عازمين
- على أنهم لا يعودون في قبائح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلاً

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ التحريم
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ التحريم

عن علي رضي الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة والقرائن الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذيبها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة التوب أي توبة ترفو خروقتك في دينك وترم خلاك وقيل خالصة من قولهم غسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرىء نصوحا وقرىء نصوحا وهو مصدر نصح فإن النصح والنصوح كالشكر والشكور أي ذات النصح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من الأنهار) ورود صيغة الأطايع للجرى على سنن الكبرياء والإشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجهة له وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة (يوم لا يحزى الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحجاد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمنهم) أي على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى (يقولون) الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول أي يقولون إذا طيء نور المنافقين (ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) وقيل يدعون تقرباً إلى الله مع تمام نورهم وقيل تفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفاً وأولئك الذين يقولون ربنا أتم لنا نورنا (يأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفرقة بين فيما تجاهدان من القتال والحاجة (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذاباً غليظاً (وبئس المصير) أي جهنم أو مصيرهم (ضرب الله مثلاً للذين كفروا) ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً ومآلاً على أن مثلاً مفعول ثانٍ لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى (امرأة نوح وامرأة لوط) أي حالهما مفعوله الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى (كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح أي كانتا في عصمة نبين عظيمي الشأن متمكنين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحياسة سعادتهما وقوله تعالى (فخانتاهما)

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ
فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

٦٦ التحريم

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ
وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِيَةِ ﴿١٢﴾

٦٦ التحريم

بيان لما صدر عنهما من الجنابة العظيمة مع تحقق ما ينبغيها من صحبة النبي أي خاتما بالكفر والنفاق
وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خياتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر
والعصيان مع تمسكهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى (فلم يغنيا) الح بيان لما أدى إليه خياتهما
* أي فلم يغن النبيان (عنهما) بحق الزواج (من الله) أي من عذابه تعالى (شيئا) أي شيئا من الإغناء
* (وقيل) لهما عند موتها أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) أي مع سائر الداخلين من الكفرة
١١ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أي
جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء
* الله وهي في أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (إذ قالت) ظرف لمحذوف أشير إليه أي ضرب الله مثلا
* للمؤمنين حالها إذ قالت (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين .
* روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها في الجنة درة واتزع روحها (ونجني من فرعون وعمله) أي من
١٢ نفسه الخبيثة وعمله السيئ (ونجني من القوم الظالمين) من القبط التابعين له في الظلم (ومريم ابنة عمران)
عطفت على امرأة فرعون تسلية للأرامل أي وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة
* الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قوما كفارا (التي أحصنت فرجها فننفخنا فيه)
* وقرىء فيها أي مريم (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصلا (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه
* المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه (وكتبه) بجميع كتبه المنزلة وقرىء بكلمة الله وكتابه أي بعيسى
* وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل (وكانت من القانتين) أي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير
للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملة من نسلهم لأنها من
أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام . عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات
الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا .

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله سورة المالك ﴾

فهرست

الجزء الثامن من تفسير قاضى القضاة أبى السعود

صفحة	سورة	صفحة	سورة
٢	فصلت	١٦٧	القمر
٢١	الشورى	١٧٦	الرحمن
٢٩	الزخرف	١٨٨	الواقعة
٥٨	الدخان	٢٠٣	الحديد
٦٧	الجاثية	٢١٥	المجادلة
٧٧	الاحقاف	٢٢٤	الحشر
٩١	محمد صل الله عليه وسلم	٢٣٥	المتحنة
١٠٣	الفتح	٢٤٢	الصف
١١٥	الحجرات	٢٤٧	الجمعة
١٢٥	ق	٢٥١	المنافقون
١٣٦	الذريات	٢٥٥	التغابن
١٤٦	الطور	٢٦٠	الطلاق
١٥٤	النجم	٢٦٦	التحریم

(تم الفهرست)